

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

الشعاع الشائع باللمعان

في

ذكر أئمة عُمان

تأليف
حميد بن محمد بن رزيق
١٢٧٤ هـ

تحقيق
عبد المنعم عامر

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م



سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

لباب الآثار

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي

مكتب الوزير
مسقط

تقـــديم

وددت أن لو استطعت أن أقدم للقارئ العماني خاصة، وإلى القارئ العربي عامة، في كل يوم كتاباً من تراثنا التاريخي ، وأن تسهم الوزارة في تزويد المكتبة العربية والفكر الثقافي بتلك الثروة التاريخية والعلمية والثقافية التي خلفها لنا أسلافنا السابقون، وهي ثروة تمثل زاداً للفكر، وشعاعاً مبيناً عن حضارتنا العمانية ، التي قد أسهمت بحظ وافر في النشاطات الحضارية على مختلف ألوانها وعصورها .

وها أناذا ، وبحمد الله ، جل شأنه ، أقدم كتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أسماء أئمة عمان، لمؤلفه حميد بن رزيق ، وآمل أن يجد القارئ في الكتاب وضوحا لتاريخ حقبة من حياة بلادنا العزيزة ، وأن تقوم على ما ينشر من كتب التراث القومي الدراسات الفنية والتربوية التي تستهدف الخير لأجيالنا ، وتحقق لبلادنا ما نرجوه لها من سؤدد في ظل حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد . ؟

فيصل بن علي بن فيصل
وزير التراث القومي

مقدمة

كتاب الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أسماء أئمة عمان لمؤلفه حميد بن محمد بن بخيت بن رزيق كتاب فريد بين كتب التواريخ ، فهو عبارة عن قصيدة شعرية نظمها ابن رزيق فى ثمانية وأربعين ومائة بيت من الشعر ، وضمنها أسماء أئمة عمان من قبل الإمام أحمد بن سعيد ، وعددهم خمسة وعشرون إماما ، أولهم الإمام الجلندا ابن مسعود ، وآخرهم الإمام سلطان بن مرشد .

وتنتظم هذه القصيدة سيرة هؤلاء الأئمة خلال ألف عام تقريبا ، من بينها مدة مائتى سنة ، يقول المؤرخون العمانيون ، إنهم لم يجدوا فيها تاريخا لواحد من الأئمة ، ويرجح هؤلاء المؤرخون ، والله أعلم ، أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة .

والإمامة فكرة مذهبية ، أساسها عقيدة دينية ، واختيار الإمام ونصبه مردود أمره إلى أهل الاستقامة فى الدين ، الذين يتشاورون فيما بينهم ، ويختارون لأنفسهم إماما ، يأمرهم بالمعروف ، وينها عن المنكر ، وفق ما جاء فى القرآن الكريم ، وفى سنة النبى الأمين .

وإذا اختار المسلمون لهم إماما وجبت عليهم طاعته فيما يأمرهم به وفيما ينهاهم عنه ، فهو لهم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، وطاعة الإمام واجبة له على رعيته فى أمور الدنيا وفى أمور الآخرة ، وإليه ترجع الأمور ، فهو الذى يقيم الولاة ، وينصب القضاة ، ويجبى الأموال ، ويقيم الحدود وفق قواعد الدين ، وأداء للأمانة التى حملها الإمام .

وكذلك كان حال الإمامة على نحو مما ذكره ابن رزيق فى كتابه الشعاع الشائع باللمعان ، وفى كتابه الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ، وعلى نحو ما رواه صاحب كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، وذكره كثير من المؤرخين العمانيين.

وإن المتتبع لتاريخ الإمامة والأئمة فى عمان كما جاء فى هذه الكتب وفى غيرها يجد أن الإمامة قد عاشت حياتها كما يعيش الأفراد حياتهم ، وأن عمر الإمامة مثل عمر الأفراد ، طفولة ، ومراهقة ، وشباب ، وكهولة ، وشيخوخة ، وهى كالأفراد أيضا ، بعضها يولد هزيلا مريضا ، وبعضها يولد صحيحا معافى ، تمتد حياته ويطول عمره ، وهى كذلك مثل الأفراد ، يصيبها موت الفجاءة أحيانا ، وأحيانا يدب فيها الفناء ، فتموت عضوا عضوا حتى ينتهى أجلها .

وليس بدعا أن تكون حياة الإمامة على هذه الصورة ، فهذا شأن كل موجود ، ماديا كان الوجود أو معنويا .

والمؤرخون العمانيون يذكرون ، أنه بعد ما وقعت الفتنة ، وافترقت الأمة . وصار الملك والسلطان إلى معاوية بن أبى سفيان لم يكن للأمويين شأن فى عمان حتى صار الملك إلى عبد الملك بن مروان ، فاستعمل عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق ، فكان الحجاج يبعث غزاته إلى عمان ، والعمانيون يفضون جموعه ، ويبيدون عساكره فى مواطن كثيرة بقيادة سلطانهم سليمان ، فسعيد ابنى عباد ابن عبد الجلندا .

واستمر الحال كذلك حتى ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك فعزل العمال الذين كانوا على عمان ، واستعمل عليها صالح بن عبد الرحمن .

ولما مات الوليد بن عبد الملك وولى الأمر بعده أخوه سليمان بن عبد الملك رأى أن يكون عمال عمان على ما كانوا عليه قبل دولة بنى أمية ، وأبقى صالح بن عبد الرحمن مشرفا عليهم ، وولى يزيد بن المهلب الأزدى العراق وخراسان ، فاستعمل يزيد أخاه زيادا على عمان .

ولما ولى عمر بن عبدالعزيز استعمل على عمان عدى بن أرطاة الفزارى ، ثم عزله، واستعمل بعده على عمان عمر بن عبد الله الأنصارى .

ولما مات عمر بن عبد العزيز قال عمر بن عبـــد الله لزياد بن المهلب : هذه البلاد بلاد قومك ، فشأنك وإياهم ، وقام زياد بن المهلب فى عمان حتى ظهر أبو العباس السفاح ، وصار ملك بنى أمية للدولة العباسية . فاستعمل العباسيون على عمان جناح ابن عبادة الهنائى ، ومن بعده ولى عمان محمد بن جناح ، وصارت ولاية عمان لهم .

وعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندا بن مسعود ، وهو أول أئمة العـدل بعمان ، وكان إماما فاضلا ، عادلا ، تقيا ، متواضعا لله ، استقامت له الأمور سنتين وشهرا ، فأرسى للإمامة قواعدها، وأقام لها معالمها ، وكان من بعده الأئمة على النحو الذى يرويه ابن رزيق فى الـكتاب ، يضعف شأن الإمام حتى كان إذا جاء السلطان إلى عمان ، يجبى أهلها ، ليعتزل الإمام من بيت الإمامة إلى بيت نفسه ، ولا يستطيع الإمام أن يمنع سلطانا من بغى أو ظلم ، فإذا خرج السلطان من عمان رجع الإمام إلى بيت الإمامة ، ووضع تاج الإمامة على رأسه ، وقال لمن حوله : لا حكم إلا الله ، ولا طاعة لمن عصا الله .

وكان هـذا شأن الإمام الحوارى بن مطرف الحدانى مع القائم بالأمر من قبل الخليفة فى بغداد .

وفى سنوات ملك النباهنة ، وهى تزيد على خمسمائة سنة ، كان الناس يعقدون على الأئمة ، والنباهنة ملوك فى شىء من البلدان العمانية ، والأئمة فى بلدان أخرى .

وساء شأن الإمامة فاتخذها الناس سبيلا لإثارة الحميّات والعصبيات كما كان الشأن حينما توفى الإمام سلطان بن سيف ، ومال الناس إلى أن يكون الإمام من بعده ولده سيف بن سلطان ، وكان سيف يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم ، ولا تجوز إمامته

فى الصلاة ، قال القاضى الشيخ عدى بن سليمان الذهلى مع الناس ، ونادى لسيف بالإمامة ، ولكن أهل العلم والحلم والورع أرادوا أن تكون الإمامة لأخيه مهنا ابن سلطان ، فلما سكنت الحركات وانهدت الناس أدخلوا مهنا بن سلطان الحصن خفية وعقدوا له الإمامة فى الشهر الذى مات فيه أبوه .

وفى سنة ١٧٢٢م عند ما استقر أمر الدولة ليعرب بن ناصر بايعه رؤساء البلدان وشيوخ القبائل العمانية على أنه القائم بأمور الدولة ، وعلى أن الإمامة للإمام سيف ابن سلطان .

ولقد كان التكوين البشرى للمجتمع العمانى ذا أثر كبير فى شئون الإمامة والولاية، ولعبت الحميات والعصبيات والنعرات القبلية دورا هاما فى استقرار الأمور حينا ، وفى اضطرابها أحيانا ، فشهد تاريخ عمان سلسلة طويلة من الحوادث والأحداث .

وكان امتداد سواحل عمان على بحر عمان وعلى الخليج العربى سبباً فى انطلاق الشعب العمانى لما وراء البحار ، وفى أن يكون لعمان سفن تجارية وأساطيل حربية ، وحصون وأبراج مشيدة .

وقد نشط الشعب العمانى نشاطا كبيرا فى القرن الثامن عشر الميلادى ، فوصلت شعاعات حضارته إلى ساحل إفريقية الشرقية ، وإلى بلاد شرق المحيط الهندى ، وكان العلم العمانى العربى يرفرف على زنجبار وممباسة وبلدان أخرى ، وكان العمانيون من أوائل الذين اكتشفوا وسط إفريقية وقد توغلوا فى جهاتها وبين أحراشها ، وكان لهم فضل كبير فى نشر الدين الإسلامى فيها .

* * *

وفى ضوء هذه الحقائق نظم ابن رزيق قصيدته ، الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أسماء أئمة عمان .

ومما لاشك فيه أن ابن رزيق قد نظم هذه القصيدة بعد أن ألف كتاب « سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده » وهو الجزء الثانى من كتابه المسمى : « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » ، كما يبين مما ذكره ابن رزيق فى صحيفة ٣٢٥ من هذا الكتاب « الشعاع الشائع باللمعان » وقبل أن يضيف إلى سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده ، الجزء الأول من كتاب الفتح المبين ، الخاص بأئمة عمان .

ولقد نظم ابن رزيق هذه القصيدة من بحر الوافر ، ووزنه ، مفاعلتن مفاعلتن فعولن ، مرتين ، ولهذا الوزن من بين أوزان بحور الشعر ميزة الجرس الدافق ، والرنين الموسيقى الأخاذ .

ويبدو أن ابن رزيق قد نهج فى تدوين هذا الجزء من التاريخ العمانى إلى هذا النهج الأسلوبى ، ليسير شعره بين الناس سمرا لهم فى مجالسهم ، يتحدثون به ، وليصير ذكره بين القوم مزمارا يطربون به وينشدونه . وليس هذا ببعيد ، فابن رزيق عاش حياة السمر ، طفلا ، وشابا ، وكهلا ، وشيخا ، وهو يعلم أن الشعر أسهل حفظا ، وأوسع انتشارا ، وكذلك كان العرب ينظمون الشعر ، تسجيلا لحوادثهم وأيامهم .

* * *

وقد عمد ابن رزيق إلى قصيدته الشعاع الشائع باللمعان ، فاتخذ منها كتابا على نمط الكتب المعروفة بكتب المتون والشروح ، ذلك ، أنه يذكر البيت من الشعر ، ثم يشرح مفردات البيت شرحا لغويا ، مع بيان موقع كل كلمة فيه من الإعراب النحوى ، وما فى البيت من بلاغة ، ثم يشرح المعنى الكلى للبيت ، ويعقب بعد هذا بذكر الجانب التاريخى الذى يتضمنه البيت .

ويستطرد ابن رزيق فى ثنايا الكتاب، فيتجاوز ذكر مايقتضيه المقام إلى ذكر تواريخ أخرى ، ومباحث علمية قد لاتكون لها أى صلة بالمدلول الأصلى ، وتبدو للقارئ وكأنها بعيدة كل البعد من المادة التاريخية كما ذكره ابن رزيق فى أبواب علم المنطق ، وما نقله من كتاب المعيار لأبى حامد الغزالى . وهذه عادة ابن رزيق فى كل مؤلفاته ، يدفعه إليها تدافق مداركه ومعارفه ، وربما تطيب له إبانة منه عن واسع اطلاعه وطول باعه فى ألوان العلم والمعرفة .

فابن رزيق المؤرخ عالم بين علماء عصره ، له مقدرته اللغوية وأسلوبه المميز ، وله مكانته فى نظم الشعر وفى قول النثر ، وهو محيط بعلوم اللغة والأدب والفقه ، ولقد قرأ كثيرا من كتب التاريخ، فاستقامت له الحوادث والروايات، وكانت له رؤية صادقة فى عرض الوقائع وذكر الأحداث .

* * *

ولا بد أن يكون هناك مؤرخون عمانيون وغير عمانيين قد سبقوا ابن رزيق فى تدوين تاريخ أئمة عمان وكانت لهم مؤلفاته ، منها ما هو معروف ، ومنها ما هو مجهول ، وما هو ما احترق بسبب الفتن والأحداث ، ولا شك فى أن ابن رزيق قد قرأ من هذه الكتب ما كان موجودا فى عصره ، وأنه قد سمع ما يذكره المسنة من الشيوخ عن الأحداث فى رواياتها المتواترة وغير المتواترة ، وأنه قد تحصل له من كل ذلك ثروة تاريخية ، استطاع بها أن يزود التاريخ العمانى بعديد من المؤلفات .

ولقد كانت لابن رزيق مكانة خاصة عند السادة البوسعيديين وصلة قوية بهم متوارثة عن الآباء والأجداد ، وقد مكنته هذه الصلة من أن يعايش الوقائع فى منابتها الأولى ، وأن يعرف من أسرار الأمور مادق منها وخفى ، مما لم يتح مثله لغيره من المؤرخين .

وإنه ليقول فى كتاب « الشعاع الشائع باللمعان » صحيفة ٢٧٩ « أنه وقف على كتاب من إمام صنعاء إلى الإمام سيف بن سلطان وقرأه ، وما أحب أن يسطر ما فيه فى الكتاب ، لقبح كلامه الشنيع ، الذى لا يصدر من مليح » وكان هذا فى صدد سرده لأسباب الحرب التى قامت بين إمام عمان وبين إمام صنعاء والتى كانت نهايتها ، أن أذعن إمام صنعاء بالطاعة إلى الإمام سيف .

ولا يضير أى مؤرخ ، أو يقلل من جهده ، أن يكون اعتماده على من سبقه من المؤرخين ، فالإنسان والكون تاريخ متصل منذ بدء الخليقة ، واعتماد مؤرخ على من سبقه أمر طبيعى ، فنتاج السلف هو ميراث الخلف ، وليس مما يعاب على ابن رزيق أن يكون قد اعتمد فى التاريخ لأئمة عمان على كتاب « كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة » لمؤلفه المؤرخ العمانى ، سعيد بن سرحان ، كما يقول بعض المؤرخين الأوربيين .

بيد أن المطلع على كتب التاريخ العمانية يلمس بوضوح ذاتية ابن رزيق فيما يذكره ، وفيما يرويه عن غيره ، فهو ينقل الروايات ، ويذكر الحوادث ، ويقارن بينها ، ويذكر ما صح عنده منها ، وهو يناقش الرواة فيما يسمعه منهم حتى يصح عنده الخبر فيرويه فى تصوير واضح ، ولغة سهلة ، وسرد محكم الربط ، مما أضفى على كتبه الجلاء والصدق ، والرؤية المحيطة بتواريخ الأحداث والوقائع .

وإن كتاب الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان لابن رزيق لهو كتاب ذو لون جديد ، لم يسبق ابن رزيق إلى مراده مؤرخ عمانى آخر ، وهو كتاب يكسب مؤلفه المقدرة ، ويبين عما لابن رزيق من فحولة ؛ فقد تناول ابن رزيق تاريخ أئمة عمان فى كتابه « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » وتناول نفس التاريخ فى هذا الكتاب ، « الشعاع الشائع باللمعان » ، واستطاع ابن رزيق أن يجعل كلا الكتابين على منهج لا يغنى أحدهما به عن الآخر ، وذلك لما أضفاه على كتاب الشعاع الشائع باللمعان من

جدة فى المنهج وفى الأسلوب، ومن ناحية ترتيب الحوادث وسرد الوقائع، ولما ضمنه الكتاب من معارف لغوية ونحوية وبلاغية يستفيد بها القارئ فى أسلوب قصصى .

* * *

وكتاب الشعاع الشائع باللمعان، مخطوط فى مكتبة كمبريدج منذ عام ١٩٣٦ م ، والراجح أن يكون هذا الكتاب قد آل إلى هذه المكتبة واحدا من جملة المخطوطات العمانية التى كانت فى مكتبة القسيس الإنجليزى « برسى بادجر » ، وكان قد تبرع بها من بعد موته إلى مكتبة جامعة كمبريدج .

وهذا القسيس الإنجليزى كان راعيا لكنيسة « بومباى » فى الهند ، وتعلم اللغة العربية ، وقد أوفدته السلطة البريطانية بالهند فى مهمة سياسية لعمان ، وقد زار مسقط والتقى بالسيد ثوينى بن سعيد بن سلطان ، فأهداه السيد مجموعة من الكتب التاريخية العمانية ، تضم عددا من كتب ابن رزيق التاريخية .

ويقع هذا الكتاب فى خمس وسبعين ومائة صحيفة من القطع المتوسط بمقاس ٢١سم طولا و ١٥ سم عرضا ، ومسطرة السطر ١٠ سم ، وفيه حوالى عشر كلمات ، وتخلو هوامش المخطوطة من الإضافات أو الشروح أو التعليقات ، فيما عدا أسماء الأئمة مكتوبة حذاء أبيات الشعر .

والمخطوطة مكتوبة بالقلم الهندى وبالخط النسخ ، وأما أبيات الشعر فمكتوبة بالخط الثلث ، وهى مرتبة بالأرقام ، ومعقبة أيضا .

وقد تأثرت أوراق المخطوطة إلى حد ما ، فى بعض صفحاتها يظهر الكشط كثيرا ، وفى بعض آخر تبين الكلمات مطموسة الحروف ، وقد كان لكتاب الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين فضل فى تبيان ما كشط أو طمس من كلمات حيث تتفق الوقائع وتتوافق العبارات والأساليب ، إلى جانب فضل المراجع التاريخية الأخرى ، والجهد الذى يبذله المحقق فى الكشف عن حقائق رسوم الكلمات ومعرفتها .

ولا إخالنى فى حاجة إلى القول ، بأن مخطوطة كتاب « الشعاع الشائع باللمعان » مخطوطة فريدة .

والمخطوطة تخلو من اسم ناسخها ومن ذكر تاريخ نسخها ، بل إن آخرها يعتبر مبتورا ، فلم تختم المخطوطة بما تختم به الكتب والمخطوطات عادة ، بالحمد لله، والصلاة على رسله ، ولهذا فإنى أرجح أن يكون ناسخها هو ابن رزيق نفسه ، للمشابهة الواضحة بين خطها وخط ابن رزيق المعلوم فى مخطوطاته وكتبه الأخرى ، وأن يكون ابن رزيق لم يكن قد انتهى بعد من ختم الكتاب بما يرى أن تكون عليه خاتمته .

ولقد قمت بتبويب الكتاب ، وتقسيم أسلوبه إلى عبارات وإلى جمل مرقمة بعلامات الترقيم ، حتى يكون مضمون الكتاب أكثر وضوحا وأقرب فهما ، وكان منى الشرح والهوامش مع إضافة بعض التعليقات التاريخية والزمنية ، وصولا بالكتاب إلى أن يحقق الهدف المنشود من نشره .

وقد عنيت بأن تنشر القصيدة جملة، فتنضم أبياتها، بعضها إلى بعض، حتى يسهل على القارئ تذوقها ، وإدراك صورها وأساليبها وأخيلتها .

* * *

وبعد ، فقد بقى لى أن أسجل تقديرى وإعظامى إلى تلك الجهود الطيبة التى تبذلها دائرة المخطوطات والمؤلفات العمانية بوزارة التراث القومى، حدباً منها على أداء رسالتها، وانطلاقاً مع همة صاحب المعالى، سمو الأمير السيد فيصل بن على وزير التراث القومى، فى ظلال الرعاية الرائدة لسموه ، التى يحيط بها خطة الوزارة فى نشر التراث القومى .

سدد الله خطاه ، ووفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والرشاد . ؟

المحقق

عبد المنعم عامر　　　　١٩٧٨/٧/١٠

القصيـــدة

عُمَانُ عَنْ لِسَانِ الحَالِ رُدِّي جَوَاباً مِنْكِ لِي أَرْجُو الجَوَابَا

أَمَا عَيْنٌ إِلَيْكِ لَهَا دُمُوعٌ عَلَى مَنْ جِسْمُهُمْ أَضْحَى تُرَابَا

لَعَمْرُكِ ذِكْرَى مَنْ ذَكَرْتَهُ صَحَائِفُ عَنْهُمُ لَنْ يُسْتَرَابَا

هُمُ كَانُوا لِدِينِ اللهِ كَفّاً وَسَيْفاً لَا يَمَلُّونَ الضِّرَابَا

أَئِمَّةُ أُمَّـــةٍ كَانُوا فَبَانُوا كَغَيْمٍ صَبَّ فَانْقَشَعَ انْجِيَابَا

أَقَامُوا العَدْلَ بِالعَزْمِ الَّذِي إِلَى المُعْوَجِّ يَنْخَفِضُ انْتِصَابَا

سَقَوْا أَسْيَافَهُمْ بِدَمِ الأَعَادِي وَمَا أَصْـدَوْا بِطَعْنِهِمُ الحِرَابَا

أَعَزُّوا الإِسْتِقَامَـــةَ وَالأَعَادِي لَهُمْ ذَلُّوا وَمَا نَصَرُوا العِتَابَا

إِذَا بَاغِي الشَّامِ سَطَا بِكَفٍّ إِلَى أَجْنَادِهِ عَـــدِمَ الرِّقَابَا

وَعَضَّ أَمِيرُهُمُ كَفّاً وَعَفَتْ كَوَاعِبُــهُ بِأَدْمُعِهَا الخِضَابَا

وَقَالَتْ مَا الإِبَاضِيُّونَ إِلَّا أُسُــودٌ يَدْعُونَ عُمَانَ غَابَا

لِدِينٍ لَا لِدِينَارٍ هَـــوَاهُمْ فَفَاتُوا الرَّيْبَ وَاجْتَنَبُوا الرِّبَابَا

شُرَاةٌ تَابَعُــوا سُنَنَاً حَكَاهَا رَسُولُ اللهِ وَاتَّبَعُوا الكِتَابَا

إِذَا بَاغِي العِـــرَاقِ سَقَاهُ رَأْيٌ لِفِلَّةٍ بِأْسِهِمْ شَرِبَ السَّرَابَا

كَفَى فَخْراً عُمَانُ بِالجُلَنْدَا إِذَا اضْطَخَبَتْ بِمَفْخَرِهِ اصْطِخَابَا

وَمَنْ ذَا كَابْنِ مَسْعُودِ الجُلَنْدَا إِمَامٌ سَيْفُهُ هَجَرَ القِرَابَا

حَمِيداً عَاشَ وَهْوَ قَضَى شَهِيداً بِجُلْفَارٍ فَلَا عَـــدِمَ الثَّوَابَا

تَخَضَّبَ جِسْمُهُ بِدَمٍ فَأَضْحَى إِلَيْهِ ثَوَابُ خَالِقِهِ الثِّيَابَا

وَوَارِثُ وَارِثٌ عِلْماً وَحِلْماً إِمَامٌ سَعْيُهُ بِالعَدْلِ طَابَا

وَلَمَّا جَاءَ عَنْ هَارُونَ عِيسَى ... يَحُثُّ لِجُنْدِهِ الْخَيْلَ الْعِرَابَا
فَسِرْ يَا فَارِسُ وَشَكَا إِلَيْهِمْ ... فَإِنَّ الرَّوْعَ عَنْ حَوْبَاكَ غَابَا
فَبَادَرَ فَارِسٌ أَجْنَادَ عِيسَى ... فَأَطْعَمَهُمْ وَخَيْلَهُمُ الْكِلَابَا
وَفِي قَيْدٍ غَدَا أَصْحَارُ عِيسَى ... فَسَقَّتْهُ الشُّرَاةُ الْحَتْفَ صَابَا
حُسَامُ سَلِيلِ كَعْبٍ مَا حَكَاهُ ... شِهَابٌ إِذْ بِهِ بَهَرَ الشِّهَابَا
وَمَنْ كَسَلِيلِ كَعْبٍ لَا يُخَطِّبِ ... يُثَلِّمُ لِلْحِجَا بِذَةِ الْخِطَابَا
قَضَى لَيْلًا بِسَيْلٍ عَمَّ نَزْوَى ... فَمَا أَبْقَى إِلَى سَيْلٍ عُبَابَا
وَغَسَّانُ الْهُمَامُ إِمَامُ عَدْلٍ ... بِنَارِ وَغًى أَعَادِيهِ أَذَابَا
وَقَدْ قَطَعَ الْبَوَارِجَ عَنْ عُمَانٍ ... فَمَا مِنْهُمْ لَهَا بِالشَّرِّ آبَا
قَضَى لَا نَاطِقٌ عَنْهُ بِلَعْنٍ ... لِسَانٌ شَبَّ فِي ثَغْرٍ وَشَابَا
وَنَجْلُ حُمَيْدٍ فَهْوَ إِمَامُ عَدْلٍ ... تَفَانَى بَعْدَ مَا أَفْنَى الشَّبَابَا
وَنَاظَرَهُ الْمُهَنَّا فِي جِهَادٍ ... فَمَا نَظَرَ الْعَدُوُّ لَهُ ارْتِقَابَا
إِمَامُ أُمَّةٍ فِي كُلِّ عَيْنٍ ... يُرَى وَبِنَابِهِ السَّيْفُ اسْتَنَابَا
وَمَا هُوَ سَيْفُهُ سَيْفٌ كَهَامٌ ... وَلَا سَيْفًا لِأَهْلِ الْبَغْيِ هَابَا
وَلَمَّا آلُ مُهَزَّةَ خَالَفُوهُ ... وَحَادُوا فِي عُتُوِّهِمُ الصَّوَابَا
أَتَاحَ لَهُمْ قُيُودًا عَاتِقَاتٍ ... وَسِجْنًا يُوحِشُ الْأَبْصَارَ بَابَا
وَمُذْ شَهِدُوا التَّبَابَ دَنَا فَتَابُوا ... وَكَانَ يُقِيلُ مِمَّنْ قِيلَ تَابَا
فَفَكَّهُمُ وَقَدْ نُصِبَتْ بِفَرْقٍ ... إِلَيْهِمْ وَهْيَ سَارِبَةٌ عِقَابَا
فَأَدُّوا حَوْلَهَا مِمَّا عَلَيْهِمْ ... إِلَيْهِ أَوْجَبَ الشَّرْعُ النِّصَابَا
كَسَاهُ هَيْبَةً رَبُّ الْبَرَايَا ... فَمَا أَبْقَى بِهَا الْأُسْدَ الْغِضَابَا
وَأَحْسَبُ لَوْ عَلَيْهَا يَنْضُو نَابًا ... لَمَا أَبْقَى لَهَا ظُفْرًا وَنَابَا

فَمَاتَ بِهَيْبَةٍ لَمْ تَنْبُ حَدًّا ... وَعَـدْلٍ بِالإِضَاءَةِ مَا تَغَابَا
فَبُويِعَ بَعْدَهُ الصَّلْتُ انْتِصَارًا ... لِدِينِ اللهِ طَوْعًا لَا اغْتِصَابَا
وَفَاضَ الْعَدْلُ مِنْهُ فِي عُمَانٍ ... وَمَا أَلِفَتْ بِسِيرَتِهِ الْخَرَابَا
فَعَمَّرَ فِي الإِمَامَةِ وَهْوَ عَدْلٌ ... وَلَمْ يُحْدِثْ إِلَيْهِ الْفِعْلُ عَابَا
وَفِي رِجْلَيْهِ لَمَّا ابْنُكُتْ ضَعْفٌ ... وَلَمْ يَسْطِعْ إِلَى السَّيْفِ اجْتِذَابَا
فَمِنْ بَيْتِ الإِمَامَةِ لَيْسَ عَنْهَا ... تَخَلَّى نَهْيَ كَانَتْ مِنْهُ قَابَا
فَمَاتَ بِغَيْرِ عَزْلٍ مِنْ شُيُوخٍ ... وَشُبَّانٍ لَهُمْ أَعْـلَوْا جَنَابَا
وَجَلَّتْ بَعْدَهُ فِتَنٌ أَثَارَتْ ... قَتَامًا غَيْمُهُ تُزْرِي السَّحَابَا
وَكَادَتْ مِنْ مَلَاحِمِهَا عُمَانٌ ... يُخَاطِبُ بُومُهَا فِيهَا الْغُرَابَا
إِلَى أَنْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ طُرًّا ... سَعِيدٌ قُمْ لَهَا ، وَلَهُمْ أَجَابَا
وَمَنْ ذَا مِثْلُهُ نَسَبًا وَمَجْدًا ... عَنِ نَسَبِهِ يُبَنِّي الانْتِسَابَا
رَحِيلِيٌّ لِدِينِ اللهِ يَصْبُـو ... وَلِلدُّنْيَا نُهَاهُ مَا تَصَـابَا
نَمَتْهُ قُرَيْشٌ أَشْرَارًا فَكَادَتْ ... بِهِ أَعْنَى الرُّبُوعِ تُرَى عِشَابَا
قَضَى بِسُيُوفِ أَعْدَاهُ شَهِيدًا ... فَحَازَ الْعَذْبَ وَاقْتَسَمُوا الْعَذَابَا
وَمَا سَعْيُ الْخَلِيلِ فَلَاهُ خِلٌّ ... يُعَلِّلُهُ سَـجَايَاهُ الْعِذَابَا
إِمَامَتُهُ بِهَا افْتَخَرَتْ عُمَانٌ ... وَمَا فِي فَخْرِهَا ادَّعَتِ الْكِذَابَا
كَفَاهَا نَجْلُ شَاذَانَ عُمَانٌ ... إِمَامًا مَا بِهَـا خَلَلًا أَصَابَا
وَمِنْهُ مَا رَأَتْ خَلَلًا لِعَدْلٍ ... وَلَمَّا مَاتَ أَوْرَثَهَا الْمُصَابَا
وَنَجْلُ سَعِيدَ رَاشِدُ ثُمَّ خَصْمٌ ... تَرَاهُ عِدَاتُهُ صِـلًّا حُبَابَا
إِمَامٌ فَاضِـلٌ يُثْنِي بِحَمْدٍ ... بِحَمْدٍ مَنْ لِخَالِقِهِ أَنَابَا
وَحَفْصٌ مِثْـلُهُ وَفَتَى عَلِيٍّ ... وَمُوسَى ثُمَّ مَالِكُ لَنْ يُعَابَا

وَمِثْلُهُم أَبُو الْحَسَنِ اسْتَنَارَتْ عُمَانُ بِهِ وَرَوْنَقُهَا اسْتَطَابَا
إِمَامٌ عَادِلٌ فَقَضَى وَلِيًّا وَمَا اقْتَدَرَ الْخَلُوبُ لَهُ اخْتِلَابَا
بَكَتْهُ عُمَانُ لَمَّا مَاتَ حَتَّى أَعَارَتْ كُلَّ مُنْتَحِبٍ انْتِحَابَا
وَأَتْحَفَهَا فَتَى الْخَطَّابِ بِشْرًا وَمِنْ عَجَبٍ بِهِ اجْتَلَتِ الْمُجَابَا
وَقَالَتْ : أَنْتَ يَا عُمَرُ نَظِيرٌ إِلَى عُمَرٍ ، فَعَدْلُكُمَا تَرَابَا
وَهَيْبَتُهُ أَتَتْكَ بِغَيْرِ دَاعٍ اقْلِبْكَ بِأُسِّهَا انْقَلَبَ انْقِلَابَا
فَأَنْتَ إِمَامُ عَدْلٍ تَدْرِى بِمَا بَنُو نَبْهَانَ حَازُوهُ اغْتِصَابَا
هُمُ ظَلَمُوا الْعِبَادَ فَرُدَّ مِمَّا هُمُ ظَلَمُوا وَفِيهِ غَدَوْا صِحَابَا
فَقَسَّمَهُ فَتَى الْخَطَّابِ عَدْلًا عَلَى الْفُقَرَاءِ قُرْبًا وَاغْتِرَابَا
فَمَاتَ حَمِيدَ فِعْلٍ وَاشْتَرَاهَا سَلِيلُ مُفَرِّجٍ وَلَهَا اسْتَجَابَا
إِمَامَةُ عَدْلٍ لَا لِلظُّلْمِ تُعْزَى وَمَا فِيهَا رَأَى الشَّهْمُ ارْتِيَابَا
فَمَاتَ مُحَمَّدٌ بِوَمِيضٍ حَمِيدٍ وَلِلرُّبْخِي سَعَى الشَّأْنُ انْسِيَابَا
فَصَارَ هُوَ الْإِمَامُ إِلَى عُمَانٍ بِهِ احْتَسَبَتْ لِعِزَّتِهَا احْتِسَابَا
وَمُذْ عَبْدُ السَّلَامِ إِلَيْهِ صَارَتْ رَأَى أَرَبًا بِشَرْيَانٍ مُشَابَا
فَبَادَرَهُ سُلَيْمَانُ بِجُنْدٍ فَأَلْقَى السَّيْفَ وَالسُّمْرَ الْكِعَابَا
فَمَاتَ سَلِيبَ نَصْرٍ وَاشْتَرَاهَا مُحَمَّدُ وَهْيَ تَضْطَرِبُ اضْطِرَابَا
فَصَارَ سَلِيلُ إِسْمَاعِيلَ قُطْبًا إِمَامًا لِلْهُدَى انْتُدِبَ انْتِدَابَا
وَلَوْلَاهُ لَنَالَ أَخُو الْمَخَازِى سُلَيْمَانٌ مِنَ الرُّودِ الرِّضَابَا
فَدَاسَ بِرِجْلِهِ صَدْرًا إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْقَادِ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا
لِذَلِكَ قِيلَ أَنْتَ لَهَا إِمَامٌ عُمَانُ فَمَا تَرُكْ الْقُشَرَ اللُّبَابَا
أَجَابَ وَرَدَّ عَنْهَا كُلَّ بَاغٍ يَرَى مَنْ كَالْحَدِيدِ لَهُ نِصَابَا

وَلَمَّا مَاتَ مَاتَ قُوَى عُمَانٍ ... وَمَا لِإِمَامَةٍ قَرْمٌ أَقَابَا
إِلَى أَنْ سَلَّ نَاصِرُ سَيْفَ عَدْلٍ ... وَمَا عَنْهُ أَرَادَ الِاجْتِنَابَا
فَحَسْبُ عُمَانَ نَاصِرُهَا إِمَامًا ... أَفَاءَ السَّيْفَ وَخَضًا وَاخْتِضَابَا
لَهُ سِرُّ الْوِلَايَةِ قَبْلَ بَيْعٍ ... وَبَعْدَ الْبَيْعِ فَاحْتَزَبَ احْتِزَابَا
سُلَالَةُ مُرْشِدٍ طُهْرٍ إِمَامٌ ... وَلِيٌّ إِنْ دَعَا أَضْحَى مُجَابَا
وَأَخْبَارٌ لِسِيرَتِهِ حِسَانٌ ... تُنَاجِي الرَّاكِبُونَ بِهَا الرِّكَابَا
أَبَادَ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِ عَدْلٍ ... وَأَهْلَ الْبَغْيِ فَاقْتَضَبُوا اقْتِضَابَا
سَقَى أَسْيَافَهُ عَلَقَ الْأَعَادِي ... فَمَا ضَرَمُوا بِدُورِهِمُ قِبَابَا
فَمِنْ صُورٍ إِلَى صِيرٍ ظُبَاهُ ... تَصُبُّ دَمًا وَتَنْمُو الِانْصِبَابَا
إِذَا شَبَّتْ عَلَيْهِ عِدَاهُ نَارًا ... رَمَادًا صَيَّرَتْ لَهُمُ الْإِهَابَا
وَنَارُ وَغَاهُ مَا أَبْقَتْ إِلَيْهِمْ ... سِوَى عُرْبٍ يَلُكْنَ الِاكْتِئَابَا
وَكَمْ بَاغٍ إِلَيْهِ يَصُوغُ كَيْدًا ... فَأَصْبَحَ يَطْوِي بِالْهَرَبِ الْهِضَابَا
يُخَاطِبُهُ الْكُدَى بِلِسَانِ حَالٍ ... بِرَكْضِكَ مَا تَرَكْتَ الْجَابَ جَابَا
فَمَا الظَّفْرَا رَأَتْ ظَفَرًا عَلَيْهِ ... وَلَا مَنْ شَاءَ فِيهَا الِاغْتِرَابَا
لَهُ سِيَرٌ حِسَانٌ كُلُّ شَرْحٍ ... تُبَاعِدُهُ إِذَا شَاءَ اقْتِرَابَا
بِيُمْنِ اللهِ ثُمَّ الرُّسْلُ يُرْضَى ... وَمَنْ صَارَتْ لَهُ عَدْنٌ مَآبَا
حَكَى الصِّدِّيقَ وَالْفَارُوقَ عَدْلًا ... فَأَنْضَى النَّفْسَ بِالْعَدْلِ الطِّلَابَا
فَمَاتَ مُشَيَّعًا حَمْدًا عَلَيْهِ ... دُمُوعُ الشُّهْمِ تَنْسَكِبُ انْسِكَابَا
بَكُوا أَهْلُ الْهُدَى طُرًّا عَلَيْهِ ... وَمَنْ ضَلُّوا أَضَلُّوا الِاكْتِرَابَا
وَسُلْطَانُ بْنُ سَيْفٍ مُذْ حَوَاهَا ... بِهِ مَنْ أَشْرَكُوا أَلِفُوا الذَّهَابَا
فَرَوَّى لِلْإِمَامَةِ سَيْفَ عَدْلٍ ... وَدَكَّ لِعُصْبَةِ الشِّرْكِ الْعِقَابَا

وَزَلْزَلَهُمْ فَلَمْ تَقِهِمْ بُرُوجٌ   يُطَاوِلُ سُمْكَهَا السُّحْبَ الرِّبَابَا

وَمَنْ سَقَطُوا بِمَسْقِطَ مِنْه صَارُوا   كَضَأْنٍ فى الفَلَاةِ رَأَتْ ذِئَابَا

وَمَا هُو لِلْمَلَاحِمِ غَيْرُ لَيْثٍ   يَرَى ضِيقَ الصِّعَابِ لَهُ رِحَابَا

أَبَادَ المشْرِكِينَ وَزَلْزَلَتْهُمْ   زَلَازِلُه وَطِفْلَهُمَ أَشَابَا

فَكَمْ دَارٍ لَهُمْ لَمَّا غَزَاهَا   بِهِمْ أَقْرَى القَشَاعِمَ وَالعِقَابَا

وَكَمْ فُلْكٍ لَهُمْ أَضْحَى إِلَيْهِ   غَدَاةَ تَوَهَّمُوا النَّقْعَ الضَّبَابَا

فَقَلْعَتُه التى فى عَفْرٍ تَرْوَى   فَمِنْهم بعضُ مَاغَنِمَ اسْتِلَابَا

يُحَيِّرُ سُمْكُهَا البَازِى إِذَا مَا   عَلَيْهَا حَامَ مِنْ عَطَشٍ وَلَابَا

وَأَجْدَى البِرْكَةَ الخضراءَ أَنْهُرًا   فَنَاجَى عَذْبُهُ القُضْبَ الرِّطَابَا

نَقَى الجبروتَ فهو إليه لُطْفٌ   بِمَنْ سَكَنُوا المَرَابِعَ والشِّعَابَا

فَمَاتَ وبعده أَضْحَى إِمَامًا   بَلَعْرَبُهُ فَنَافَى مَا أَرَابَا

ومِنْه العدلُ شاعَ له شُعَاعٌ   ومنه الجودُ ما أَلِفَ انتِضَابَا

بَنَى حِصْناً بِيبرِينٍ وَفِيهِ   قَدَارَ تَحَبَّبَتْ مَدَارِسُه ارْتِحَابَا

فَأَكْرَمَ مَنْ لِعِلْمٍ سَاقَ عِيساً   وَمَنْ حَمَلَ الهَرَاوَةَ والجِرَابَا

فَمَا فِى الجُودِ مَاثَلَهُ كَرِيمٌ   وعنه الوفدُ ما شَهِدُوا احْتِجَابَا

فَلَازَمَ عَدْلَهُ وأَخُوه سيفٌ   أَحَالَ الشَّرَّ مِنْه لَهُ الشَّرَابَا

وشَبَّ عليهِ نارَ الحربِ حَتَّى   أَحالَ إليه أَقْسَى الصَّخْرِ لَابَا

فَلَازَمَ حصنَ يبرينٍ بِحَصْرٍ   وبالإحجام فيهِ الظنُّ خَابَا

فَبُويِعَ سَيْفُ وانقَادَتْ إِلَيْهِ   جُنُودُ عُمَانَ كُلُّهمُ طِرَابَا

وَمَاتَ بَلَعْرَبٌ فى ضِيقِ حَصْرٍ   وَعنه الصَّحْبُ ما فَرُّوا هِرَابَا

وَسَيْفُ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ بِسُوءٍ   غَدَاةَ الحِصْنِ صَارَ لَهُ اجْتِلَابَا

وَجَرَّدَ سَيْفُ سَيْفَ العَدْلِ لَمَّا ... غَدَا مَنْ كَالحَدِيدِ لَهُ مُذَابَا

وَحَارَبَ مَنْ هُمُو صَارُوا نَصَارَى ... وَمَنْ يَسْعَى لِنَصْرِهِم اغْتِصَابَا

لَهُ مُمبَاسَةٌ صَارَتْ وَصَارَتْ ... لَهُ الخَضْرَا فَمَا لَبِسُوا الجِبَابَا

وَكُلْوَةُ حَازَهَا مِنْهُم فَأَضْحَوْا ... لِنَارِ ذُبَابِ قَاضِبِهِ ذُبَابَا

وَسُلْطَانُ ابنُهُ لَمَّا حَوَاهَا ... عَلَيهِ عِدَاهُ حَرْبًا لَنْ تُجَابَا

سَقَى العَجَمَ الرَّدى بالسَّيفِ لَمَّا ... هُمُ ارتَكَبُوا ضَلَالَهم ارتِكَابَا

هَوَى البَحرَينِ مِنهُم واستَكَانُوا ... لَهُ وَفَرَّتْ نِسَاؤُهُم المَلَابَا

وَلَازَمْنَ الحُدُودَ غَدَاةَ صَارُوا ... لِنَارِ شَبَّهَا لَهُم احتِطَابَا

وفي الحَزمِ استَطَالَ إِلَيهِ حِصْنٌ ... فَمَا أَبقَى إِلَى العُجْبِ اعتِجَابَا

إِذَا شَاءَ الحَدِيدُ الثَّلْمَ فِيهِ ... تَنَاهُ لَهُ زُجَاجًا مُستَذَابَا

فَمَاتَ بِهَيبَةٍ لَاطَعنَ فِيهَا ... لِمَنْ أَضحَى إِلَيهِ الطَّعْنُ دَابَا

وَسُلْطَانُ بْنُ مُرْشِدِ فَهْوَ قُطْبٌ ... إِمَامٌ جَدُّهُ هَجَرَ اللِّعَابَا

تَرَكْنَا لِأَطرَافِ القَنَا كُلَّ لَذَّةٍ ... فَلَيسَ لَنَا إِلا بِهِنَّ لِعَابُ

أَرَى الأَحبَابَ نَائِلُهُ انصِبَابًا ... أَرَى الأَعدَاءَ أَسْهُمُهُ صِيَابَا

كَرِيمُ الكَفِّ لِلأَحبَابِ يَسقِي ... عِدَاهُ سُمَّ عَضْبٍ مَا تَنَابَا

أَرَى العُجْمَ انقِضَاضَ البَازِي لَمَّا ... بِأَرضِ صُحَارَ أَعلُوا انتِقَابَا

فَنَاجَزَهُمْ بِصُبْحٍ صَارَ لَيلًا ... أَحَالَ الأَنْجُمَ البِيضَ الضَّبَابَا

فَصَرَّعَ مِنهُمُ جَمعًا وَفِيهِ ... هُمُ تَرَكُوا جِرَاحَاتٍ عِطَابَا

وَلِلحِصْنِ انثَنَى فَقَضَى شَهِيدًا ... تَقِي بِالعَدلِ عَنهُ الاغتِيَابَا

فَذَا عَدُّ الأَئِمَّةِ مِنْ عُمَانِ ... فَمَا أَلِفَتْ وَلَا يَتْهُمْ سِبَابَا

فَحَسْبُهُمُ صَنِيعُهُمُ سُرُورًا ... يُجَزِّيهِم إِذَا شَهِدُوا الحِسَابَا

هذه القصيدة المسماة الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أسماء أئمة عمان العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل أئمة العدل هم الرشاد المنجاب به الظلام
بعد الأنبياء عليهم السلام فعملوا بالكتاب المبين
وبسنة سيد المرسلين وقاتلوا الذين هم اللئام ليس لهم
منا إلا الحسام فقاموا بالجهاد والاجتهاد وأماتوا
أهل البغي والفساد وقالوا لما شهروا السيوف الحداد لأهل العناد
ما أحلى الشهادة التي نحيى بها دار السلام والإسلام
والصلاة والسلام على أفضل الأئمة الكاشف بعدله
عنا ظلم الظلمة سيدنا محمد وآله الذين مع الإقدام في الأزل
لهم أقدام وأما بعد فقد سألني بعض الإخوان
في الدين أن أنظم قصيدة في أسماء أئمة عمان الصالحين
المنتقى من كتب المؤرخين المسمين عمان وغيرها بالتصريح المبين
وأن أشرحها شرحا مختصرا مفيدا لا شرحا بسيطا لا
يطلب العارف له من ملل فأجبته مع عدم النباهة
ووجود الفهاهة امتثالا للأمر واغتناما لعظم ارتفاع
قدره ولعمري لست أنا أهلا لنظم الأشعار المحكمة

ولا النثر

ويعني بالعجم هنا الذين [illegible] وغيرهم الحسين بن [illegible] آباءهم
[illegible] المحيطين بحصون [illegible] المتمردين عابر [illegible] وراء
[illegible] البازي الحمام [illegible] اي ارهم الايام
انقضاض البازي [illegible] عليهم وهم [illegible] الغريب
اي برطانتهم العجمية الخارجة عن افصح الالسن العربية
في البازي طائر مشهور وهو اقوى من [illegible]
[illegible] الى الارض [illegible] اذا انقض من الهواء الى الارض [illegible]
[illegible] تتشعع الطير منه [illegible]
الارض الذي [illegible] فقال [illegible] وطحن [illegible]
يرى في الارض فقال كثير
بغاث الطير اطولها [illegible] ولم تطل البزاة ولا الصقور
فالبزاة واحدها بازي وقال [illegible] المتنبي [illegible]
ليس كل [illegible] بالروق [illegible] وما كلهم [illegible] بازي
وكان بعض اهل الحقيقة يسمى عبد القادر الجيلاني الباز الاشهب
وفي كتابة منهم لم يريدون بذلك الا تفضيله على ساير رجال الحق
الطريقة [illegible]

فناجزهم فصبح [illegible] محرم [illegible] سيف

فناجزهم اي فنازلهم بالحرب معنى [illegible] سلطان بن سيف [illegible]

قال الشيخ الفضل

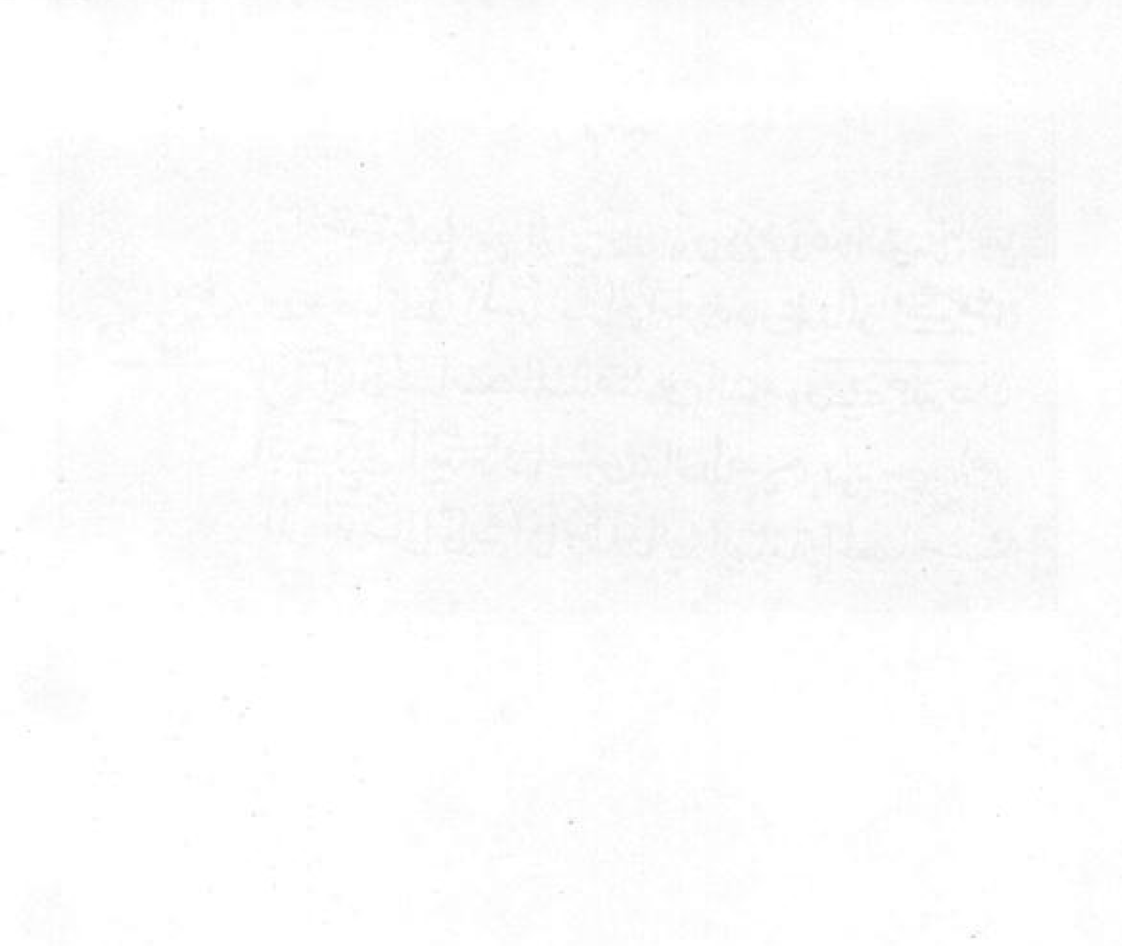
هكذا جعلهم راجع ضميرها الى الائمة ثمان الذين ذكرهم في هذه القصيدة بالفضل

ووصفهم بالفعل [illegible] والجزاء معروف [illegible] وشهدا [illegible]

اي [illegible] والحساب هنا المناقشة يوم القيامة ويعني جملة هذا

البيت وكفى الائمة ثمان المشهورين بالعدل [illegible]

الوهاب [illegible] والثواب اذا [illegible] يوم القيامة الحساب



الشعاع الشائع باللمعان

في

ذكر أئمة عمان

تأليف

حميد بن محمد بن رزيق

١٢٧٤هـ

تحقيق

عبد المنعم عامر

هذه القصيدة المسماة الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أسماء أئمـــة عمان وما لهم فى العدل من الشان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل أئمة العدل هم الضياء المنجاب [1] به الظلام بعد الأنبياء عليهم السلام ، فعملوا بالكتاب المبين ، وبسنة نبيّهم الأمين ، وقالوا لمن مذهبهم الإثام [2] ليس لكم منا إلا الحسام [3] ، فسموا بالجهاد والاجتهاد ، وأناروا أفق البلاد ، وقالوا لمن شهروا حدّ السيوف الحداد لأهل العناد ، ما أحلى الشهادة التى يرضى بها الله ، السلام والإسلام ؛ والصلاة والسلام على أفضل الأمة ، الكاشفة بعدله غياهب [4] الغمة ، سيدنا محمد وآله الذين مع الإقدام لا تزلّ لهم أقدام .

أما بعـــد ، لقد سألنى بعض الإخوان فى الدين ، أن أنظم قصيدة فى أسماء أئمة عمان الصالحين ، المنتوين عن المهجين [5] ، المسوّغين [6] عمان وغيرها بالصنع المعين ، وأن أشرحها شرحا مختصرا مفيدا ، أو شرحا بسيطا لا يطلب العارف له مزيدا .

فأجبته مع عدم النباهة ، ووجود الفهاهة [7] ، امتثالا لأمره ، وانخفاضا منى لا رتفاع قدره ؛ ولعمرى ، لست أنا أهلا لنظم الأشعار المحكمة ، ولا لنثر الأخبار

(١) اسم مفعول من انجاب بمعنى زال .

(٢) الإثام بكسر الهمزة والتأثيم بمعنى .

(٣) الحسام : السيف القاطع ، أو طرفه الذى يضرب به .

(٤) الغياهب جمع غيهب ، وهو الظلمة .

(٥) الهجنة بالضم ، من الكلام ما يعيبه ، وفى العلم إضاعته ، والهجين اللئيم .

(٦) سوغ بالتضعيف: أجاز وأعطى .

(٧) الفهاهة والفهفهة: العى وعدم القدرة على الكلام .

المعلمة[١] ، ولكنها شنشنة[٢] جزمية ، لا شنشنة أخزمية[٣] ، والمرجو من أهل الوفاء وإخوان الصفاء لى محض الإقالة[٤] ، إذا وجدوا حثالة[٥] فى المقالة .

وبالله التوفيق ، وبه لا بغيره يصاب التحقيق .

وقد سميت هـذه القصيدة : الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان ، وما لهم فى العدل من الشان ، طالباً بذلك الأجر والغفران من الله المنان ، فهو الغفور الكريم القدير ، وبالإجابة جدير .

فليعلم ذو الدراية الحيدة ، أن هذا أول القصيدة :

عُمَانُ عَنْ لِسانِ الحالِ رُدِّى ... جَوابًا منكِ أرجُو الجَوابَا

التفسير : لا يخفى على الخبير ، أن سؤالى لعمان ، وإرادتى منها الجواب ، مجاز لن يُرتاب ، إذ الدار لا تعقل فحوى الخطاب ، وليس لها فى الحقيقة قدرة على الجواب ، وإنما سمى المجاز مجازا أى مجاز للحقيقة فى هذه الطريقة .

ولله در القائل حيث يقول :

يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواء تكلَّمى ... وعِمِى صَبَاحًا دارَ عَبْلَةَ واسْلَمِى[٦]

---

(١) المعلمة بمعنى المعلومة والمعروفة الظاهرة .

(٢) الشنشنة بكسر الشين : الطبيعة والعادة .

(٣) أخزمية نسبة إلى أخزم الطائى ، مات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم فأدموه فقال شعرا ، شطر أحد أبياته ، شنشنة أعرفها من أخزم ، أى أنهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقه ، وقد صار مثلا .

(٤) الإقالة: التجاوز وعدم المؤاخذة .

(٥) الحثالة : الردىء من كل شىء .

(٦) قائل هذا البيت هو الشاعر الجاهلى عنترة بن شداد فى معلقته التى مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

والجواء بلد ، وهو أيضا جمع جو ، وهو البطن من الأرض الواسع فى انخفاض ، ومعنى =

وقال أبو تمام مع ذكره للرّبع [١] الذى خاطب أصحابه عنـه حقيقة أو مجازا لن يستزرى [٢] شعرا :

أُسَائِلُكُمْ مَا حَالُه حكَمَ البِلَى عَلَيْهِ وَإلّا فَاتْرُكُونِى أُسَائِلُه

فلا يخفى على العاقل ، على أن السائل إذا أطلق سُؤله [٣] على الديار العافية [٤] أو الأنيقة مراده بأهلها ، لا بها فى الحقيقة .

وفى الكتاب العزيز : ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فِيها ، وَالْعِيرَ الَّتى أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [٥] . أى واسأل أهل القرية وأهل العير فى التفسير .

وكذلك مرادى فى هذا الخطاب ، إرادتى من عمان لسؤالى الجواب مجازا . وفى الحقيقة مرادى أهلها ، والجواب منهم لا منها ، إذ هى بغير إبهام لا قدرة لها على الكلام ؛ وقولى كفاية لأهل الدراية عن لسان الحال ، رُدِّى جوابا ، على أنى أنحت السؤال لأهلها ، لا لها ، وأردت الجواب لى منهم لا منها .

وعمان سمتها الأزد بهذا الاسم الشريف ، وهم الذين سكنوها فى القديم ، وأجلوا الفرس منها ، فما تركوا لهم فيها يدا ولا حساما مسنونا ؛ وكانت الفرس تسمى عمان

= تـكلمى ، أخبرى عن أهلك ، وعمى أى انعمى ، ويروى أن أبا ذر لما أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : انعم صباحا ، قال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله قد أبدلنى منها ما هو خير منها ، فقال له أبو ذر : ما هى ؟ قال : السلام ، ومعنى اسلمى ، سلمك الله من الآفات .

(١) الربع : الدار والمحلة والمنزل .

(٢) فى الأصل يستزرا ، والمعنى : لن يعاب .

(٣) السؤل بضم الأول وسكون الثانى ، والسؤال بمعنى .

(٤) العافية ، هى الديار الزائلة المندثرة .

(٥) الآية رقم ٨٢ من سورة يوسف .

مَزُونا ، وللأزد بلاد فى الشام تسمى عَمّان ، فعرّفوا اسمها باسمها ، فأزالوا التشديد عن هذه ، وتركوه على حاله لتلك ، للتفرقة بينهما .

ولما قدم مالك بن عضوبة الأزدى السمايلى على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وجدّد إسلامه على يده قبل أن يأتيه منه كتاب سأل مالك النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أن يدعو له ولأهل عمان بالخير والبركة ، فدعا له ولمسلمى عمان دعاء حسنا ، والقصة مشهورة .

ولما رجع مازن [1] إلى سمايل أسلم أهل عمان كافة إلا أهل صحار ، ثم أسلموا لما وفد عليهم عمرو بن العاص بكتاب من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يدعوهم فيه للإسلام ، فنفوا بعد ما أسلموا من بقى من الفرس فى صحار وأعمالها على دينهم ، فلاذوا بفارس ، ومكث منهم بعمان من وحّد الله تعالى ، وصدق برسوله ، صلى الله عليه وسلم .

وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك لكسرى ، يدعوه لتوحيد الله ، والتصديق بنبوته ، صلى الله عليه وسلم ، وبعث الكتاب بيد رسوله لأهل عمان ، وأمرهم فى كتابه لهم ، أن يبعثوا كتابه إلى كسرى . فلما بعثوه ، وقرأه ، مزّقه ، وأبى الإيمان والإسلام .

فلما أخبر النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بذلك ، قال : اللهم مزق ملكه كما مزق كتابى .

فمرت دعوته صلى الله عليه وسلم ، فيه ، فأهلكه الله ، وفرق ملكه ، فما بقيت بعد ذلك للفرس دار يملكونها إلى الآن ، فهم فى كل بلاد لسلطانها رعيّة ، بعد دولتهم وصولتهم [2] القوية .

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب مالك المتقدم ذكره .

(٢) فعله صال يصول صولا بمعنى سطا ، والصولة : السطوة والغلبة .

ويروى عن عائشة ، رضى الله عنها ، أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : أكثر روّاد حوضى يوم القيامة أهل عمان .

وقولى شعرا :

أَمَا عَيْنٌ إِلَيْكِ لَهَا دُمُوعٌ عَلَى مَنْ جِسْمُهُمْ أَضْحَى تُرَابَا

التفسير : قولى ، أما لك استفهام ، أى ، أما لك يا عمان هموع[1] دموع على أئمة العدل ، الذين كانوا فيك فأصبح جسمهم لماحواه الجدث[2] ترابا بعدما اختضبت سيوفهم بدماء أهل الضلال اختضابا .

ومراده هنا بالعين العين الباصرة ، وبالدموع الماء المنهلّ منها مع الاكتئاب انصبابا ، والجسم معروف ، ويطلق على كل صانع صنعه صانع الصنائع ، وهو ، الله ، جل وعلا ، ويغلط كل من قال : كل صانع جسم ، ولا يغلط من قال : بعض الصانع جسم ، إذ صانع الصنائع هو الله القدير ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

ومراده بالجسم هنا بجملة مخصصة بإشارة معنوية عن الأئمة ، وإن جاء اللفظ بصيغة الواحد ، أى ، أمالك يا عمان دموع على أئمة كانوا فيك ، فصارت أجسامهم بعد الوجود ترابا .

قوله :

لَعَمْرُكِ ذِكْرِى مَنْ ذَكَرْتُهْ صَحَائِفُ عَنْهُمُ لَنْ تُسْتَرَابَا

قوله : لعمرك ، قسم منه بها لعزازتها عنده ، أى أقسم بك يا عمان ، ذكرى بلسان الحال ، يعنى نفسه ، من ذكرته صحائف عنهم ، يعنى الأئمة ؛ وقوله : لن تستراب ،

---

(١) همعت العين همعا وهموعا : أسالت دمعها .

(٢) فى الأصل الجدس بالسين ، وصوابه بالثاء ، والجدث محركة : القبر .

أى الصحف التى ذكرته عن الأئمة لاتستراب ، إنها عن أحبار[1] مطلعين على القصص والأخبار ، فهاء عنهم راجع ضميرها للأئمة ، الذين يشير بهم ، والصحائف جمع صحيفة ، وهن الكتب .

قوله :

هُمُ كَانُوا لِدِينِ اللهِ كَفًّا ... وَسَيْفًا لا يَمَلُّون الضِّرَابَا

التفسير ، مراده بقوله هم ، بأئمة العدل الذين كانوا بعمان خاصة ، وأخبر عن صنيعهم أيام دولتهم ، لا إبهاما ، أنهم كانوا لدين الله كفا وسيفا حساما ، يقتضبون أهل الضلال اقتضابا ، ولا يملون مع الجهاد الضرابا ، فالدين هنا الهدى البرىء من الضلال ، والكف والسيف معروفان ، والضرب والضراب بمعنى ، ومل زيد الضراب إذا كاعه[2] ، أى هم لا يكاعون الضراب بالسيف مع الجهاد يوم الجلاد ، وبتصريح لا بتعريض ، إشارة على أن الكف والسيف داخـــلان فى باب الاستعارة[3] .

قوله :

أَئِمَّةُ أُمَّةٍ كَانُوا فَبَانُوا ... كَغَيْمٍ صَبَّ فَانْقَشَعَ انْجِيَابَا

التفسير : فى هذا البيت تصريح عن جملة الأئمة العمانية ، وتخصيص بهم عن غيرهم ، بقوله ، أئمة أمة ، والأمة والأمم بمعنى ، ويمكن أن تكون الأئمة الذين ذكرهم هنا هم أئمةُ أمة بالضم ، بغير إضافة ويمكن أن يكون ، أئمة أمة على الإضافة ، أى أئمة خلقٍ كثير ؛ ومراد الناظم بالأول ، إذ هو أليق بهم ، تعظيما وتفخيما .

(١) جمع حبر وهو العالم .

(٢) كاع عنه إذا هابه ، والمعنى أنهم لايهابون الضرب ولا يجبنون عنه .

(٣) الاستعارة استعمال اللفظ فى غير معناه الحقيقى لعلاقة المشابهة .

وقوله : كانوا فبانوا ، أى كانوا بعمان فبانوا عنها لما نقلهم [١] من الوجود إلى العدم الجديدان [٢] .

ولا غرو ، فإن الله تعالى يقول لخير خلقه ليعتبر المعتبرون : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [٣] .

والغيم السحاب ، جمع غيوم ، والكاف للتشبيه ، وصبّ الغيم ماءه إذا همره [٤] ، وانقشع وانجاب بمعنى ، أى بعد ماصب الغيث الزلال زال ونصب الانجياب على الحال ، فشبه أولئك الأئمة بالغيم التى صبت مياهها فغمرت به جلدا [٥] ورِبْعا [٦] ، ثم انقشعت سريعا .

قوله :

أَقَامُوا الْعَدْلَ بِالْعَزْمِ الَّذِيّ إِلَى الْمُعْوَجِّ يَنْخَفِضُ انْتِصَابَا [٧]

التفسير : أقاموا العدل ، أى نصبوه ، يعنى الأئمة المذكورين جملة ، والعدل ضد الجور ، والعزم والعزيمة بمعنى واحد ، عزم المرء على الشىء إذا أوقع رأيه على إنفاذه ، ولم يحدث نفسه بمنوبة [٨] عنه ، والمعوج ضد المستقيم ، والمخفض نقيض

---

(١) فى الأصل نقلتهم : بتأنيث الفعل .

(٢) الجديدان والأجدان الليل والنهار .

(٣) الآية رقم ٣٠ من سورة الزمر .

(٤) فى الأصل ، أهمره ، بالهمزة ، وصوابه بدونها ، وهمـــره يهمره إذا صبه . (القاموس المحيط) .

(٥) الجلد محركة : الأرض الصلبة المستوية الظهر .

(٦) المكان الذى تربع فيه الإبل .

(٧) يلزم تضعيف ياء الذى ونطقها حتى يستقيم الوزن ، ولو أن المؤلف استبدل بالذى كلمة الأبى أو الفتى لاستقام الوزن والمعنى .

(٨) أى برجوع عنه ، وفعله ثنى مجردا ، كسعى وزنا .

انتصب ، أى أقام[١] العدل أولئك الأئمة الذين لا غيرهم إلى المعوج ينخفض انتصابا ، وذلك الشأن هو شأن الجبان، فهو كلما عزم على إنفاذ أمر ليكتسب به حمدا ثبّطه[٢] يمينه عن تناوله ، وساق له رعبه وساوس مهولة دونه ، فبقى على جبنه محروما من الحمد والثناء ، قلبه مرتج ، ورأيه معوجّ ، فهو إذا رأى أصغر الحبال خيّله جبنه إليه أكبر الصلال[٣] .

قوله :

سَقَوا أسْيافَهُم بِدَمِ الأعادِي وَمَا أَصْدُوا بِطَعْنِهِمُ الحِرابَا

يقول : أولئك الأئمة المذكورون سقوا أسيافهم بدم الأعادى ، أى أعاديهم خاصة ، وكما سقوا أسيافهم بدمهم لم يصدوا رماحهم من دمهم ، أى لم يعطشوها ، فهم فى الشأنين سيّان ؛ فإن من شروط الإمام العادل ، أن يكون رءوفا بالمؤمنين والصالحين ، فظًّا غليظًا على أعداء الدين ، شجاعا عاقلا ، لبيبا ، عالما ، شهما ، أريبا ، متفقدا لأمور رعيته ، لا تاركهم سدى ، كثير الدّأب فى طلب العدل فى المهامه[٤] والكُدَى[٥] ، وعن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يغفل ، ولا يشاور الذى قلبه مع الشدائد بالخوف يتقلقل ، وإذا عنّ[٦] له من المخاوف شأن لم يقل لرعيته ، ما وجدت لدفعه شأنا ، لكن ينفق إلى مصادمته السرج والعنان ، ويشنّ إلى ملاحمته

---

(١) فى الأصل ، أقاموا ، وصوابه ماذكر ، ففاعله اسم الإشارة بعده .
(٢) ثبطه عن الأمر عوقه عن فعله وأدائه .
(٣) الصلال جمع صل بكسر الأول والتضعيف ، وهى الحية من الثعابين ، والداهية .
(٤) جمع مهمه ، وهى المفازة البعيدة والبلد القفر .
(٥) الكدى على وزن قرى الجبال .
(٦) أى ظهر وبان .

المشرفىّ والسنان(١) ، فإن كان هو ، كما قلت ، فاعل فهو الإمام العادل ، وإذا كان لا فهو عن العدل عادل .

قوله :

أَعَزُّوا الإستِقامَةَ ، والأعادِى   لَهُم ذَلُّوا ، وَما نَصَرُوا العِتابا(٢)

قوله : أعزوا الاستقامة ، يعنى الأئمة المذكورين ، هم أعزوا الاستقامة ، أى أهلها ، وأهلها هم الإباضيون المنتسبون إلى عبـــد الله بن إباض التميمى مذهبا ، وواو الأعادى واو الاستئناف ، أى أذلوا الأعادى بالعدل والإنصاف ، والسيوف الصوارم الخفاف .

وعبد الله بن إباض المذكور هو أول من فارق فرق المارقين(٣) من الرافضة ، والزيديّين(٤) ، والأشعرية(٥) ، والخوارج(٦) المارقين من المعتزليين(٧) ، وسائر فرق

(١) المشرفى هو السيف والسنان هو الرمح (٢) يلزم قطع همزة الوصل فى كلمة الاستقامة لضرورة الوزن الشعرى . (٣) الخارجون عن طريق الدين .

(٤) الروافض كل جند تركوا قائدهم ، والرافضة فرقة من الخوارج ، والزيديون فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ، ثم قالوا له ، تبرأ من الشيخين فأبى ، فتركوه ورفضوه .

(٥) أصبح اسم الأشعرية علما على الفرقة التى تعتنق مذهب أبى الحسن الأشعرى مؤسس المذهب الكلامى الإسلامى ، والأشعرية وإن كانوا يذهبون مذهب إمامهم فى أن العقل يستطيع إدراك وجود الله إلا أنه ليس للعقل عندهم ماله من شأن عند المعتزلة .

(٦) الخوارج أول الفرق الإسلامية ، خرجوا على على بن أبى طالب وصحبه رافضين التحكيم وتحصنوا فى بعض المناطق بالعراق وبجزيرة العرب ، وقاوموا الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية مقاومة عنيفة ، وقد انقسموا إلى عدة فرق ، واشتهروا بالتشدد فى العبادة ، ويرون أن الخلافة لابد أن تتم عن اختيار حر ، وليس لمن اختير أن يتنازل ، أو يحكم ، ويرون كذلك أن العمل جزء من الإيمان ، فتارك الفرائض يحارب على تركها .

(٧) المعتزلة : من القدرية ، وقد زعموا أنهم اعتزلوا فئتى الضلال عندهم ، أهل السنة والخوارج ، أو سماهم به الحسن البصرى لما اعتزله واصل بن عطاء وأصحابه ، وجعل يقرر القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو بين المنزلتين ، فقال الحسن اعتزل عنا واصل .

الحائدين عن طريق حقيقة الدين، وهم مع حيدهم يدّعون هم المحقّون باللسان، لا بالبرهان، ولو أنهم إلى الإنصاف قرعوا لرأوا الأمر لا كما زعموا .

وقوله : ذلوا وما نصروا العتاب ، أى ذلوا عن أولئك الأئمة ، لما جرّدوا عليهم سيوف الإنصاف ، والصوارم الخفاف ، كما ذكرنا ، وما نصروا من أتاح لهم العتاب لما نفروا بذلّهم عنهم كحمر مستنفرة ، فرّت من قسورة[١] .

قوله :

إذا باغِي الشأمِ سَطَا بِكَفٍّ إلى أَجْنَادِهِ عَدَمَ الرِّقابا[٢]

الباغى المؤلف للبغى، المخالف للإنصاف والهدى بالاعتداء ، والشأم بالهمزة الشام، وهى قرى من أمصار كثيرة ، يقال : زيد أشأم ، إذا قصد الشام ، وأعرق إذا قصد العراق ، وأنجد إذا قصد نجد ، وأتهم إذا قصد تهامة ؛ وسطا زيد على عمرو إذا صال عليه ، والكفّ معروفة ، وهى مؤنثة ، وقد مضى فيها الكلام ؛ والأجناد جمع جند وجنود، وهم الجيوش الكثيرة، وعدم المرء الشىء إذا فاته ولم يجده، والرقاب جمع رقبة.

وفى هذا البيت يشير لحرب عبد الملك بن مروان وسعيد وسليمان الجلنديين ، وسائر أهل عمان .

وذلك لما صار ملك الشام إلى عبد الملك بن مروان[٣] استعمل عبد الملك الحجاج ابن يوسف الثقفى على العراق ، وكان ذلك فى زمن سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد الجلندا ، وهما فى ذلك الزمان القيّمان بعمان، فكان الحجاج يبعث لحربهم الجيوش، وهما يفضان جموعه ، ويبيدان عساكره فى مواطن كثيرة من عمان ، وكلما أخرج لهما

(١) القسورة : الأسد .

(٢) يقتضى وزن الشعر مدهمزة كلمة الشأم .

(٣) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء الدولة الأموية (٦٨٥ – ٧٠٥ م) ويعد المؤسس الثانى لدولة بنى أمية لأنه أنقذها من الأخطار التى خلفها أبوه .

جيشا هزماه ، واستوليا على سواده[١] ، إلى أن أخرج لهما القاسم بن شعوة المزنى في جمع كثير .

فخرج القاسم بجيشه حتى انتهى إلى عمان في سفن كثيرة فأرفاها[٢] في قرية من قرى عمان ، يقال لها ، حطاط[٣] .

فسار إليه سليمان بن عباد بالأزد[٤] ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكانت الدائرة على أصحاب الحجاج ، فقتل القاسم بن شعوة وكثير من قومه ، واستولى سليمان على سوادهم .

فبلغ ذلك الحجاج فهاجه الأمر فاستدعى المجاعة بن شعوة ، أخا القاسم ، وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم ، وينادى في قبائل نزار[٥] من حيث كانوا ، ويستعينهم، ويستنصرهم ، وأظهر الحجاج الغضب والحمية والأنفة ، وكتب بذلك إلى عبد الملك ابن مروان ، وأقعد وجوه[٦] الأزد الذين كانوا معه بالبصرة[٧] لسليمان بن عباد ، فكان عدد العسكر الذين جمعهم الحجاج وأخرجهم إلى عمان أربعين ألفا ، فأخرج من جانب البحر عشرين ألفا ، ومن جانب البر عشرين ألفا ، فانتهى القوم

---

(١) السواد من الناس عامتهم ، والمراد العدد الكثير .

(٢) أى صعد بها وسار إليها .

(٣) بلدة في منطقة حطاط ، وهى إحدى مناطق المنطقة الشرقية .

(٤) حى من أحياء اليمن ، ينسبون إلى أزد بن الغوث ، ومن أولاده الأنصار كلهم، ويقال أزد شنوأة وعمان .

(٥) ينسبون إلى نزار بن معد أبيهم

(٦) أى سادتهم وأعيانهم .

(٧) البصرة ميناء العراق الرئيسى وتبعد ١١٨ كم عن الخليج العربى ، وقد تأسست زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ م ، بناها عتبة بن غزوان بعيدا عن النهر وعلى طرف البادية حيث تلتقى الطرق البرية مع الطرق المائية ، وكانت أرض البصرة تسمى الأبلة ، فاختطها عتبة.

الذين خرجوا من البر إلى عمان ، فسار إليهم سليمان بفرسان الأزد ، فكانوا ثلاثة آلاف فارس ، وأصحاب النجائب خمسمائة وثلاثة آلاف رجل .

فالتقوا عند الماء الذى دون البلقعة [١] بخمس مراحل [٢] ، وقيل : بثلاث ، وهو الماء الذى يقال له اليوم ، البلقعين .

فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم أصحاب الحجاج ، فأمعن سليمان فى طلبهم وهو لا يعلم بشىء من عساكر البحر حتى انتهى عساكر البحر باليونانية من جلفار [٣] ، فأتاهم رجل ، فأعلمهم بخروج سليمان بسائر العسكر للقائهم ، وما كان من خبر أصحابهم الذين مضوا على طريق البر ، وأن الباقين مع أخيه شرذمة قليلة . فلما وصل مجاعة بركا [٤] فنزل عليهم سعيد ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى حجز بينهم الليل .

وتأمل سعيد عسكره فإذا هم فى عسكر مجاعة كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود [٥] ، وقد قتل منهم من قتل .

فاعتزل من ليلته ، وعمد إلى ذراريه [٦] ، وذرارى أخيه ، فاعتزل بهم إلى الجبل الكبير ، وهو جبل بنى ريام ، الذى يقال له : الجبـــل الأخضر ، ويقال له أيضاً : رضوان ، بضم الراء ، ولحقه القوم فلم يزالوا محصورين حتى وافى سليمان .

---

(١) البلقعة والبلقع : الأرض القفر .

(٢) جمع مرحلة .

(٣) هى إمارة رأس الخيمة التى تقع فى أقصى المنطقة الشمالية لإمارة الشارقة .

(٤) فى الأصل بركة ، وهى مدينة بركا التى تقع على ساحل منطقة الباطنة ، غربى مدينة مسقط وعلى بعد ٤٣ ميلا منها

(٥) يعنى ، أن عددهم قليل جدا .

(٦) الذرارى جمع ذرية وهم الأبناء والولد .

وكان مجاعة قد أرق سفنه دون بلدة مسقط [١] ، وكان عددها ثلاثمائة سفينة .

فمضى إليها سليمان ، فأحرقوا منها نيّفا [٢] وخمسين سفينة ، وانفلت الباقون فيها إلى لجّ [٣] البحر ، وتصور لمجاعة آنذاك ما قاله له سليمان ، فخرج يريد البحر ، فالتقى هو وسليمان فى قرية سمايل [٤] ، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة ، فانهزم مجاعة ، ولحق بسفنه ، فركبها ، ومضى إلى جلفار .

وكتب إلى الحجاج ما جرى عليه ، والقصة طويلة ، تركتها طلب الاختصار .

قوله :

وَعَضَّ أَمِيرُهُمْ كَفًّا وعَفَّتْ كَوَاعِبُه بِأَدْمُعِها الخِضَابَا

العض لا يكون إلا بالأسنان على الكفّ وغيرها ، والأشهر على الكفّ مع الحزن والأسف ، وفى الكتاب الكريم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [٥] : فعضه هنا على كفّه أسفا وحزنا ، والعض أيضا بالأسنان على الثمار ، كالتفاح والسفرجل [٦] وغير ذلك لا من حزن

---

(١) بلدة شهيرة بساحل بحر عمان . وهى عاصمة السلطنة العمانية ، وكان لها أهمية تجارية ، أخذتها عنها مدينة مطرح حيث تبدأ طرق القوافل إلى الداخل ، وقد استولى عليها البرتغاليون (١٥٠٨ – ١٦٤٨ م) ثم آلت إلى حكم بعض أمراء الفرس ، ثم أصبحت عاصمة سلطنة عمان سنة ١٧٤١ م .

(٢) النيف : الزيادة ، ويقال عشرة ونيف ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف إلى أن يبلغ العقد التالى .

(٣) يعنى داخل البحر ، واللج بالضم : معظم الماء .

(٤) سمايل مدينة بسلطنة عمان ، تقع على الجانبين الأيمن والأيسر من وادى سمايل ، وطول هذه المدينة ستة أميال تقريبا ، وهى مدينة مشهورة بمزارع النخيل وبحصنها الشهير .

(٥) الآية رقم ٢٧ من سورة الفرقان .

(٦) السفرجل: ثمر معروف ، قابض ، مقو ، مشه ، مسكن للعطش ، جمعه سفارج ، والواحدة بهاء .

وإنما اللذة بلطافة ذلك العض على الخدود لمن له شبق [١]

قال أبو نواس شعرا :

وَكُلَّمَا عَضَضَ تُفَّاحَةً قَبَّلْتُ مَا يَفْضُلُ مِنْ عَضَّتِهِ

وعض الحيوان الذى لايعقل على بعضه بعضا، وعلى الحيوان الذى يعقل لايكون إلا من غضب ، والكفّ قد مضى فيها الكلام ، والأمير قد يكون دون الخليفة منزلة ، وقد يكون هو الخليفة ، فكل خليفة أمير ، وما كل أمير خليفة .

وقوله تعالى : ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ..﴾ [٢] الآية أى دونك أهل زمانك ، مرتبة فى الفضل .

وقوله : وعفت كواعبه بأدمعها الخضاب ، أى أزلن بانسجام أدمعهن أثر الخضاب من أكنهن بمسحهن لأدمعهن ، والكعاب واحدتهن كاعبة ، وكاعب ، وهما لتكعب ثدييها [٣] وبقيا فى حجمهما لا يتقلقان ، والخضاب ما يخضب به الكف وغيرها من حناء وورس [٤] وزعفران [٥] وسائر الأطياب ، وها هنا يشير بنساء الحجاج لما أبلغن بالخبر عن مقتل القاسم بن شعوة المرّى ، وقتل من قُتل من أصحابه، وعن انهزام الجماعة بن شعوة بعده ، وقتل منهم من قتل بعمان ، ذلك مما يشمت الشامت به على الحجاج ، فنساؤه يدخلن فى الدعاء عليه من الشامت عليه ، إذ هواهن ناموسه ، وسعيهن إلى [٦] انعكاس حظه ونحوسه، وهذا شأن مفهوم لا تجهله الخواص والعموم .

---

(١) الشبق شدة الشهوة . (٢) الآية رقم ٢٦ من سورة ص .

(٣) فى الأصل ، ثدياها ، وهما مثنى ثدى ، مضاف إليه مجرور بالياء .

(٤) الورس: نبات كالسمسم لا يزرع إلا فى اليمن ، ذو رائحة طيبة .

(٥) نبات يتخذ ثمره للصبغ ، ويقال ، إنه إذا كان فى بيت لا يدخله سام .

(٦) مكانه فى الأصل مطموس ، واللفظ من المحقق .

قوله :

وَقَالَتْ : مَا الإِبَاضِيُّونَ إِلَّا أُسُودٌ يَدْعُونَ عُمَانَ غَابَا

المعنى ، أن النسوة اللواتى ذكرهن فى البيت الذى قبل هذا البيت قلن لما أزلن خضاب أيديهن بانسجام أدمعهن على مصاب قومهن اكتئابا بلسان المقال ، أو لسان الحال ، ما الإباضيون إلا أسود يدعون عمان غابا لسرعة الثأر[1] وإزالة البأس[1] عن قومهن الباقين ليذهبوا لحرب العمانيين ، وهكذا من عادة النساء إذا أردن أن يحمسن قومهن ، ويحرضنهن على قتال الفئة التى سطت على قومهن ، مَدَحْنَ الفئة التى سطت عليهم ، وبلغت المطلوب منهم قتلا أو هزما تنشيطاً لهم على حرب ضدهم ، وتحميسا يمنعهم من التكاسل عنهم والصدود ، والأسود واحدها أسد ، والغاب بيت الأسد كالغابة .

قال الغزّى شعرا :

يا رَبْعُ فِيكَ المَهَا وَالأُسْدُ أَحْبَابُ فَقُلْ لَنَا أَكُنَاسٌ أَنْتَ أَمْ غَابُ[2]

الكناس بيت المها والظباء ، سمى كناسا لأنهن يكنسن فيه ، والغاب بيت الأسد.

قوله :

نَعَمْ وَهُمْ أُسُودُ الْغَابِ كَانُوا فَمَا مَسْعَاهُمُ لِجِهَادٍ خَابَا

قوله : نعم إثبات منـــه وتقرير لقول النسوة : ما الإباضيون إلا أسود غاب

---

(١) مكان اللفظين مطموس فى الأصل .

(٢) المها : هى البقرة الوحشية ، ويضرب بها المثل فى جمال العيون اتساعا واحورارا ، والربع هو الموضع الذى يرتبع فيه القوم فى فصل الربيع ، ووردت الإبل الربع ، يعنى ، أن تحبس الإبل عن الماء ثلاثة أيام ، ثم ترده فى اليوم الرابع .

إلى تمام البيت ، أى ، نعم هم كانوا كما قلن مع الضراب أسود غاب ، فما مسعاهم لجهاد خاب ، والجهاد معروف ، وفلان ما سعية خاب ، أى ما ضاع بنائبة ، ولا وقع من واجبة إلى سالبة .

قوله :

وَمَا عَنْ عَدْلِهِمْ عَدَلُوا لِجَوْرٍ وَلَا هَتَكُوا لِمَحْجُورٍ حِجَابَا

لقد مضى القول فى العدل أنه خلاف الجور ، يقول : أولئك الأئمة المذكورون عن عدلهم ما عدلوا ، أى ، ما مالوا عن عدلهم لجور وباطل وضلال ؛ وفى الكتاب العزيز : وعن أى هم يعدلون [1] ، أى يميلون عن الحق إلى الضلال ، وقوله : وما هتكوا لمحجور حجابا ، أى ، وما كشفوا لمحرّم حجابا ، لما جاسوا [2] خلال ديار المعتدين ، المقرين بالتوحيد ، المائلة بغيتهم إلى البغى ، وإلى كل باغ عنيـد ، فهم لما نصرهم الله عليهم لم يهتكوا لمخدّرة من نسائهم حجابا ، ولا نزعوا لغير مخدرة من نسائهم جلبابا ، لأن سبى نساء المسلمين وسلب أموالهم لا يجوز عند الاستقاميين ؛ وهتك الحجاب كشفه وإزالة ستره عن من استتر به .

قوله :

لِدِينٍ لَا لِدِينَارٍ هَوَاهُمْ فَفَاتُوا الرَّيْبَ وَاجْتَنَبُوا الرَّبَابَا

يقول : وإن أولئك الأئمة المذكورين هواهم ، أى حبهم ، لدين القهار ، لاهواهم للدرهم والدينار ، ففاتوا الريب إذ لا هواهم إليه ، واجتنبوا الرباب إذ لا معولهم عليه ،

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل المؤلف قد التبس عليه لفظ ماورد فى القرآن الكريم خاصا بالمعنى الذى يستدل عليه ، فلفظ يعدلون قد ورد فى الكتاب العزيز على نحو يغاير ماذكره ابن رزين ، وذلك فى الآيات رقم ١ ، ١٥٠ من سورة الأنعام ، ورقم ١٥٩ ، ١٨١ من سورة الأعراف ، ورقم ٦٠ من سورة النمل ، وليس غيره واردا فى الكتاب العزيز .

(٢) الجوس طلب الشىء بالاستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت .

الـكلام مضى فى الدينار الذى تصنع دائرته[١] من ذهب ، وله نقش يروق الأبصار ، وقد يكون صغير الدائرة ، ويكون ما دائرته كبيرة على ما يقرره كل ملك ، ينقش اسمه فيـــه ، وكان وزن دينار جعفر بن يحيى البرمكى[٢] يزيد على مائة دينار لسائر الملوك الماضين ؛ وفيه يقول الشاعر :

وَأَصْفَرُ مِنْ ضَرْبِ دَارِ الملوكِ ... يَلُوح عَلَى وَجْهِهِ جَعْفَرُ[٣]

وقوله :

يَزِيدُ عَلَى مِائَةٍ وَاحِدٌ ... إِذَا حَازَهُ مَعْشَرٌ يُوسِرُ[٤]

وقيل : كان منقوشا فيه هذا البيت .

والريب ما ترتاب منه القلوب والعقول ، وقوم اجتنبوا وجانبوا من جانبوه اعتزلوه ، والرباب آلة من آلات الملاهى ، رخيمة الصوت ، تطرب المسامع بالسماع .

قوله :

شُرَاةٌ تَابَعُوا سُنَنًا حَكَاهَا ... رَسُولُ اللهِ واتَّبَعُوا الكِتَابَا

الشراة واحدهم شارى ، وهم الإباضيون الاستقاميون ، سموا بذلك لقولهم : شرينا أنفسنا فى سبيل الله ، أى بعناها للجهاد فى دين الله ، وقد أصاب الجوهرى لما حكى عن قولهم هذا ، وما وهم لما قال صاحب القاموس[٥] ، إنه وهم ، فإن الجوهرى

---

(١) مكانه مطموس فى الأصل ، ولفظه ولفظ فعله من وضع المحقق .

(٢) وزير هارون الرشيد أحد خلفاء بنى العباس ، وكانت نهاية أمره أن قتله الرشيد وأحرق جثته .

(٣) ضرب النقود صنعها وسكها .

(٤) المعشر : العشرة ، واليسر هو الغنى والثراء .

(٥) هو مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ، ويقول ، شرى الشر بينهم كرضى : استطار كاستشرى ، ومنه الشراة : للخوارج ، لامن شرينا أنفسنا فى الطاعة ، ووهم الجوهرى صحيفة ٣٤٨ الجزء الرابع ـ القاموس المحيط) .

تـكلم عما به تـكلموا ، لا من شرى الأسد كما زعم صاحب القاموس ، وقول الناظم : سنناً حكاها رسول الله ، واتبعوا الـكتابا تابعوا واتبعوا ، بمعنى ، أى اتبعوا السنن التى حكاها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أى تـكلم بها ، إذ حديثه ، صلى الله عليه وسلم ، كله سنة متبعة ، وكفى بذلك قوله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[1] ؛ فـكل ما نطق به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فهو عن الله لا شك فيه ، وقوله : واتبعوا الـكتاب ، أى أولئك الشراة اتبعوا الـكتاب ، وهو القرآن العزيز والسنة الشريفة ، فمن اتبعهما ربح فى الدنيا والآخرة ، ومن خالفهما خسر فى الدنيا والآخرة .

قوله :

إِذَا بَاغِي العِرَاقِ سَقَاهُ رَأْيٌ   لِفَلَّةِ بَأْسِهِمْ شَرِبَ السَّرَابَا

لقد مضى الـكلام فى البغى ، وعراق العرب من الـكوفة إلى أول الشام ، والسقى والرأى معروفان ، وانفل السيف وغيره إذا انثلم ، لازم لا معدى ، وفلّه وفلّاه غيره معدّى ، والشرب معروف ، والسراب اللألاء الذى يخادع العين من بعيد ، فتخاله ماء ، وليس هو ذلك ، وفى الـكتاب العزيز : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ الآية[2] ؛ وإنما الناظم لما ذكر أولا بغى أهل الشام على عمان ذكر بغى أهل العراق عليها ، يشير بحرب شيبان صاحب السفاح[3] للإمام الجُلَنْدا بن مسعود ، رحمه الله .

* * *

---

(١) الآيتان رقم ٣ ، ٤ من سورة النجم .

(٢) من الآية رقم ٣٩ من سورة النور .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطاب أول خلفاء الدولة العباسية ، وقد لقب بالسفاح لـكثرة ما أراق من دماء

الإمام الجلندا بن مسعود

كَفَى فَخْرًا عُمَانٌ بِالْجُلَنْدَا إِذَا اصْطَخَبَتْ بِفَخْرِهِ اصْطِخَابَا

الجلندا هذا هو الجلندا بن مسعود الجلنداني اليمنى الأزدى العمانى ، وهو أول إمام نصب بعمان .

كان الجلندا ، رحمه الله ، إماما فاضلا ، عادلا حليما ، تقيا عالما ، عاملا بالكتاب المبين ، وسنة النبي الأمين ، محمد عليه الصلاة والسلام من الله السلام .

خرج شيبان صاحب السفاح ، وكان السفاح قد طلب شيبان لجناية منه عليه .

فلما قدم[1] شيبان على عمان أخرج إليه الإمام الجلندا هلال بن عطية الخراسانى ، ويحيى بن نجيح وجماعة من المسلمين .

فلما التقوا بجلفار ، وصاروا صفّين قام يحيى بن نجيح ، وكان يحيى فضله شهيرا بين المسلمين ، فدعا بدعوة أنصف فيها الفريقين ، فقال : اللهم ، إن كنت تعلم أننا على الدين الذى ترضاه والحق الذى تحب أن يؤتى فاجعلنى أول قتيل من أصحابى ، ثم اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، ثم زحف القوم ، بعضهم على بعض ، فكان أول قتيل يحيى بن نجيح ، وأول قتيل من قوم شيبان شيبان .

فلما قتل شيبان وقتل من قتل من قومه ، وانهزم الباقون وصل إلى عمان حازم ابن خزيمة ، فقال للإمام الجلندا: إنا كنا نطلب هؤلاء القوم ، يعنى شيبان وأصحابه ، وقد كفانا الله قتالهم وشرهم على يدكم ،فأنا الآن مرادى أن أرجع إلى الخليفة السفاح ، وأخبره عنك ، أنك له سامع مطيع .

فشاور الجلندا المسلمين فى ذلك فلم يروا له ذلك .

---

(١) كان ذلك عام ١٣٢ هجرية

وقيل : سأل حازم الإمام الجلندا ، أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه ، فأبى الإمام الجلندا فوقع القتال بين حازم المذكور وقوم الإمام الجلندا ، فقتلوا أصحاب الإمام ولم يسلم إلا هو وهلال بن عطية الخراسانى ، فقال الجلندا : احمل يا هلال ، فقال له هلال : أنت الإمام ، فكن أنت أول أصحابك[١] ، ولك علىّ أن لا أبقى بعدك .

فتقدم الإمام الجلندا فقاتل حتى قتله حازم ، ثم تقدم هلال بن عطية الخراسانى وعليه لأمة[٢] حربه ، فكان أصحاب حازم يتعجبون من ثقافته ، ولم يعرفوه ، ثم عرفوه ، فتكاثروا عليه حتى قتلوه ، رحمه الله .

وكانت هذه الملحمة بينهم فى جلفار ، على أصح الأخبار .

وكانت مدة إمامة الجلندا ، رحمه الله ، سنتين وشهرا .

وقيل : الذى تولى قتل الإمام الجلندا حازم بن خزيمة ، فلما حضرته الوفاة قال له بعض صحبه : أبشر فقد فتح الله عمان على يدك ، فقال : غريتمونا[٣] فى الحياة ، وتغرّونا فى الممات ، هيهات ، فكيف لى بقتل الشيخ العمانى ، يعنى الإمام الجلندا ، رحمه الله .

وعن غير واحد ، أن رجلا من أهل عمان خرج إلى الحج ، وكان فى صحبته رجل من أهل البصرة ، لا يهدأ الليل ولا ينام ، فسأله العمانى عن حاله ، وهو لا يعرفه أنه من أهل عمان ، فقال : إنى خرجت مع حازم بن خزيمة إلى عمان ، فقاتلنا من أهلها قوماً لم نر مثلهم قط ، أهل صلاح ، وصبر[٤] على القتال ، فأنا من ذلك اليوم على هذه الحالة ، لا يأخذنى النوم .

فقال له الرجل العمانى فى نفسه ، أنت جدير بذلك ، إن كنت ممن قاتلهم .

* * *

---

(١) أول أصحابك من المحقق ، إذ مكانه طمس فى الأصل .

(٢) اللأمة هى الدرع .   (٣) التغرية هى التطلية .

(٤) فى الأصل ، وصبرا منصوبا ، وصوابه العطف على المجرور بالإضافة قبله .

[محمد بن زائدة ، وراشد بن شاذان بن النصر الجلندانيان]

ولما قُتل الجلندا وأصحابه ، رحمهم الله ، استولت الجبابرة على عمان ، فأفسدوا فيها ؛ منهم : محمد بن زائدة ، وراشد بن شاذان بن النصر الجلنديان .

وفى زمانهما حدث ما حدث من غسان الهناى ، الذى هو من بنى محارب ، فنهب نزوى [١] ، وهزم بنى نافع وبنى هميم [٢] بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا ، وذلك فى شهر شعبان سنة مائة وخمس وأربعين [٣] .

ثم إن بنى الحرث عصبوا لهم ، وكان فى بنى الحرث رجل عبدى من بكر ، يسمى زياد بن سعيد البكرى ، فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى العتيك ، ليقتلوا غسان الهناى .

فساروا إليه حتى كمنوا بموضع يقال له ، الخور [٤] ، وقد رجع [٥] عائدا رجلا مريضا من بنى هناه [٦] ، فمرّ بهم وهو لم يشعر بهم ، فقتلوه ، فغضب لذلك منازل ابن خنبش ، وكان منزله بدبا ، وهو عامل لمحمد بن زائدة وراشد بن شاذان الجلندانى ، فساروا إلى أهل أبرا [٧] على غفلة منهم .

---

(١) مدينة فى وسط سلطنة عمان . تقع على ارتفاع ١٩٠٠ قدم ، وعلى بعد ٢٠ ميلا من أزكى .

(٢) مكان هذا اللفظ مطموس فى الأصل ورسمه أقرب إلى ما ذكر .

(٣) الموافقة لسنة ٧٦٢ م (اكتوبر) .

(٤) والخور هو المكان المنخفض من الأرض .

(٥) أى غسان الهنائى .

(٦) قبيلة مقرها الرستاق المدينة فى منطقة الحجر الغربى .

(٧) أبرا : أكبر مدن المنطقة الشمالية .

فلما علموا بهم برزوا لهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فوقعت الهزيمة على أهل أبرا ، وقتل منهم أربعون رجلا .

ثم منّ الله بالرأفة على الحق ، فخرجت عصابة[1] من المسلمين ، فقاموا بحق الله ، وأزالوا ملك الجبابرة .

وذلك أن المشايخ العلماء من أهل عمان اجتمعوا فى نزوى ، ورئيسهم وعميدهم موسى بن أبى جابر الأزكانى، فأرادوا عقد الإمامة لمحمد بن عفان ، وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمنون على الدولة .

فخاف الشيخ موسى ألا يكون للمسلمين نزال ، وأن تقع الفتنة ، فقال : إنا قد ولينا فلانا قرية كذا ، وولينا فلانا قرية كذا حتى فرق أولئك الرؤساء ، وقدم معهم رؤساء آخرين ، لا يؤمنون على الدولة مثلهم .

فخاف الشيخ موسى وقوع الفتنة ، ثم قال : ولينا ابن عفان نزوى ، وقيل ، إنه قال : حتى تضع الحرب أوزارها .

فقال الشيخ بشير بن المنذر : إنا كنا نرجو أن نرى ما نحب ، فالآن رأينا ما نكره ، والحمد لله رب العالمين .

فقال موسى : إنا فعلنا بما نحب ، وأعلمه بسريرته ، وإنما أراد أن يفرق أولئك الرؤساء .

فمضى كل منهم إلى البلد التى وليها .

فكتب الشيخ موسى بعزلهم .

فعزلوا ، وبعث ولاة للبلدان .

وبقى محمد بن عفان فى العسكر ، فظهرت للمسلمين منـــه أحداث لم تعجبهم ،

---

(١) أى جماعة .

ومما أنكروا عليه جفوته للمسلمين ، وردّه للنصائح ، فلم يرضوا بسيرته ، فعملوا الحيلة في خروجه ، فأخرجوه من نزوى .

فاجتمعوا بعد خروجه ، فاختاروا الوارث بن كعب اليحمدى إماما .

فعزلوا محمد بن عفان ، وكانت مدة إقامته إلى أن عزلوه سنتين وشهرا .

وقول الناظم : إذا اصطخبت بفخره اصطخابا ، الصخب والصخبة : الصوت الرخيم والصوت البارع من حَلِيّ وغيره ، ونصب الاصطخاب على المصدر ، والفخر معروف .

قوله :

وَمَنْ ذَا كابْنِ مَسْعُودِ الْجُلَنْدا إمَامٌ سَيْفُهُ هَجَرَ القِرَابَا

أى: من ذا مثله فى أئمة عمان، يبادر الحروب بنفسه، فسيفه مذ بويع له بالإمامة لم يغمده عن أهل البغى حتى قتل شهيدا .

وقوله : سيفه هجر القرابا جانبه ، وقراب السيف علاقته .

قوله :

حَمِيدًا عَاشَ وَهْوَ قَضَى شَهِيدًا بِجِلْفَارٍ ، فَلَا عَدِمَ الثَّوَابَا

يقول : فالإمام الجلندا المذكور عاش حميدا ، أى لم يأت فى أيام حياته بشىء من الأفعال إلا حمد بها ، ولما مات مات شهيدا ، فإن أجر الإمام الشهيد عند الله عظيم ؛ وجلفار هى البلد التى تسميها العامة ، رأس الخيمة ، واحد يسميها الصير ، وفى القديم لاتسمى إلا جلفار ؛ وقوله ، لا عدُم الثوابا ، دعاء منه للإمام الجلندا حسن ، وارتجاء منه له عفوا من الله الكريم على ما اقترف من الصنيع الجميل ، فإن العبد الصالح الذى حسنت سيرته يجوز أن يتولاه المسلم حيا وميتا ، ويدعو له الله الكريم الدعاء الحسن على ما ظهر له من صالحه ، ولله ما ظهر وما بطن .

قوله :

تَخَضَّبَ جِسْمُهُ بِدَمٍ فَأَضْحَى إِلَيْهِ ثَوَابُ خَالِقِهِ الثِّيَابَا

أى تخضب[١] جسمه من الجراحات التى وقعت فيه دما عند مجالدته للعدى[٢] ، وأضحى له لما مات ثواب الله الثياب التى تكفن بها .

* * *

(١) الخضاب كـكتاب مايختضب به ، وخضبه يخضبه أى لونه .

(٢) هم الأعداء .

[الإمام الوارث بن كعب]

قوله :

وَوَارِثُ وَارِثٌ عِلْمًا وَحِلْمًا ... إِمَامٌ سَعْيُهُ بِالْعَدْلِ طَابَا

الوارث هذا هو الوارث بن كعب الخروصى ، الإمام الثانى بعمان ، لم يتقدمه فى الإمامة إلا الجلندا بن مسعود ، المقدم ذكره ، وقوله : وارث علما وحلما ، أى ورث العلم والحلم من السلف الماضين ، المقتدين بكتاب الله المبين ، وسنة نبيهم الأمين .

وقوله : إمام سعيه بالعدل طابا ، أى سعيه طاب بعدله ، كاد لا يأتى الزمان بمثله ، فالوارث ، رحمه الله ، كان فى العدل آية ، وفى الإنصاف غاية ، وله قبل البيعة أسرار دلّت على ولايته ، ولما بويع لم تأته[1] تلك الأسرار ، وسأذكر منها إذا فرغت من ذكر مناقبه[2] من هذه القصيدة ، إن شاء الله .

قوله :

وَلَمَّا جَاءَ عَنْ هٰرُونَ عِيسَى ... يَحُثُّ لِجُنْدِهِ الْخَيْلَ الْعِرَابَا

[هارون الرشيد وحربه لعمان]

جاء نقيض سار ، وهارون هو هارون الرشيد بن المهدى ، وعيسى بن جعفر قائد عسكره الذين وفد بهم على عمان بأمر هارون ، وسنأتى بالقصة بعد الفراغ من ذكر الإمام الوارث ، إن شاء الله ، والحثة ضد الخفوت[3] ، وقد مضى القول

---

(١) فى الأصل ، لم تأتيه ، والصواب حذف حرف العلة للجزم .

(٢) جمع منقبة ، وهى المفخرة .

(٣) حثه ، وحث عليه ، أى شجعه وحضه ، وهو فعل متعد ولازم ، والخفوت السكون والسكوت .

فى الجند ، والخيل قد يطلق على الواحد فى المدّ ، وعلى الجملة ، والخيل العراب العربيات التى تركب أمهاتها ملوك العرب ، وفرسان العرب فى القديم .

قال أحمد بن سليمان العزّى فى وصف السحاب بهن شعرا :

مَرَّتْ وَقَدْ تَرْمَحُ أَبْنَاهَا فِى الْجَوِّ بُلْقٌ عَرَبِيَّاتٌ[1]

أَوْ نِسْوَةُ الزِّنْجِ بِأَيْدِيهِم لِلرَّقْصِ قُضْبٌ ذَهَبِيَّاتٌ[2]

يصف البلق منهن والسود ، ويصف البرق بالقضب الذهبيات بيد النسوة الزنجيات.

قوله :

فَسِرْ يَا فَارِسُ وَشْكًا إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّوْعَ عَنْ حَوْبَاكَ غَابَا

قوله : فسر ، أمر من الإمام الوارث لفارس ، وهو فارس بن محمد بن عبد الله الأزدى ، وكان فارس المذكور شجاعا مشهورا ، وقوله : وشكا ، أى سر إليهم سريعا ، والروع الفزع ، والحوبا بالقصر وفتح الحاء النفس ، وغاب الشىء ضد حضر ، والمعنى ، سر إليهم يا فارس بخطا الثواب من الله الوهاب ، فإن الفزع عن نفسك غاب.

قوله :

فَبَادَرَ فَارِسٌ أَجْنَادَ عِيسَى فَأَطْعَمَهُمْ وَخَيْلَهُمُ الْكِلَابَا

بادرهم أى هجم عليهم فارس ، وهم أجناد عيسى بن جعفر المذكور ، وقوله : فأطعمهم ، أى فأقراهم وخيلهم ، بعد ما قتلهم ، الكلاب .

---

(١) البلق بالتحريك هو السواد والبياض ، والرمح ضرب من ضروب الجرى

(٢) الزنج والزنوج قوم من أهل السودان .

قوله :

وَفِي قَيْدٍ غَدَا بِصُحَارَ عِيسَى فَسَقَّتْهُ الشُّرَاةُ الْحَتْفَ صَابَا

القيد معروف ، وصحار[1] كذلك ، وهى مصر عمان ، كانت فى القديم للملك الجلندا الذى ذكره الله فى كتابه ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[2] يقول : ففيها قيد عيسى بن جعفر المذكور لما قتل من قتل من أصحابه ، وأخذ هو أسيرا ، وقوله : فسقته الشراة الحتف صابا ، أى قتلته الشراة فى القيد ، يعنى بعض الشراة الذين هم من أصحاب الإمام الوارث بن كعب المذكور ، والحتف الموت ، والصاب كل ما يعزى إلى العلاقم مرارة ، وسقته وسقّته بمعنى واحد .

قوله :

حُسَامُ سَلِيلِ كَعْبٍ مَا حَكَاهُ شِهَابٌ إِذْ بِهِ بَهَرَ الشِّهَابَا

الحسام السيف القاطع ، وسليل كعب : الإمام الوارث المذكور ، وقوله : ما حكاه أى ما شابه سيفه شهاب ، إذ هو بهر الشهاب أى بهره رؤية وفعلة ، والشهاب لسان النار ، وما ترسله الكواكب على الشياطين المسترقة ، وما تحرزه الكواكب عن الإرسال ، وتريه العيون كالذيل .

والمعنى : أن سيف الإمام الوارث ما ماثله شهاب كوكب نورانى ، ولا شهاب قبس[3] نارى .

---

(١) صحار : مدينة مشهورة وميناء هام يقع على بعد ٢٤ ميلا شمال غربى الخابورة ، وهى محاطة بسور مربع الشكل ، فى كل زاوية من زواياه الأربع قلعة مبنية من الحجر ذات طابقين ، ويروى بعض المؤرخين العرب أنها سميت باسم صحار بن أرم بن سام بن نوح النبى ، عليه السلام .

(٢) الآية رقم ٧٩ من سورة الكهف ، وليس صحيحا ما ذكره ابن رزيق . خاصا بمن تعنيه الآية : فالضمير يعود على صاحب موسى عليه السلام .

(٣) القبس محركة : شعلة نار تقتبس من معظم النار .

قوله :

وَمَنْ كَسَلِيلِ كَعْبٍ لَا بِخَطْبٍ يَثَلَّمُ لِلْجَهَابِذَةِ الْخِطَابَا

من هنا استفهام به ، وهو الإمام الوارث ، والخطب واحد الخطوب ، وهو صرف من صروف الزمان ، والثلم [١] قد مضى الكلام فيه ، والجهابذة واحدهم جهبذة ، وهم العلماء المشاهير ، والخطاب : الحديث ، والمعنى ، ومن كان كالإمام الوارث لابخطب الحوادث يثلّم حديثه للجهابذة المشاهير ، فهو ثابت الجنان ، لاتدهشه أزمات الزمان .

قوله :

قَضَى لَيْلًا بِسَيْلٍ عَمَّ نَزْوَى فَمَا أَبْقَى إِلَى سَيْلٍ عُبَابَا

قوله قضى : أى مات الإمام الوارث بليل ، فحذف الباء منه ، ونصبه على الحال [٢] . وقوله : بسيل عم نزوى السيل ما سال من الأمطار الشديدة ، وعم الشيء نقيض خصّ ، ونزوى هى أم عمان ، كثيرة النخل والأشجار ، والجداول والأنهار ، بلدة فسيحة ، لم تحكها سائر بلدان عمان بهجة ، أولها فرق ، وآخرها سمد الكندى ، ووهم صاحب القاموس بقوله : نزوى جبل بعمان ، وقوله : فما أبقى إلى سيل عبابا ، أى فما أبقى السيل الذى عمها انسكابا إلى سيل [٣] ، عبابا ، عبّ البحر إذا التطمت أمواجه ، وعب المطر إذا تعاظم انثجاجه [٤] .

---

(١) ثلم الإناء والسيف ونحوه كضرب وفرح وثلمه فأنثلم وتثلم : كسر حرفه فانكسر . والثلمة بالضم : فرجة المكسور .

(٢) كذا قال ابن رزيق ، والصواب أن نصبه على الظرفية .

(٣) فى الأصل سليل .

(٤) انثج الماء وثج : إذا سال .

القصة :

كان الوارث بن كعب ، رحمه الله ، قبل البيعة له بالإمامة يلازم الخلوات في الشعاب[1] والفلوات[2] ، ويكرر كلمة التقوى ، وكلما خلا سمع صوتا ولا يرى شخصه ، وهو يقول : أبشر يا وارث .

وروى عنه ، أنه مضى ذات يوم إلى الرستاق[3] بعد ما أظهر له البرهان نصاب[4] السكين ، فرأى رجلا مصلوبا على جذع ، فسأل بعض الناس عن جنايته ، فقال له : أراد السلطان منه كذا وكذا من الدراهم ، فأبى أن يسلمها له .

فمضى الوارث إلى ذلك السلطان فسأله عن جنايته فقال له ، أردت منه كذا وكذا من الدراهم ، كما أخبره ذلك الرجل، فمضى الوارث إلى ذلك الرجل المصلوب، وسأله عن جنايته ، فأخبره كما أخبره ذلك الرجل والسلطان . وقال له : لو كان معي شيء من الدراهم لفديت نفسي من هذا الجبار .

فقطع عنه الحبال ، ومضى به إلى سفح الجبل الذى هو سهيلي الحصن .

فلما أخبر السلطان عنه أرسل إليه بعض عسكره ، فلما اقتربوا منهما رأوا معهما عساكر كثيرة ، فأتوا إلى السلطان ، وأخبروه الخبر ، فقال : ما هو إلا ساحر ، خلوا سبيله .

فمضى الوارث وصاحبه إلى وادى بنى خروص ، وفشا خبره بعمان .

(١) الشعاب جمع شعب بفتح الأول وسكون الثانى وهو الجبل .
(٢) الفلوات جمع فلاة بفتح الفاء ، وهى القفر أو المفازة لاماء فيها ، وهى الصحراء .
(٣) الرستاق:مدينة فى منطقة الحجر الغربى ، بها قلعة شهيرة يعود تاريخ بنائها إلى ما قبل الإسلام ، وتقع هذه المدينة على ارتفاع ٨٠٠ قدم .
(٤) النصاب: الأصل ، ونصاب السكين جزأته .

فمكث الوارث بعض الأيام فى وادى بنى خروص ، ثم مضى إلى نزوى ، فاجتمع المسلمون على نصبه .

فلما بويع له بالإمامة وطىء أثر السلف الصالح من المسلمين ، وسار بالحق ، وأظهر العدل ، وأعز الحق ، وأهلك أهل الكفر والنفاق ، وقطع شقشقة البغى والشقاق .

وفى زمانه بعث هارون الرشيد [(١)] عيسى بن جعفر المصرى فى ألف فارس وخمسة آلاف راجل [(٢)] على إبل سباق .

فكتب داود بن يزيد المهلبى إلى الإمام الوارث ، يخبره عن عيسى بن جعفر ، قاصده بعسكره .

فأخرج إليه الإمام الوارث فارس بن محمد بعساكر جمة .

فالتقى جيش الإمام وجيش عيسى دون توام [(٣)] ، من أرض الجوف ، فكانت الدائرة على عيسى ، فقتل أكثر قومه ، وانهزم هو ومن معه إلى جلفار ، فركب البحر على سفن له .

فسار إليه أبو حميد بن فلح الحدانى السلوتى ومعه عمرو بن عمر فى ثلاثة مراكب ، فأسر عيسى ، وقتل من معه ، وأحرق سفنه ، وأتى به إلى صحار ، فحبسه فى حصنها .

وكتب إلى الإمام بما جرى بينه وبين عيسى وقومه ، وأنه قد حبسه .

فشاور الإمام الوارث فيه الشيخ على بن عزرة ، فقال : إن قتلته نواسع لك .

فأمسك الإمام عن قتله ، فتركه فى السجن .

---

(١) خامس خلفاء بنى العباس ، وقد بويع بالخلافة فى سنة سبعين ومائة .

(٢) أى ماش على قدميه .

(٣) توام الجوف هى البوريمى ، ويذكر ابن رزيق فى كتابه «الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين» أن التقاء الجيشين كان دون صحار .

فانطلق[١] إليه قوم من المسلمين ، وفيهم يحيى بن عبد العزيز بغير علم من الإمام الوارث ، فلما أتوا إلى صحار تسوّروا السجن ، فقتلوه من حيث لا يعلم الوالى ولا الإمام ، وانصرفوا من ليلتهم .

فلما علم هرون الرشيد قتل صاحبه عيسى بن جعفر عزم على إنفاذ جيش إلى عمان ، ثم مات من قبل أن ينفذ الجيش ، وكفى الله المسلمين شره .

وكان يحيى بن عبد العزيز من أفاضل المسلمين ، ولم يتقدم عليه فى الفضل بعد الإمام الوارث ، وشهرته بالفضل بعمان كشهرة عبد العزيز بحضرموت[٢] .

وكان الشيخ بشير بن المنذر يقول : قاتل عيسى بن جعفر أرجو لا يشم النار .

ولم يزل الإمام الوارث حسن السيرة ، قائما بالعدل ، ناهيا عن المنكر ، آمرا بالمعروف ، ومقامه ببلدة نزوى حتى اختار الله مما لديه .

[موت الوارث]

وكان سبب موته أن غرق فى سيل وادى كلبوه[٣] من نزوى ، وغرق معه سبعون رجلا من أصحابه ، وذلك أنه كان سجن المسلمين بنزوى عند سوقم مائل[٤] ، وكان فى السجن أناس محبوسون بأمر الإمام الوارث ، فأمر بإطلاقهم ، فلم يستطع

---

(١) فى الأصل ، فانطلقوا ، والصواب حذف واو الجماعة ، لأن الفاعل ظاهر بعده .

(٢) إحدى مناطق جمهورية اليمن الجنوبية ، تقع على خليج عدن والبحر العربى ، وأهم مدنها المكلا .

(٣) واحد من أودية المنطقة الداخلية ، ويمر فى وسط نزوى .

(٤) السوقم : الأشجار العظيمة ، وهو شجر معروف .

أحد أن يمضى إليهم خوفاً من الوادى، لكثرة السيل ، فقال الإمام : أنا أمضى إليهم ، إذ هم أمانتى ، وأنا المسئول عنهم يوم القيامة .

فمضى إليهم ، وتبعه ناس من أصحابه . فمرّ عليهم الوادى ، فحملهم مع المحبوسين، فمات الإمام الوارث ، وقبر بعد ما جف الوادى بين العقر وسمال من نزوى [1] ، وقبره مشهور ، مزاره معروف ، رحمه الله .

وكانت مدة إمامته إثنتى عشرة سنة وستة أشهر إلا بضعة أيام .

* * *

(١) مدينة فى وسط سلطنة عمان تقع على ارتفاع ١٦٠٠ قدم وعلى بعد ٢٠ ميلا من أز كى .

[الإمام غسان بن عبد الله]

قوله :

وَغَسَّانَ الهُمَامُ إمامُ عَدْلٍ بِنَارِ وَغًى أَعادِيهِ أَذابَا

غسان هذا هو غسان بن عبد الله اليحمدى الأزدى ، نصب للإمامة بعد الإمام الوارث بن كعب ، فوطئ آثار المسلمين ، وأعز الحق وأهله ، وأخمد الكفر ، وأزال الفساد ، وأعلا منار العدل ؛ والهمام ذو الهمم العالية ، والإمام من بويع له بالإمامة ، والعالم النحرير[١] ، ورئيس القوم ، والمراد به هنا الأول ، والوغى الحرب التى كثرت فيها الأموات والزعقات ، وذاب الشىء يذوب إذا ماع .

ومعنى البيت أن الإمام غسان ذو هم عالية ، وعدله أذاب عداه بنار وغاه .

قوله :

وَقَدْ قَطَعَ البَوَارِجَ عَنْ عُمَانٍ فَما مِنْهُمْ لَهَا بِالشَّرِّ آبَا

القطع ضد الوصل ، والبوارج واحدها بارجة[٢] ، طغاة من بغاة وطرّ[٣] ، وقوله : فما منهم لها بالشر آبا ، أى بعد ما قطعهم عن عمان فما منهم أحد لها رجع بطرّ ، والشر ضد الخير ، وسنأتى بقصتهم ، إن شاء الله تعالى ، إذا فرغنا من ذكر مناقب الإمام نظما .

قوله :

قَضَى لَا نَاطِقٌ عَنْهُ بِلَعْنٍ لِسَانٌ شَبَّ فِى ثَغْرٍ وَشَابَا

قد مضى الكلام فى قضى مات ، والناطق ضد الصامت ، والطعن هنا السبّ ،

---

(١) النحرير بالكسر : الحاذق الماهر العاقل المجرب الفطن البصير بكل شىء ، لأنه ينحر العلم نحرا . (٢) فى الأصل ، والبوارج واحدها بارجى ، والبارجة سفينة كبيرة للقتال .

(٣) الطر بالتضعيف هو الشد والسوق الشديد .

واللسان معروف ، وشب نقيض شاب ، وثغر المرء فمه ، وثغر البلاد جوانبها ، والمعنى: مات الإمام غسان ولا ناطق يقول بسب فيه بلسان شبّ فى ثغر وشاب فى فيه.

ومن أخبار الإمام غسان أن أهل عمان لما تكاثرت عليهم غزوات البوارج اتخذ لهم هذه الشذاوة ، وهى التى تسميها العامة الزواربق ، وهو أول من اتخذها وغزا بها ، فانقطعت البوارج من عمان ، وفى زمنه قتل الصقر بن زائدة ، وكان ممن بايع على راشد بن النضر الجلندانى ، وأعانه بالمال والسلاح ، وسبب قتله أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ، ومعه بنو هناه وغيرهم ، باغياً على المسلمين ، فقيل للإمام : إن أخا الصقر مع البغاة ، فذكروا للصقر فقال : هذا غير صواب ، وإن أخى معى فى الدار مريض .

فلما هزم الله البغاة تحقق أن أخا الصقر معهم، فاتهموه بالمداهنة[1] لما ستر عنهم أمر أخيه .

وكان الصقر يومئذ بسمايل ، فبعث إليه الإمام غسان سرايا[2] ، وكتب لواليه الذى بحصن سمايل، وهو الوضاح بن عقبة أن يسلمه لهم، فلما وصلوا قبضته الشراة[3] ، ومضى الوالى به معهم إلى الإمام .

وبعث الإمام أيضا سرية ثانية لقبضه ، ومن بعثه إليه فى السرية الثانية موسى ابن على ، فالتقوا بنجد السحا[4] .

فبينما هم فى مسيرهم إذ اعترض بعض الشراة الصقر ، فقتلوه ، ولم يكن للوالى أبى الوضاح ولا لموسى بن على حينئذ قدرة على منعهم من قتله .

---

(١) المداهنة أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطنه .

(٢) السرايا جمع سرية ، وتتكون من خمس أنفس إلى ثلاثمائة .

(٣) هم جند الإمام ، وقد لقبوا بهذا لأنهم شروا أنفسهم ، فبعدوا عن الضلال .

(٤) فى الأصل نجد السحاماه .

وبلغنا عن موسى بن على أنه خاف على نفسه ، وربما لو قال شيئاً من قبله لقتل معه ، ولم يبلغنا عن الإمام غسان إنكار على من قتل الصقر .

وكانت تلك الأيام صدر الدولة وقوتها ، فهذا كان سبب قتل الصقر .

ومن أحكام الإمام غسان رحمه الله أنه كانت لبنى الجلنـدا بسمد نزوى[1] دارة تسمى العقودية ، وكانت لتلك الدار عقود على الطريق المقصود ، وتلك العقود مظلمة ، يقعد فيها الفساق وأهل الريبة ، فإذا مرت امرأة تعرض لها أحد ، فبلغ ذلك الإمام غسان ، فحكم على أهل تلك الدار ، إما أن يهدموا تلك العقود ، أو يدخلوها فى دارهم حتى ينظر المار أهل الريبة ، فقيـل : إن أهل الدار أخرجوا طريقاً من أموالهم للناس ، فكان الناس يمرون على تلك[2] الطريق ، ثم هدم[3] العقود أهل تلك الدار ، ورجع الناس يمرون على الطريق الأول .

ولهذه العقود آثار ورسوم جدر حذاء[4] المسجد الجامع من سمد نزوى .

ولم نزل الإمام غسان قائما بالعدل والحق ، فرض يوم الأربعاء لثمان بقين من ذى القعدة سنة مائتين وسبع سنين[5] ، ومات من مرضه هذا بعد أيام يسيرة .

* * *

(١) أحد أقسام مدينة نزوى .

(٢) الطريق مذكر وقد يؤنث ، جمعه طرق ، وجمع الجمع طرقات .

(٣) فى الأصل ، هدموا ، وفاعله مذكور بعده ، ومن ثم فلا تلحق واو الجماعة بالفعـل .

(٤) فى الأصل سهيل سهيل .

(٥) سنة ٨٢٣ م .

[الإمام عبد الملك بن حميد]

قوله :

وَنَجْلُ حُمَيْدٍ فَهْوَ إِمَامُ عَدْلٍ تفَانَى(٢) بعْدَ مَا أَفْنَى الشَّبَابَا

التفسير ، قوله : نجل أى ابن حميد ، وهو عبد الملك بن حميد من بنى سودة ابن على بن عمرو بن ماء السماء الأزدى ، وقوله : تفانى (١) بعد ما أفنى الشباب ، أى مات بعد ما أفنى شبابه بطول عمره ، ولما بايعه المسلمون سار سيرة الحق والعدل ، واتبع أثر السلف الصالح ، وصارت عمان يومئذ به فى أمان واطمئنان .

بويع يوم الاثنين لثمان ليال بقيت من شوال ، سنة مائتين وثمان (٢) ، فجاهد فى الله حق جهاده ، ولم يبق قوة لأضداده ، ولم يزل مقيما بالعدل ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر حتى كبر وزمن وضعف مع طول العمر .

فلما وقعت الأحداث فى عسكره شاور المسلمون الشيخ موسى بن على فى عزله مع كبره ، وضعف بدنه ، وذهاب قوته ، فأشار عليهم أن يحضروا العسكر ، ويقيموا أود (٣) الدولة .

فأحضر موسى بن على العسكر ، وأقام أودهم ، ومنع الباطل ، وعبد الملك فى بيته لم يعزلوه ، ولم يزيلوه حتى مات وهو إمام لهم ، برىء من الطعن والريب .

* * *

---

(١) فى الأصل ، تفانا .

(٢) الموافق ٢٧ من فبراير سنة ٨٢٣ م .

(٣) الأود هو الاعوجاج .

[الإمام المهنا بن جيفر]

قوله :

وَناظَرَهُ المُهَنَّا فِي جِهَادٍ ... فَمَا نَظَرَ العَدُوُّ لَهُ ارْتِقابَا

قوله : وناظره المهنا فى جهاد ، أى وماثله المهنا فى الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما شهد العدو له ارتقابا فى الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والمهنا هذا هو المهنا بن جيفر اليحمدى الأزدى ، والجهاد معروف ، وقد مضى فيه الكلام ، والارتقاب الانتظار ، وفى الكتاب العزيز : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾[1] .

قوله :

إِمَامٌ أُمَّةٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ ... يُرَى وَبِنَابِهِ السَّيْفُ اسْتَنَابَا

أى ، والمهنا بالهيبة والتعظيم بلا مِرَاء[2] ، إمام فى كل عين يرى ، وسيفه بنابه استناب ، أى جعله نيابة عنه ؛ فإن للإمام المهنا نابا إذا كشره مع الغضب لم يكد يسلم من كشره عليه من العطب ، وهذا من المشهور مع الجمهور .

وعن نابه يقول الشيخ أحمد بن النظر شعرا :

أو كالمُهَنَّا فِي لَيَالِ الطَّفْلِ يَفْـ ... ـتَرُّ عَنْ نَابٍ زَبُونٍ أَعْضَلِ[3]

---

(١) الآية رقم ١٠ من سورة الدخان .

(٢) فى الأصل مرى ، والمراء والمرية الشك والجدل .

(٣) الطفل بالفتح الظلمة نفسها ، وليلة مطفل تقتل الأطفال بردا ، ويفتر أى يبين ويظهر ، والناب السن خلف الرباعية ، مؤنث ، والزبون الشديد ، والأعضل الغليظ ، والبيت من بحر الكامل .

قوله :

وَمَا هُوَ سَيْفُهُ سَيْفٌ كَهَامٌ وَلَا سَيْفًا لِأَهْلِ الْبَغْيِ هَابَا

يقول : وما هو ، يعنى الإمام المهنا بن جيفر المذكور ، سيفه سيف كهام ، والكهام السيف الذى لا يقطع ، ولا سيفا لأهل البغى هابا ، أى خشية .

قوله :

وَلَمَّا آلُ مُهْرَةَ خَالَفُوهُ وَحَادُوا فِي عُتُوِّهِمِ الصَّوَابَا

آل مهرة أعراب يسكنون فى زمن الإمام المهنا الرمل من عمان ، وهم مهرة ابن حيدان ، فولد حيدان عمرو بن الحاف بن قضاعة بن حمير مهرة وعمرو ، فولد عمرو مجيدا ، وغريبا ، وبريدا ، والنعمان ، والضيغم ، واللحا ، وجنادة وولد مهرة ابن حيدان عمرو ، وصطمرى ، وولد صطمرى بن مهرة ثلاثة نفر ، الأمرى وناعما والدّيل ، وولد الأمرى القمر والقرى والمُصتى والمسكا ، فمن قبائل القمر بنو ريام ، ومن القمر بنو جبريت وبنو يبرح ، ومن قبائل الديل حسريت والسوحم وبخنن ابنى حسريت بن الديل بن صطمرى بن مهرة .

وقوله : لما خالفوه وحادوا فى عتوهم[1] الصوابا ، أى لما عصوا أمره ، وجانبوا فى عتوهم إصابة الصواب لمخالفتهم له

قوله :

أَتَاحَ لَهُمْ قُيُودًا عَائِقَاتٍ وَسِجْنًا يُوجِسُ الْأَبْصَارَ بَابَا

قوله : أتاح أى أنفذ لهم لما عصوه ، وهم بنو مهرة المذكورون ، قيودا عائقات ،

---

(١) العتو الاستكبار ومجاوزة الحد .

أى ضيّقات، وسجنا، أى ومحبس يدهش الأبصار، أى بوحشها، بابا ضنكا[1] حرجا، والقيود معروفة، واحدهن قيد .

قيل : كان باب ذلك المحبس الذى يحبس فيه الإمام المهنا البغاة ، لا يدخله الجانى منهم إلا حبواً من شدة ضنا كته .

قوله :

وَمُذْ شَهِدُوا التَّبَابَ دَنَا فَتَابُوا وَكَانَ يُقِيلُ مِمَّنْ قِيلَ تَابَا

يقول : ومذ شهدوا ، أى رأى بنو مهرة التباب ، وهو الخسران والهلاك دنا إليهم ، أى اقترب إليهم فى ذلك المحبس ، فتابوا ، أى فأظهروا التوبة للإمام المهنا ، ولما قيل له تابوا عفا عنهم ، وكان من عاداته يقيل من قيل له تاب ، ورجع عن زلته ، أقاله بقيله ، إذا سامحه وعفا عنه عما كان منه .

قوله :

فَفَكَّهُمُ وَقَدْ نُصِبَتْ بِفَرْقٍ إِلَيْهِمْ وَهْىَ سَارِيَةٌ عِقَاباَ

يقول : ففكهم الإمام المهنا ، أى أطلقهم من الحبس والقيد لما صحت توبتهم لديه ، وذلهم إليه ، وقد نصبت لهم لما فكهم من الحبس والقيد سارية بفرق ، وهى التى تسميها العامة بالكلام الاصطلاحى نقصة ، وفرق بلدة صغيرة من أعمال نزوى ، كان يسكنها أيام حياته الشيخ العالم العامل ، القطب الربانى ، أبو الشعثاء جابر ابن زيد الأزدى[2] ، رحمه الله ، وقد نصبت تلك السارية لبنى مهرة عَلَماً ، ليؤدوا حولها ما عليهم من الزكوات الواجبات عليهم للإمام ، وقوله عقابا ، أى لتبقى لهم

(١) الضنك الضيق فى كل شىء .

(٢) أحد علماء الأزد وثقاتهم ، أخذ الحديث النبوى عن ابن عباس وعن ثقات الأنصار والمهاجرين ، وعن عائشة بنت أبى بكر ، أم المؤمنين .

تلك السارية بعد ما عوقبوا عقابا ، ما دام الإمام فى قيـد الحياة ليتأدبوا عن الاستنكاف [١] عن طاعتهم الواجبة إليه .

قوله :

فَأَدَّوا حَوْلَهَا مِمَّا عَلَيهِم ... إِلَيْهِ أَوْجَبَ الشَّرْعُ النِّصَابَا

يقول : فأدى [٢] بنو مهرة حول تلك السارية ، أى عندها مما عليهم إليه أوجب الشرع من أداء النصاب [٣] .

قوله :

كَسَاهُ هَيْبَةً رَبُّ الْبَرَايَا ... فَلَيْسَ ابْتَقَى بِهَا الأُسْدَ الغِضَابَا [٤]

يقول : كساه الله هيبة ، يعنى الإمام المهنا ، فليس بها أبقى ، أى خشى الأسد الغضاب ، يعنى أعداءه المخالفين للسنة والكتاب ، أخبر عن قوتهم ، فى الوصف وانعكاسها إليه ، بالضعف .

ولله درّ المتنبى حيث يقول شعرا :

أُسْدٌ فَرَائِسُهَا الأُسُودُ يَقُودُهَا ... أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الأُسُودُ ثَعَالِبَا

قوله :

وَأَحْسَبُ لَوْ عَلَيْهَا يَنْضُو نَابًا ... لَمَا أَبْقَى لَهَا ظُفْرًا وَنَابَا [٥]

---

(١) الاستنكاف الامتناع والاستكبار .

(٢) فى الأصل ، فأدوا بنو مهرة .

(٣) النصاب من المال هو القدر الذى تجب فيه الزكاة إذا بلغه .

(٤) فى هذا الوزن كسر محله همزة أبقى .

(٥) فى الأصل ينضوا بالألف وصوابه عدم الألف . فالواو لام الفعل،وليست واو الجماعة ، وتقتضى سلامة وزن البيت عدم مد الضم فى الفعل ينضو .

قوله : وأحسب أى وأظن لو عليها ينضو[١] نابا ، يعنى الإمام المهنا لو ينضو ، أى ، لو يجرد نابه على أولئك الأعداء المذكورين لما أبقى لها ظفرا تفرى[٢] به ، ولا نابا تنهش به .

وقد سألت بعض المشايخ عن الإمام المهنا ونابه ، فقال: إمام مهيب ، قد أودع رب الخلق فى نابه سرا ينوب عن البرق .

قوله :

فَمَاتَ بِهَيْبَةٍ لَمْ تَنْبُ حَدًّا وَعدْلٍ بِالْإِصَاءَةِ مَا تَغَابَا[٣]

يقول : فمات الإمام المهنا بهيبة لم ينب حدّها عن الأشرار ، وبإضاءة عدل ما تغابا عن الأبصار .

[ذكر بعض ما كان من سيره وأحكامه ، ولمع[٤] مما كان فى دولته وأيامه]

اتفق أهل العلم بالسير والأخبار من أهل عمان ، أن الإمام المهنا بن جيفر الأزدى ، لقد عقدت له الإمامة فى يوم الجمعة فى شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين[٥] ، فوطئ أثر السلف الصالحين ، وسار بسيرتهم ، وكان له ضبط وحزم ، لا يتكلم أحد فى مجلسه بباطل ، ولا يعين خصما على خصمه ، ولا يقوم لأحد من أعوانه ما دام

---

(١) نضاه أى جرده من ثوبه ، والسيف سله من غمده .

(٢) فراه يفريه أى شقه .

(٣) فى الأصل ، لم تنبوا ، والصواب حذف حرف العلة للجزم ، ونبا ينبو إذا كل وضعف ، وتغابا أى غاب .

(٤) جمع لمة بالضم ، وهى العمل الطيب المضىء بآثاره الجليلة .

(٥) الموافق إبريل سنة ٨٤٠ م .

قاعدا ، ولا يدخل أحد ممن تجرى له النفقة[١] ، العساكر ، إلا بالسلاح، وكان موليا على الصدقة رجلا من بنى ضبة ، يسكن بلدة منح ، يقال له : عبد الله بن سليمان ، وكان يرسله إلى الماشية ، فدخل أرض مهرة ، ووصل إلى رجل ، يقال له : وسيم ابن جعفر ، وقد وجبت عليه فريضتان ، فامتنع إلا أن يعطى صدقة واحدة ، وقال له : إن شئتها وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم ، فإن كل من خالفنا وأراد خلاف ما أردنا قتلناه ، فسكت عنه ورجع ، ومعه رجل جمال .

فلما وصلا إلى عزّ[٢] من عمان ، وكان منزل عبد الله بن سليمان المذكور بها مكث هو فيها ، وأرسل صاحبه الجمال إلى الإمام المهنا ، فلما وصل عنده وجده قاعدا فى مجلسه .

فلما أراد الإمام الانصراف دعا الجمال ، فسأله عن عبد الله وسيرته فى سفره ، فأخبره بما كان من وسيم تفصيلا وجملة ، فقال الإمام : اطو الخبر ، ولا تبده[٣] لأحد .

فلما وصل له عبد الله بن سليمان سأله عن وسيم ، فأخبره بما أخبره صاحبه الجمال.

فكتب الإمام من وقته إلى والى أدم[٤] ، وإلى والى سنا[٥] ، وإلى والى جعلان[٦] ، إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر فاستوثقوه[٧] وأعلمونى به .

وأنفذ إليه الإمام المهنا يحيى اليحمدى ، المعروف بأبى القارش مع جماعة من

(١) مكانه فى الأصل مطموس .

(٢) قرية تقع على الجنوب من منح على الطريق إلى أدم .

(٣) فى الأصل ، ولا تبديه لأحد ، والصواب حذف العلة من الفعل جزما بلا الناهية .

(٤) أدم إحدى بلاد المنطقة الداخلية .

(٥) فى الأصل ، سناو .

(٦) واحد من أجزاء المنطقة الشرقية

(٧) أى قيدوه بالوثاق ، وهوما يشد به .

أصحاب الخيل ثم أنفذ كتيبة[١] أخرى ، فالتقت الكتيبتان فى قرية عزّ ، ثم أنفذ كتيبة أخرى ، فالتقت الكتائب المتقدمة فى قرية منح[٢] .

ولم تزل الكتائب تتراسل موجفة[٣] فى طلبه حتى صادفوه ومعه بعض الرجال ، ووصلوا به إلى نزوى ، فأمر الإمام بحبسهم .

فمكثوا فى السجن والقيد ، لا أحد يكلم الإمام فيهم ولا يسأل عن حبسهم ، حتى وصل جماعة من مهرة ، فاستعانوا على الإمام بوجوه اليحمد ، فأجابهم على إطلاقهم ، وشرط لهم ثلاث خصال : الأولى : إما أن يرتحلوا عن عمان ، الثانية : إما أن يأذنوا بالحرب ، والثالثة : إما أن يحضروا الماشية كل حول إلى عسكر نزوى بفرق[٤] حول السارية المذكورة ، وتشهد الشهود على حضورها ، وأنه لم يتخلف منها شىء ، فى كل سنة ، تدور عند السارية المذكورة ، وهى قد بنيت بأمر الإمام المهنا علامة لبنى مهرة ، ليحضروا إبلهم وأغنامهم عندها .

فقالوا : أما الارتحال فلا يمكننا ، وأما الحرب فلسنا نحارب الإمام ، وأما الإبل والثاغية[٥] فسنحضرها كما شرط الإمام ، ونفى له كما أمر .

فعند ذلك عدّل الإمام الشهود .

فكانوا يحضرون إبلهم وأغنامهم فى كل سنة تدور[٦] عند السارية التى بفرق .

---

(١) الجماعة من الجيش من المائة إلى الألف

(٢) إحدى القرى بالمنطقة الداخلية

(٣) الوجوف هو الاضطراب ، والوجيف ضرب من سير الخيل والإبل .

(٤) قرية بالقرب من نزوى .

(٥) الثاغية هى الشاة ، والثغاء صوت الغنم عند الولادة .

(٦) أى تمضى وتنتهى .

وخرج وسن[١] الجلنداني ومن معه من بنى الجلندا بغاة على المسلمين ، فوصلوا إلى توام الجوف، التى تسميها العامة الجوّ ، وكان أبو الوضاح واليا عليها للإمام المهنا فقتلوا أبا الوضاح .

فلما بلغ ذلك المسلمين ، وكان أبو مروان واليا على صحار من قبل الإمام المهنا، فسار بمن معه من الناس وعنده مطار الهندى ، ومن معه من الهند .

فلما وصلوا إلى توام هجموا على بنى الجلندا ، وعلى من شايعهم من البغاة ، فهزمهم الله ، وقتل منهم من قتل ، وتفرقوا بعد الالتئام أيادى سبأ فى التنائف[٢] والرّبى[٣] ، وأحرق المطار الهندى ومن معه من السفهاء دور بنى الجلندا بالنار ، وكان فى دورهم البقر والأغنام والمواشى مربوطة ، فاحترقت .

فروى أن رجلا من أصحاب المطار كان يلقى بنفسه فى الفلج[٤] حتى يبتل بدنه وثيابه ، ثم يمضى إلى النار ليقطع حبال الدواب ، فينجى نفسها من النيران ؛ وروى أنهم أحرقوا لهم سبعين غرفة ، وقيل : خمسين ، والله أعلم بالصواب .

وروى : أن نسوة من بنى الجلنـــدا خرجن على وجوههن إلى الصحراء هاربات ، ومعهن أمة[٥] ، فلبثن ما شاء الله فى الصحراء ، ثم احتجن إلى الطعام والشراب ، فانطلقت الأمة إلى القرية فى الليل تلتمس لهن طعاما وشرابا .

فلما وصلت إلى القرية بعد هزيع[٦] من الليل وجدت شيئا من السويق[٧] ،

---

(١) يذكر ابن رزيق فى كتابة الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ، أن الذى خرج هو المغيرة بن وسن الجلنداني .

(٢) التنائف جمع تنوفة ، وهى الأرض بعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولاأنيس .

(٣) الربى جمع رباة ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٤) الفلج هو النهر الصغير .

(٥) أى جارية .

(٦) الهزيع نحو ثلث الليل أو ربعه .

(٧) هو الخبز القديد .

وسقاء من أسقية اللبن ، فعمدت إلى الفلج ، فملأت السقاء ماء ، فبصر بها رجل من أصحاب المطار قد توجهت نحو النسوة بالماء والسويق ، فأدركها الرجل .

فلما وصلها أخذ منها السويق فألقاه فى الرمل ، وأراق الماء الذى حملته فى سقائها فى الأرض .

وكان أبو مروان لم يأمر بالحرق ولا بشيء من هذا ، وقد نهى عن ذلك فلم يقبل قوله .

وبلغنا أن الإمام قد بعث رجلين إلى القوم الذين اجتمعوا مع أبى مروان وإلى الذين أحرقت منازلهم ، فأمر بإنصافهم ، وأن يعطوهم ما وجب لهم الحق .

وبلغنا أن القوم الذين اجتمعوا مع أبى مروان اثنا عشر ألفا ، والله أعلم .

ولم يزل الإمام المهنا إماما حتى مات يوم سادس عشر من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين[1] ، وكانت مدة إمامته عشر سنين وأشهرا وأياما ، ومات والمسلمون عنه راضون ، وله موالون ومؤازرون .

* * *

---

(١) الموافق ٢٩ من أكتوبر سنة ٨٥١ م

[الإمام الصلت بن مالك]

قوله :

فَبُويِعَ بَعْدَهُ الصَّلْتُ انْتِصَارًا ... لِدِينِ اللهِ طَوْعًا لَا اغْتِصَابَا

يقول : فبويع [١] بعد الإمام المهنا بن جيفر ، الصلت ، وهو الصلت بن مالك الخروصى ، فهاء بعده راجع ضميرها إليه ، وقوله : انتصاراً لدين الله ، أى لينتصروا به لدين الله على من أراد أن يخذل دين الله بعناده وكفره ، ونصب الانتصار على المصدر ، أى لينتصروا به انتصارا ، أى فانقاد الصلت لهم طوعا لما دعوه على ذلك استحبابا لا اغتصابا .

قوله :

وَفَاضَ الْعَدْلُ مِنْهُ فِى عُمَانٍ ... وَمَا أَلِفَتْ بِسِيرَتِهِ الْخَرَابَا

فاض الشىء إذا كثر وأغمر ما وقع عليه بنموه ، والعدل وعمان مضى فيهما الكلام ، وقوله : وما ألفت بسيرته الخراب ، أى عمان لما أغمرها الصلت بعدله ، وعمّرها بإحسانه ما ألفت بسيرته خرابا من كل باغ ، سيء الأفعال ، متفيئ بظلال الضلال .

قوله :

فَعَمَّرَ فِى الإِمَامَةِ وَهْوَ عَدْلٌ ... وَلَمْ يُحْدِثْ إِلَيْهِ الفِعْلُ عَابَا

عمر الإنسان فى الزمان إذا طال عمره فيه قبل أن يدرك الغاية ، وهو الأجل الذى لا يطول بعده العمر ولا يقصر دونه ؛ وفى الكتاب العزيز : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِى كِتَابٍ ﴾ [٢] ، أى وما يعمر المخلوق فى الزمان

---

(١) كانت مبايعته فى اليوم الذى مات فيه المهنا بن جيفر .

(٢) من الآية ١١ من سورة فاطر .

ولا ينقص من عمره فيه شيئا فشيئا إلى بلوغ الغاية ، وهو الأجل ، إلا فى كتاب الله ، الذى لم يطلع عليه أحد من خلقه ، والكتاب هنا علمه الذى أخفاه على خلقه ، فهو القائل : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (١) .

وهو القائل ، وما لقوله تبديل : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلًا ﴾ (٢) .

وقوله : ولم يحدث إليه الفعل عابا ، الحدث قد يكون حسنا ، وقد يكون سيئا ، والفعل كذلك ، والعاب والعيب بمعنى .

والمعنى : أن الإمام الصلت المذكور طال عمره فى الإمامة ، وهو مع طول عمره لم يحدث له فعله عيبا شائنا للخاصة والعامة .

قوله :

وفِى رِجْلَيْهِ لما ابْتَثَّ ضَعْفٌ ... وَلَمْ يَسْطَعْ إِلَى السَّيْفِ اجْتِذَابَا

الرجلان خلاف اليد ، وابتث الشىء إذا انهد واستحال عن حاله الأول إلى حال أدق وأضعف ، فتبدل مع ضعفه تبدبلا ، وعسر خروجه الذى وقع فيه ، والضعف خلاف القوة والنشاط ، وقوله : لم يسطع إلى السيف اجتذابا ، أى أن الإمام الصلت لما ابتث الداء فى رجليه ، وصار من الكبر فى ارتعاد ما قدر على سلّ السيف للجهاد على أهل العناد ، فقد روى غير واحد ، أن الإمام الصلت لما خانه مع الكبر قوى الرجلين ما قدر على المشى إلا على عصوين .

---

(١) من الآية رقم ٣٤ من سورة لقمان ، وفى الأصل ، فما تدرى . . .

(٢) من الآية رقم ٨٥ من سورة الإسراء .

قوله :

فَعَنْ بَيْتِ الْإِمَامَةِ لَيْسَ عَنْهَا تَخَلَّى فَهِيَ كَانَتْ مِنْهُ قَابَا

يقول : فلما أضعفه الكبر ، وخانته[1] الرجلان عن القيام للجهاد تخلى[2] من بيت الإمامة لا خلافتها ، فهى كانت له مع الاقتراب كالقاب .

قوله :

فَمَاتَ بِغَيْرِ عَزْلٍ مِنْ شُيُوخٍ وَشُبَّانٍ لَهُمْ أَعْلَوا جَنَابَا[3]

يقول : فمات الإمام الصلت بغير عزل عن الإمامة من شيوخ[4] ، أى لا من شيوخ ثقات ، ولا من شبان أعلوا جنابا لهم فى المشكلات ، والجناب هنا المحل الرفيع لا الوضيع .

قوله :

وَجَلَّتْ بَعْدَهُ فِتَنٌ أَثَارَتْ قَتَامًا غَيْمُهُ تُزْرِى السَّحَابَا

جل الشىء إذا عظم ، والهاء راجع ضميرها إلى الإمام المذكور ، والفتن جمع فتنة ، وأثارت أى أعلت ، والقتام الغبار كالقتم ، والغيم السحاب ، وقوله : غيمه تزرى السحاب ، أى تحقر السحاب .

---

(١) فى الأصل ، وخانتاه الرجلان ، والصواب حذف الفاعل الضمير لوجود الفاعل الظاهر بعده .

(٢) فى الأصل تخلا بالألف .

(٣) فى الأصل أعلو بدون ألف بعد واو الجماعة .

(٤) يروى أن الإمام الصلت لما اشتد به الضعف اعتزل عن بيت الإمامة ، فعقد لراشد ابن النضر فى ٢ مايو سنة ٨٨٦م ، ثم عزله موسى بن موسى ، وأقام نفسه مقامه ، ثم ولى عزان بن تميم الخروصى فى ٢٤ يوليه سنة ٨٨٩ م ، فلبث موسى وعزان وليين ، فتراكمت الفتن بين أهل عمان ، وصار أمر الإمامة لعبا وبغيا وهوى ، حتى إنهم عقدوا فى عام واحد ست عشرة بيعة ، ولم يفوا بواحدة منها .

والمعنى ، وعظمت بعد الإمام الصلت فتن بعمان ، فأثارت قتاما بين أهل عمان بكثرة الضرب والطعان بالسيوف والمران .

قوله :

وَكَادَتْ مِنْ مَلَاحِمِهَا عُمَانٌ يخَاطِبُ بُومُهَا فِيهَا الْغُرَابَا

كادت أى قاربت ، والملاحم جمع ملحمة ، وإنما سميت الملحمة ملحمة لكثرة تقطيع اللحم بالسيوف ، وقوله : يخاطب بومها فيها الغرابا ، أى ، وكادت عمان من كثرة الطعن والضراب بين الحضر والأعراب أن تصبح خرابا ، يخاطب بومها فيها الغراب ، والبوم والغراب معروفان .

* * *

[الإمام سعيد بن عبد الله]

قوله :

إِلَى أَنْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ طُرًّا سَعِيدٌ ، قُمْ لَهَا وَلَهُمْ أَجَابَا

أى ، فما برحت تلك الفتن والملاحم بين أهل عمان أن يعب عبابها ، ويجم اضطرابها حتى قال[1] علماء عمان كافة لسعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل ابن سعيد بن هبيرة القرشى ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم للإمامة وانتصب لها انتصابا ، ولهم سعيد أجابا .

[عود لسيرة الإمام الصلت[2]]

قال الناظم المفسر : سنأتى الآن بسيرة الإمام الصلت وما كان فى أيام دولته إلى أن مات وبعدها ، لنتمم القول فى الإمام سعيد بن عبد الله .

بويع الإمام الصلت بن مالك الخروصى فى اليوم الذى مات فيه الإمام المهنا ابن جيفر ، وكان يومئذ رئيس المسلمين فى العلم محمد بن الرحيل بن سيف بن هبيرة ؛ فبويع الصلت على ما بويع عليه أئمة العدل من قبله ، فسار بالحق والعدل ما شاء الله حتى كبر وضعف ، وإنما ضعفه كان من قبل الرجلين خاصة ، وأما العقل والبصر والسمع فلا نعلم أن أحدا قال بها ضعفا .

فلما بلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يختبر أهل عمان كما اختبر الذين من قبلهم سار إليه موسى بن موسى بن معه حتى نزل فرقا[3] ، فتخاذلت الرعية عن الصلت ، وضعف عن الإمامة ، واعتزل عن بيتها ؛ فعقد موسى بن موسى الإمامة لراشد

---

(١) فى الأصل ، قالت . (٢) العنوان من لفظ المحقق .

(٣) قرية بالقرب من نزوى

ابن النضر ، وكان ذلك يوم الخميس لثلاث ليال خلون من شهر الحج ، سنة ثلاث وسبعين ومائتى سنة من الهجرة [١] .

وكانت وفاة الإمام الصلت ليلة الجمعة للنصف من ذى الحجة، سنة خمس وسبعين ومائتين من الهجرة [٢] .

وفى أيامه توفى العلامة محمد بن محبوب .

ثم وقعت الفتنة فى عمان وكبرت المحنة ، واختلفوا فى دينهم ، وكثرت البراءة ، وعظمت الإحنة ، واشتدت العداوات ، وكثرت بينهم السير والأقوال ، وعظم القيل والقال ، واشتد بينهم القتال .

وذلك أنه لما اعتزل الصلت من بيت الإمامة ، وولى راشد بن النظر وقعت بين أهل عمان وقائع ، منها وقعة الروضة ، التى تعرف بتنوف .

وذلك ، أنه خرج فهم بن وارث ومصعب بن سليمان على راشد بن النظر ، فبعث لهم راشد جنودا فاقتتلوا بالروضة ، فظهر راشد بن النضر على فهم .

ومنها وقعة الرستاق بين سونى [٣] وعينى [٤] التى خرج [٥] فيها شاذان بن الإمام الصلت على راشد . فظهر راشد وجنوده على جند شاذان .

ومنها وقعة الطاقة التى ظهر فيها جند راشد على شاذان وجنده .

ثم إن موسى برئ من راشد ، وفسقه وضلّله وصال عليه ، وعزله .

ثم ولى عزان بن تميم الخروصى يوم الثلاثاء لثلاث ليال خلون من شهر صفر، سنة سبع وسبعين ومائتين ، وكان ممن حضر البيعة عمر بن محمد بن سليمان .

ولبث موسى وعزان واليين ، ايمضهما بعضا ، زمانا .

(١) فى ٢ مايو من عام ٨٨٦ م

(٢) الموافق ٢١ من إبريل سنة ٨٨٨ م

(٣) التسمية القديمة لمدينة العوابى .

(٤) فى الأصل ، عيسى .

(٥) زيادة من المحقق ليستقيم الكلام .

ثم وقعت بينهم الإحن[1] ، فعزل عزان موسى عن القضاء ، وتخوف عزان من موسى ، فعاجله بجيش ، أطلق فيه كافة المحبوسين .

فسار إلى أزكى[2] ، فدخل هو وجمعه حجرة النزار[3] ، فجعلوا يقتلون من فيها ويأسرون ، ويسلبون ، وينهبون ، وأضرموا فيها النيران ، فأحرقوا فيها أناسا أخيارا .

وقتل موسى مع حصيات الردّة التى عند مسجد الحجر من محلة الجنور ، وفعلوا بأهل أزكى مالم يفعله أحد من قبلهم من الجور .

فاشتدت الفتن ، وعظمت الإحن ، وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بما قدر .

وآوى عزان المحدثين من أصحابه ، وأجرى عليهم النفقات ، وطرح ننفة[4] من تخلف عن المسير إلى أزكى ، وكانت هذه الوقعة يوم الأحد وليلة بقيت من شهر شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين[5] .

ومن أجل هذه الوقعة خرج الفضل بن الحوارى القرشى النزارى ثائرا بمن قتل من أهل أزكى ، وشايعه على ذلك المضربة والحدان وناس من بنى الحارث من أهل الباطنة ، ولحق عبد الحدانى بجبال الحدان ، وخرج الفضل إلى توّام ، ثم رجع إلى الحدان ، وخرج معه الحوارى بن عبد الله السلوتى ، ومضوا إلى صحار ؛ وذلك فى يوم الثلاثة والعشرين من هذا الشهر ويوم الجمعة ، وحضرت صلاة الجمعة ، فصلى بالناس زيد بن سليمان ، وخطب الناس ، ودعا للحوارى بن عبد الله السلوتى على المنبر ، وأقاموا فيها بقية الجمعة والسبت .

---

(١) العداوة والبغضاء .
(٢) مدينة من أهم مدن المنطقة الداخلية .
(٣) أى محلة بنى نزار .
(٤) أى أسقطها فلم يعطها لهم .
(٥) الموافق ليوم ٥ ديسمبر سنة ٨٩١ م .

وخرجوا عشية الأحد لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائى ومن معه من أصحاب عزان بن تميم .

وذلك ، أن عزان بن تميم لما سمع بخروجهم وجه إليهم الأهيف بن حمحام الهنائى فى جماعة من اليحمد ، وفيهم فهم بن وارث ، فساروا حتى بلغوا مجزّ من الباطنة ، وأرسلوا إلى الصلت بن النضر ، فخرج عليهم فى جماعة من الخيل والرجال ، ووصل إليهم الفضل بن الحوارى ، والحوارى بن عبد الله ، وأشرعوا فيهم القتال ، فقتل من المضرية يومئذ خلق كثير ، ووقعت الهزيمة عليهم .

وكانت هـذه الوقعة يوم الاثنين لأربع ليال بقين من شهر شوال [1] من هذه السنة المذكورة .

ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عمان والإحن بينهم تتزايد ، وصار أمر الإمامة معهم لعبا ولهوا ، وبغيا وهوى ، لم يقتفوا كتاب الله ، ولا سنة نبى الله ، ولا آثار السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم حتى إنهم عقدوا فى عام واحد ست عشرة بيعة ، ولم يفوا بواحدة ، حتى بلغ الكتاب أجله .

فخرج محمد بن أبى القاسم وبشير بن المنـــذر من بنى سامة بن لؤى بن غالب ، وقصدوا إلى البحرين ، وكان بها يومئذ محمد بن نور عاملا للمعتضد العباسى [2] .

فلما قدما عليه شكيا إليه ما أصابهما من الفرقة الحيرية ، وسألاه الخروج معهما إلى عمان ، وأطمعاه فى أمور كثيرة ، فأجابهما على ذلك ، وأشار إليهما أن يذهبا إلى الخليفة ببغداد ، ويذكرا له أمرهما ، وأنهما قدما يريدان نصرته .

---

(١) الموافق ليوم ٢ من شهر فبراير ذلك العام .

(٢) أحد خلفاء الدولة العباسية وهو المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بن طلحة ابن المتوكل (٨٩٢ - ٩٠٢ م) أكثر الخلفاء العباسيين بعد الواثق دراية بصناعة الغناء ، وقد تفوق فى بعض أصواته على كثير من أهل صناعة صناعة الغناء .

فسار محمد بن أبي القاسم إلى بغداد ، وقعد بشير مع محمد بن نور .

فلما قدم محمد على الخليفة المعتضد ذكر له الأمر على التفصيل والجملة ، واستخرج منه لمحمد بن نور عهدا على عمان ، ورجع إلى البحرين .

فلما رجع إلى محمد بن نور أمر محمد بن نور فورا فى جمع العساكر من سائر القبائل ، والخاصة الفزارية ، وحصل معه أناسا من الشام ، وطئ .

فخرج يريد عمان فى خمسة وعشرين ألفا ، ومعهم من الفرسان خمسة آلاف وخمسمائة فارس ، عليهم الدروع والجواشن [١] ، وعندهم الأمتعة .

فلما اتصل خبره بعمان اضطربت ، ووقع الخلف بين أهلها ، والعصبية ، وتفرقت آراؤهم ، وتشتتت قلوبهم ، فنهم من خرج من عمان بماله وأهله ، ومنهم من سلم نفسه للهوان ، لقلة حيلته .

فخرج سليمان بن عبدالملك السليمى ومن اتبعه إلى هرموز [٢] ، وخرج أهل صحار بأهلهم وأموالهم إلى شيراز [٣] والبصرة .

وقدم محمد بن نور بجنوده وعساكره ، فافتتح جلفار ، ووصل إلى توام ، فاستولى على السر [٤] ونواحيها ، وقصد نزوى ، فتخاذلت الناس عن عزان بن تميم ، فخرج من نزوى إلى سمد الشان [٥] ؛ ووصل محمد بن نور إلى نزوى فسلمت له .

ثم مضى قاصداً إلى سمد الشان ، فلحق عزان بن تميم فيها ، فوقعت بينهم الحرب ،

---

(١) جمع جوشن وهو الدرع .

(٢) جزيرة مقابلة لشاطىء إيران الجنوبى بين خليج العرب وبين خليج عمان ، وكانت من أهم المراكز التجارية فى منطقة الخليج العربى إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر .

(٣) بلد مشهور فى إيران . (٤) إحدى مناطق عمان

(٥) قرية تقع على الجانب الأيسر لوادى سمد فى المنطقة الشرقية .

واشتد بينهم الطعن والضرب ؛ وذلك يوم الأربعاء لخمس وعشرين من صفر من هذه السنة ؛ فكانت الدائرة والهزيمة على أهل عمان .

وقتل عزان بن تميم ، وقتل معه جملة من أهل عمان ، وخرجت عمان من يد أهلها ، ولم يغير الله ما بهم ، بل غيروا ما بأنفسهم .

وكان قتال الفريقين وحربهم طلباً للملك والرياسة ، فسلط الله على أهل عمان عدوهم .

وكانت دولة الأباضية الاستقامية مذ ملكوها إلى أن خرجت مائة سنة وثلاثا وستين سنة إلا شهرا واثنى عشر يوما ، والله أعلم .

وبعث محمد بن نور برأس عزان بن تميم إلى الخليفة المعتضد ببغداد ، ورجع محمد ابن نور إلى نزوى ، واستولى على كافة عمان .

ثم إن الأهيف بن حمحام الهنائى جعل يكاتب مشايخ أهل عمان وقبائلها ، ويدعوهم إلى مقاتلة محمد بن نور ، ويحثهم على إخراجه من عمان ، فأجابوه ، وأقبلوا إليه .

فسار بعسكر جمّ يريد محمد بن نور .

فلما بلغ محمدا ذلك دخل الرعب فى قلبه ، فخرج هاربا ، فاتبعه الأهيف بعساكره ، فلحقه بقرية دما[١] ، فاقتتلوا حتى كثر بينهم القتل والجراح ، فهزّموا جيش محمد بن نور إلى سيف البحر من السيب[٢] .

فبينما هم كذلك إذ لاح لهم ركب من قدامة وغيرهم من المضرية ، على كل جمل رجلان من قبل عبيدة بن محمد الشامى مدداً لمحمد بن نور .

فلما كانوا قريبا من العسكر نزلوا عن رواحلهم ، وأخذوا أسلحتهم ، وحملوا مع محمد بن نور على الأهيف وأصحابه ، فكانت الدائرة على أهل عمان .

(١) تقع فى واحد من أودية المنطقة الشرقية وأحد فروع وادى الطائيين .

(٢) مدينة على ساحل الباطنة ، مجاورة لمسقط ، وتعد من أحد المصايف الهامة .

فقتل الأهيف بن حمحام وعنده كثير من عشيرته وغيرهم ، ولم يسلم إلا من تأخر أجله .

ورجع محمد بن نور إلى نزوى ، واستولى على كافة عمان ، وفرق أهلها ، وعاث فى البلاد ، وأهلك كثيراً من الحرث والأولاد ، وجعل أعزة أهلها أذلة ، وقطع الأيدى والأرجل ، وسمّل[1] الأعين ، وجعل على أهلها النكال والهوان ، ودفن الأنهار ، وأحرق الكتب ، وذهبت عمان من يد أهلها .

ثم إنه لما أراد الرجوع إلى البحرين جعل عاملا على عمان أحمد بن هلال ، ورجع هو إلى البحرين ، وجعل أحمد عاملا على سائر عمان ، وكانت إقامته ببهلا[2] .

وجعل على نزوى البحيرة ، ويكنى أبا أحمد .

فقيل له ذات يوم : إن أبا الحوارى ومن معه من أصحابه يبرأون من موسى ابن موسى .

فأرسل إلى أبى الحوارى جنديا ، فوصل إليه الجنـدى ، وهو قاعد فى محراب مسجد ابن سعيد ، المعروف بأبى القاسم ، وهو مسجد الشجبى بعد صلاة الفجر يقرأ القرآن ، فقال :

إن أبا أحمد يدعوك ، فسر إليه .

فقال أبو الحوارى : لا حاجة لى به ، وأخذ فى القراءة

فبقى الجندى متحيرا لايدرى كيف يفعل به ، حتى جاءه رسول يخبره ، فقال له : لا تحدث فى أبى الحوارى حدثا ، وذلك ببركة القرآن العظيم .

وقيل : إن ذلك الجندى قال : إنما دعوته ليقوم لئلا يبل دمه المحراب .

---

(١) سمل الأعين أى فقأها .

(٢) بهلا : مدينة من مدن المنطقة الداخلية ، غربى مدينة نزوى ، وهى مشهورة منذ القدم بصناعاتها الفخارية الجميلة .

ولم يزل البحيرة عاملا على نزوى حتى قتلوه وسحبوه ، وقبره معروف أسفل من باب موثر قليلا ، فى اللجية على طريق الجائز الذى يمر على فرق ، يطرحون عليه السماد والجذوع .

ثم بايعوا محمد بن الحسن الخروصى على الشرى ، فعزلوه .

ثم بايعوا عزان بن الهزبر المالكى اليحمدى ، فعزلوه .

ثم عقدوا لعبد الله بن محمد الحدانى ، المعروف بأبى سعيد القرمطى ، فعزلوه .

ثم عقدوا للصلت بن القاسم ثانية ، فمات فى الإمامة .

ثم بايعوا الحسن السحتنى ، فلبث أقل من شهر ، ومات .

ثم عقدوا للحوارى بن مطرف الحدانى على الدفاع، فأخذ على يد الفساق والسفهاء من أهل عمان ، فكان إذا جاء السلطان العراقى إلى عمان يحيى أهلها اعتزل من بيت الإمامة إلى بيت نفسه ، ولم يمنعه من ظلمه وبغيه ، فإذا خرج السلطان من عمان وضع تاج الإمامة على رأسه ، وقال لمن حوله ، لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله ، وكان قائما له بالأمر عند السلطان نائبه من بنى أسامة .

وهذا السلطان هو سلطان بغداد ، فعزلوه .

ثم عقدوا لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرف ، فكان سبيله سبيل عمه إذا جاء السلطان اعتزل ، وإذا رجع السلطان رجع إلى بيت الإمامة .

ثم جاءت القرامطة[1] إلى البحرين[2] ، فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة .

---

(١) قوم نسبوا إلى زعيمهم ، حمدان القرميطى ، وهو داعية إسماعيلى ، ولقب بقرميط لاحمرار عينيه . وهم أصحاب دعوة انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية سنة ٩٠١ م ، وقد انتهى أمرهم حينما اصطدموا بالحملات الصليبية .

(٢) جزيرة تعرف الآن بإمارة البحرين .

وكانت القرامطة تغلبت على سائر البلدان ، ومكة ، والشام ، وعلى سائر القبائل ، وهم بنو أبى سعيد الحسن الحيانى ، وقد أبطل الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وزخرف عليهم ، وموّه على الضعفاء حتى إنهم يتألهونه من دون الله .

وكان سبب زوال ملكه على يد عبد الله بن على ، وكان قيامه عليه بأربعمائة رجل ، وكانوا فى عسكر وجنود كثيرة ، فلبث فى محاربتهم سبع سنين ، ثم انتزع الدولة منهم .

وفى ذلك يقول جمال الدين عبد الله بن على بن مقرب شعرا :

سَلِ القَرَامِطَ مَنْ شَظَّى جَمَاجِمَهُمْ ... فَلْقاً وَغَادَرَهُم بَعْدَ العُلَا خَدَمَا[١]

مِنْ بَعْدِ مَا ارْتَجَّ بِالْبَحْرَيْنِ حَالُهُمُ ... وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بِالغَارَاتِ والحَرَمَا[٢]

ولم تزلْ خيلُهم تغشى سَنَابِكُها ... أرضَ العراقِ وتغشى تارةً أدَمَا[٣]

وحَرَّقُوا عَبْدَ قَيْسٍ فى مَنَازِلِها ... وَصَيَّرُوا العِزَّ مِنْ سَادَاتِها خَدَمَا

وَأَبْطَلُوا الصَّلَوَاتِ الخمسَ وانتهكُوا ... شَهْرَ الصِّيَامِ وَنَصُّوا بَيْنَهُمْ صَنَمَا[٤]

وَمَا بَنَوا مَسْجِدًا لِلّٰهِ نَعْرِفُهُ ... بَلْ كُلُّ مَا وَجَدُوه قَائِماً هُدِمَا

حَتَّى حَمِينَا على الإسلامِ وانتَدَبَتْ ... مِنَّا فَوَارِسُ تَجْلُو الكربَ والظُّلَمَا

وَطَالَبَتْنَا بَنُو الأعمامِ مَا عَدِمَتْ ... فَلَمْ تَجِدْ بُكْماً فِينَا وَلَا صَمَمَا

وَقَلَّدُوا الأَمْرَ مِنَّا مَاجِدًا نَجِدًا ... يَشْفِى وَيَكْفِى إِذَا مَا حَادِثٌ دَهَمَا

---

(١) شظى أى فلق والجماجم جمع جمجمة ، وهى عظمة الرأس ، والمعنى ، اسأل القرامطة من الذى فلق رءوسهم وتركهم بعد الاستعلاء أذلاء صاغرين كالخدم ، والأبيات من بحر البسيط .

(٢) ارتج بمعنى اهتز ، ورجف القوم اضطربوا وتهيأوا للحرب ، والحرم البيت الحرام ، ويقصد به مكة .

(٣) سنابك الخيل جمع سنبك بضم الأول والثالث وسكون الثانى ، وهو طرف الحافر .

(٤) نصوا بمعنى أقاموا ، واتخذوا لهم صنما

مَاضِى العَــــزِيمَةِ مَأْمُونٌ نَقِيبَتُهُ أَغْـــلَا نِزَاراً إِلَى غَايَاتِها هِمَمَا[1]
وَسَارَ تَتْبَعُهُ غُـــرٌّ غَطَارِفَةٌ لَوْ زَاحَمَتْ سَدَّ ذِى القَرْنَيْنِ مَاسَلِمَا[2]

من قصيدة له طويلة .

ثم كانت فى عمان سنون فترة من عقد الإمامة .

ثم عقدوا لمحمد بن يزيد الكندى ، الساكن سمد الكندى من نزوى ، فلم يرضهم ، فهرب من عمان .

ثم عقدوا الإمامة للحكم الملا البحرى ، النازل بسمال نزوى ، فما رأوا فيه خيرا ، فعزلوه .

[عود إلى سيرة
سعيد بن عبد الله][3]

ثم من الأئمة المنصوبين من عمان بعد ما اختلفت كلمتهم سعيد بن عبد الله بن محمد ابن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة ، فارس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال ناظم القصيدة :

وفى مناقب الإمام سعيد بن عبد الله المذكور قال الشيخ خلفان بن قيصر : ولم أعلم للإمام سعيد بن عبد الله تاريخا ، متى وقعت البيعة له ، ولا كم أقام فى الإمامة .

قال : ووجدت أن أول من عقد على الإمام سعيد بن عبد الله الحوارى بن عثمان ، وعبد الله بن محمد بن أبى المؤثر ، وكانت بيعته على الدفاع .

---

(١) النقيبة هى النفس والعقل .

(٢) الغر هم السادة والأعيان ، والغطارفة جمع غطريف بالكسر وهو السيد الشريف ، وذو القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدونى .

(٣) العنوان من وضع المحقق .

قال : وبلغنا عن محمد بن روح ، رحمه الله ، قال : الإمام سعيد بن عبد الله أعلم الجماعة ، والعاقدين له ، والذين كانوا معه .

قال : وتظاهرت الأمور معنا من أهل الدار ، ممن ينتحل نحلة الحق على الإجماع على ولايته ، وهو ولينا وإمامنا ، رحمه الله .

قال : ولا نعلم أنه تكلم فى عقد إمامته بعيب ، ولا فى سيرته ، ولا ترد ولايته .

وقد عرفنا عن محمد بن عبد الله بن أبى المؤثر ، رحمه الله ، أنه قال : لا نعلم فى أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله ، لأنه كان إمام عدل ، وعالما ، قتل شهيدا ، فجمع ذلك كله ، رحمه الله ، إلا أن يكون الإمام الجلندا مثله ، أو يلحق به ، والله أعلم .

قال : وعرفنا عن الشيخ محمد بن سعيد بن أبى بكر أنه قال : إن الإمام سعيد ابن عبد الله أفضل من الجلندا ، وما أحقه بذلك ، لأنه كان إمام عدل ، صحيح الإمامة من أهل الاستقامة ، عالما فى زمانه ، يفوق أهل عصره وأوانه ، وهو مع ذلك قتل شهيدا فى ظاهر أمره ، رحمه الله ، وغفر له ، وجزاه عنا وعن المسلمين أفضل جزاء[1] إمام عن رعيته .

انتهى قوله .

قال صاحب القصيدة :

وَمَنْ ذَا مِثْلُهُ نَسَبًا وَمَجْدًا بِنِسْبَتِهِ يُنَسَّى الانْتِسَابَا

يقول : ومن ذا مثل الإمام سعيد بن عبد الله نسبا ومجدا ، وهو إذا انتسب بنسبه ينسى المنتسبين إلى آبائهم الكرام الانتساب والمجد ، والشرف والعلو الذى يكسبه المرء بنفسه ، أو ما يكتسبه من الآباء والجدود .

---

(١) لفظ جزاء زيادة من وضع المحقق ، ليستقيم التعبير .

قوله :

رَحِيلِيٌّ لِدِينِ اللهِ يَصْبُو   وَلِلدُّنْيَا نُهَاهُ مَا تَصَابَا

قوله : رحيلى ، أى هو ينتسل نسبه إلى الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشى [1] كما ذكرنا أولا ، وقوله : لدين الله يصبو ، أى هو يميل لدين الله وُدًّا ، وقوله : وللدنيا نهاه ما تصابا ، النهى العقل ، أى ما مال عقله بمودة إلى الدنيا .

قوله :

نَمَتْهُ قُرَيْشُ أَسْرَارًا فَكَادَتْ   بِهِ أَغْنَى الرُّبُوعِ تُرَى عِشَابَا

قوله : نمته قريش ، أى زادته قريش فخرا فوق فخره ، وذكر البغوى [2] فى تفسيره لسورة إيلاف قريش ، قال : وقال أبو عبيدة النعمى : قريش هم ولد النضر ابن كنانة ، وكل من ولده النضر بن كنانة فهو قرشى ، ومن لم يلده النضر فليس بقرشى .

أخبرنا أبو الحسن على بن يوسف الجوينى ، أخبرنا أبو محمد ، محمد بن على بن محمد ابن شريك ، أنبأنا عبدالله بن محمد بن مسلم ، أنبأنا أبو بكر ، أنبأنا يوسف بن عبد الأعلى الصوفى ، أنبأنا بشر بن بكر عن الأوزاعى [3] ، أنبأنا شداد بن عمار بن واثلة ابن الأسقع قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .

قال : وسموا قريشا من القرش والتقرش ، وهو الكسب والجمع ، يقال : فلان تقرش على عياله ويتقرش أى يكسب .

---

(١) فارس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) هو الحسين بن مسعود الفراء ، نسبة إلى بغوان ، إحدى البلاد فى نيسابور .

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن عمرو .

وقال أبو ريحانة : سأل معاوية عبد الله بن عباس ، لم سميت قريش قريشا ، قال : لدابة تكون فى البحر ، من أعظم دوابه ، يقال لها : القرش ، لا تمر بشىء من الغث والسمين إلا أكلته ، وهى تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى[1] .

قال : وهل تعرف العرب ذلك فى شعرها ؟

قال : نعم ، فأنشده شعر الجبحى شعرا :

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِى تَسْكُنُ البَحْرَ ... بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا[2]

سُلِّطَتْ بِالعُلُوِّ فِى لُجَّةِ البَحْرِ ... عَلَى سَائِرِ الجُيُوشِ جُيُوشَا[3]

تَأْكُلُ الغَثَّ والسَّمِينَ وَلَا تَتْرُكُ ... فِيهِ لِذِى الجَنَاحَيْنِ رِيشَا[4]

هَكَذَا فِى الكِتَابِ حَيُّ قُرَيْشٍ ... يأكلون البلادَ أكلاً كَشِيشَا[5]

ولهم آخر الزمانِ نَبِيٌّ ... يكثُرُ القتلَ فِيهِمُ والهَبُوشَا[6]

وقول الناظم : فكادت به أعفى الربوع ترى عشابا ، أى نمت قريش سعيد ابن عبد الله أسرارا ، فكادت لما انتهت إليه تلك الأسرار به أعفى الربوع القفار التى بعمان ترى عشابا ، أى مخضرات بكثرة العشب من تلك الأسرار التى نمت بها قريش .

قال الناظم : وكنت ذات يوم جالسا بسوق مسقط ، فمرّ علىّ الشيخ خميس

---

(١) ويقول صاحب القاموس ، سموا قريشا لتجمعهم إلى الحرم ، أو لأن جدهم قصيا كان يقال له القرشى . أو سموا باسم قريش بن مخلد بن غالب بن فهر ، صاحب عيرهم .

(٢) كتبت كلمة قريش الأولى منصوبة ، والصواب الرفع ، والأبيات من بحر الخفيف .

(٣) لجة البحر هى مياهه العظيمة المتلاطمة .

(٤) الغث : هو المهزول ضد السمين ، والمراد بذى الجناحين : الطيور أكلة اللحوم .

(٥) المراد من الكشيش صوت الأكل .

(٦) الهبوش والهبش هو الضرب الموجع ، ومكان لفظ الهبوش فى الأصل مطموس .

ابن سالم الهاشمى الرستاقى ، فسلّم علىّ ، ورددت عليه السلام ، فجرى بيننا الحديث فى قريش وأسرارها ، فقال كل قرشى لايخلو من سر أودعه الله فيه ، كرامة لنبى الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو منهم .

قلت له : وهل أجد منهم الآن بعمان ؟

قال : نعم ، هم الهواشم ، أهل الرستاق ، الذين نسميهم الخاصة بنى هاشم ، ويسميهم العامة الهواشم ، فلا يخلو أحد من سبر [1] ، إما فى علم الفلك ، أو فى علم الطب ، وغير ذلك .

قال : وأما الذين يسكنون أرض الهند ونسبتهم متصلة إلى قريش لقد تفردوا بعلم للسكيمياء ، ولهم أيضا يد فى علم الفلك والطب .

فبينما نحن فى ذلك الحديث إذ مرّ علينا عبد للسيد العالم ، مهنا بن خلفان البوسعيدى ، يسمى زايد ، فسلم علينا ، فرددنا عليه السلام .

فلما مضى عنا قال :

ـ إن هذا الخادم سيموت بعد يومين أو ثلاثة أيام .

قلت له :

إنه صحيح الجسم لا أرى به علة .

قال :

ـ بل ، أخطر العلة به ، فهو لقد أسرف فى الجماع فما أبقى بقية لمنيّته .

وكان زايد المذكور قد تزوج بأمة من إماء مولاه مهنا المذكور ، ولم يعلم الشيخ خميس بذلك .

فما انقضت ثلاثة أيام من قوله إلا ومات ذلك العبد .

(١) السبر هو امتحان غور الجرح وغيره ، والمراد الدراية الواسعة المحيطة .

قوله :

قَضَى بِسُيُوفِ أَعْدَاهُ شَهِيدًا   فَحَزَ الْعَذْبَ وَاقْتَسَمُوا الْعَذَابَا

قضى ، أى مات ، والسيوف واحدها[1] سيف ، والأعداء واحدهم عدو ، والشهيد الذى قتل فى سبيل الله خاصة ، وحاز المرء الشىء إذا أحرزه ، والعذب ما ساغ من ماء وغيره ، واقتسم القوم المال وغيره إذا تساهموه ، والعذاب معروف .

والمعنى : إن سعيد بن عبد الله قتل بسيوف الأعداء شهيدا ، فحاز هو العـــذب من الأجر ، وحازوا هم العذاب فى الآخرة ، بقتلهم إياه ظلما .

قصة قتله :

أنها كانت امرأة من أهل غشب[2] الرستاق مجففة حبا فى الشمس ، فأتت شاة على ذلك الحب ، فأكلته ، فرمتها من خنفته بحجرة ، فكسرت يدها ؛ ثم جاءت صاحبة الشاة ، فجعلت تضرب المرأة التى رمت الشاة ، فاستعانت بجماعتها .

فجاء واحد[3] من جماعتها ، وجاء واحد[3] من جماعة الأخرى ، فكان كل فريق يثيب فريقه ، فوقعت بينهما صكة[4] عظيمة .

فجاء الإمام سعيد بن عبـــد الله ومعه أحد من عسكره على معنى الحاجزين ، والمصلحين بين الفريقين ، فقتل الإمام سعيد فى تلك المعركة .

فحزن عليه المسلمون حزنا شديدا .

* * *

---

(١) فى الأصل ، واحدهن .

(٢) الغشب لغة فى الغشم ، ويطلق على الوادى .

(٣) فى الأصل ، أحد .

(٤) الصكة المشاجرة والمضاربة .

[الإمام الخليل بن شاذان[1]]

قوله :

وَما سَعْىُ الخَلِيـلِ قَلاهُ خِلٌّ يُعَـلِّلُهُ سَجَايَاهُ العِذَابَا

قوله : [وما يقتضى النقاء][2] سعى يسمى إذا مضى المرء على الطريق التى سلكها، والخليل يريد به هنا الإمام الخليل بن شاذان الخروصى ، والخلّ الصاحب كالخليل ، وقلاه يقليه إذا بغضه ، وعله من العلّ ، وهو الشّرب الأول، وعلله تعليلا إذا ارتقاه شيئا فشيئا ، والسجايا واحدتها[3] سجية ، والعِذاب بكسر العين جمع عذبة بتسكين الذال المعجمة .

أى ، وما سق الإمام الخليل بغضه خليل يسقيه سجاياه العذاب تعليلا .

قوله :

إِمَامَتُهُ بِهَا افْتَخَرَتْ عُمَانٌ وَمَا فِى فَخْرِهَا ادَّعَت الـكِذَابَا

يقول: إمامة الإمام الخليل بها افتخرت عمان ، أى افتخارها بإمامته لما حباها بالعدل والأمان ، وما فى فخرها به ادعت الكذاب ، الكذاب والكذب بمعنى ، أى فخرها بإمامته فخر صادق غير كذب .

قوله :

كَفَاهَا نَجْلُ شَاذَانٍ عُمَانٌ إِمَامًا مَا بِهَا خَلَلًا أَصَابَا

يقول : حسبها عمان الخليل بن شاذان لها إماما ، وهو ما رأى خللا منها ،

---

(١) بعد أن قتل الإمام سعيد بن عبد الله بويع من بعده راشد بن الوليد على سبيل الدفاع وكان منزله بنزوى . وذلك من قبل عقد الإمامة للإمام الخليل بن شاذان .

(٢) كذا فى الأصل ، ولا محل له فى الكلام .

(٣) فى الأصل ، واحدتهن .

أى من أهلها له أيام دولته ، وقوله : ما رأى خللا منها التفات منه لها ، للتفخيم منه لها .

وقوله : أصاب ، أى ، ما وجد منها خللا .

وحقيقة الكلام المراد به أهل عمان ، ولها مجاز منضاف إلى الحقيقة .

قوله :

وَمِنْهُ مَا رَأَتْ خَلَلًا لِعَدْلٍ وَلَمَّا مَاتَ أَوْرَثَهَا الْمُصَابَا

يقول : وهى كذلك ، يعنى عمان ، منه ما رأت خللا أيام دولته فى حلّه وعقده ، وهو التفات ثان ملتزم بالالتفات الأول ، أى ، فهو ما رأى منها خللا ، وهى كذلك ما رأت خللا منه ؛ ولما مات أورثها المصاب بفقده .

القصـة :

اتفقت الروايات الصحيحة الأخبار عن العلماء من أهل عمان الأحبار ، أن الإمام الخليل بن شاذان اليحمدى الأزدى لما بويع له بالإمامة وطئ آثار السلف الصالحين ، وسار سيرة الأئمة الاستقاميين . فما داهن جبارا ذا بأس شديد ، ولا هرب من سلطان جبار عنيد ، فمات والمسلمون عنه راضون ، وله مؤازرون .

وكانت دولته فى بضع [1] وأربعمائة سنة من الهجرة .

* * *

(١) البضع مابين الثلاث إلى التسع .

[الإمام راشد بن سعيد]

قوله :

وَنَجْلُ سَعِيدَ رَاشِدَ سُمُّ خَصْمٍ   تَرَاهُ عِدَاتُهُ صِلًّا حُبَابَا[1]

راشد بن سعيد هذا أزدى النسب ، بويع له بالإمامة بعد موت الإمام الخليل ابن شاذان ، فسار بالعدل والإنصاف؛ وكان إماما مهيبا،لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والصِلّ والحباب الحيّة ، وفى القاموس ، الصِلّ الحية ، أو الدقيقة الصفراء .

قوله :

إِمَامٌ فَاضِلٌ يُثْنِي بِحَمْدٍ   بِحَمْدِ مَنْ لِخَالِقِهِ أَنَابَا

الإمام قد مضى فيه الكلام ، والفاضل من له الفضل ، الشريف عند الجماهير قولا وفعلا ، البالغ من النسب والحسب المقام الأعلى ، والثناء الحمد ، أو هو أعم ، والحمد أخص ، وقيل : هما سيّان[2] ، وقيل الحمد هو الثناء باللسان على قصد التعظيم ، سواء تعلق بالنعمة أو بغيرها ، والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم ، لكونه منعما ، سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان ، فورد الحمد اللسان ، ومتعلقه يكون النعمة وغيرها ، ومتعلق الشكر لا يكون إلا بالنعمة ، ومورده يكون اللسان وغيره ، فالحمد أعم من الشكر ، باعتبار المتعلق ، وأخص باعتبار المورد ، والشكر بالعكس .

وقال القطب الربانى ابن نبهان ، الرئيس جاعد بن خميس ، الحمد عبارة عن الثناء

---

(١) السم هو ذلك القاتل المعروف ، والعداة هم الأعداء بالضم وبالكسر ، اسم جمع ، وتقتضى استقامة وزن البيت اعتبار كلمتى سعيد راشد اسما مركبا مبنيا مضافا إلى كلمة نجل ، على خلاف ماذكره المؤلف .

(٢) مثنى سى بكسر الأول وتضعيف الثانى ، أى مثلان وشبيهان ، والجمع منه سواسية .

لا حمد حقيقيا لسواه ، فلا لواو عطف مدخل لغيره ، وإذا أطلق الحمد لغيره بغير واو كالمدح ، لكن الفرق بينهما ، أن الحمد يكون على الأمور الاختيار ، المجردة عن شانية الإخلال لنقص أو فساد على حال ، والمدح إطلاق الثناء على الجميل بلا تخصيص ، فكأنه أعم ، والحمد أخص ، وقيل : هما مترادفان على مسمى ، وكلاهما بمعنى ، والتعريف فيه للعهد ، ويحتمل أن يكون لاستغراق الجنس ، لأن حمد الله مستغرق كل حمد لغيره ، إذ ما بكم من نعمة فمن الله ، ليس فيه موضع ، ولا للنقص فيه مفزع ، انتهى .

وقال البغوى : قوله تعالى : ﴿الحمد لله﴾ لفظة خبر ، كأنه يخبر أنه المستحق للحمد ، هو الله عز وجل ، فيه يعلم الخلق بتقديره قوله الحمد لله ، والحمد بمعنى الشكر على النعمة ، بمعنى الثناء عليه ، انتهى قوله .

وقال غيره : قوله تعالى : الحمد لله ، يخبر بذلك خلقه العارفين بمعنى الحمد ، إذ العطف فهو مجاز لا حقيقة ، ومن أين لسواه الحمد حقيقة وهو مفتقر لحمد الله ، إذ هو أوجده من العدم إلى الوجود ، فهو لم يزل حكم إرادته ومشيئته ، جل وعلا ، وكذلك الثناء والشكر ليس لهما من مدخل حقيقى لمخلوق قط ، وإذا أطلقا لمخلوق فإطلاق مجاز ، ليس له تعلق بالحقيقة ، ومن انكشف له سر باء البسم علم أن لا حمد ولا ثناء ولا شكر إلا لله حقيقة ، انتهى .

وقول الناظم : من خالقه أنابا ، الخالق هو الله جل وعلا ، لا غيره ، ومن ها هنا اسمية ، وأناب العبد إلى ربه إذا رجع من ذنبه وتاب إليه ، وعمل عملا صالحا ، وعول فى أموره الصالحة عليه .

قوله :

وَحَفْصٌ مِثْلُهُ وَفَتَى عَلِيٍّ وَمُوسَى ثُمَّ مَالِكُ لَنْ يُعَابَا

فهؤلاء الأربعة كلهم أئمة أفاضل ، أهل علم وإنصاف .

فحفص هو ابن راشد بن سعيد ، وفتى على هو راشد بن على ، وموسى هو ابن أبى جابر الأزكانى ، ومالك هو ابن أبى الحوارى .

فأما حفص ما وجدت لوفاته تاريخا .

وأما راشد بن على مات يوم الأحد للنصف من القعدة فى سنة ست وأربعمائة .

وأما موسى بن أبى جابر بن موسى بن نجاد توفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة[١] ، وقبر على فلج الغنتق عند الجنور ، وأصيب أهل عمان بموته بما لم يصابوا بأحد قبله .

وأما الإمام مالك بن أبى الحوارى عقد له بالإمامة سنة تسع وثمانمائة[٢] ، ومات سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة .

ثم كانت بعد هؤلاء الأئمة المذكورين فترة[٣] .

فخرج فيها أهل شيراز إلى عمان ، ورئيسهم فخر الدين أحمد بن الداية ، وشهاب الدين ، وهم خمسمائة وأربعة آلاف فارس ، وجرى على الناس منهم أذى كثير لا غاية له ، وأخرجوا أهل العقر من نزوى ، وذادوهم[٤] عن بيوتهم ، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر فى عمان .

وحاصروا بهلا فلم يقدروا عليها .

ومات ابن الداية وهو محاصر لبهلا ، فتشتت جمعه ، ورجع من سلم منهم إلى ديارهم ، وأصاب الناس غلاء كثير ، وذلك فى دولة السلطان عمر بن نبهان النبهانى ، سنة أربع وستين بعد الستمائة[٥] .

---

(١) أى سنة ١١٥٤ م . (٢) أى سنة ١٤٠٦ م .

(٣) يقول صاحب كتاب كشف الغمة ، فهذه مائتا سنة وبضع لم أجد فيها تاريخ أحد من الأئمة ، والله أعلم ، أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة ، أو غاب عنا معرفة أسمائهم .

(٤) الذود الطرد والدفع . (٥) أى سنة ١٢٦٥ م .

وخرج أيضا فى تلك الفترة أمير من هرموز ، يسمى محمود بن أحمد الكوسى ، فوصل إلى قرية قلهات[١] ، وكان المتولى يومئذ على عمان والمالك لها أبو المعالى كهلان ابن نبهان ، وأخوه عمر بن نبهان ، ولما خيم محمود بن أحمد المذكور بقلهات بعث بواعثه إلى أبى المعالى بوصله إليه .

فلما أتاه طلب منه المنافع من عمان وخراج[٢] أهلها فاعتذر أبو المعالى ، وقال له :

ـ إنى لا أملك من عمان إلا بلدة واحدة .

فقال له محمود :

ـ خذ من عسكرى ما شئت ، واقصد بهم من خالفك من أهل عمان .

فقال له أبو المعالى :

ـ إن أهل عمان ضعفاء ، لا يقدرون على تسليم الخراج .

كل ذلك منه حمية لأهل عمان .

فحقد عليه محمود ، وأضمر له كيدا ، واستدعى أمراء البدو من عمان .

فلما أتوه كساهم وأعطاهم ، فوعدوه النصر على عمان والخروج معه .

ثم إنه ارتحل على سفنه إلى ظفار[٣] ، فلما وصلها قتل من أهلها خلقا كثيرا ، وسلب مالا جزيلا ، ورجع قاصدا إلى عمان ، فأخذ من قومه الثلثين ، فمضى بهم على طريق البر ، وأمر على الثلث برجوعهم إلى قلهات ، ويرقون سفنهم فيها حتى يصل إليهم .

فامتثلوا أمره ، وأخذ هو أدلاء[٤] من القرى إلى عمان .

(١) مدينة تقع على الساحل الشرقى بين صور وطيوى .

(٢) الخراج هو الإتاوة والضريبة تؤدى إلى الدولة .

(٣) هى المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان . وتمتاز بجوها المعتدل وبزراعاتها الموسمية المتعددة .

(٤) هم المرشدون إلى سواء الطريق .

فلما بلغوا إلى الرمل المتزح عن عمان هربوا عنه ، فحاد قومه عن الطريق ، ونفد عليهم الزاد ، وعدم عليهم الماء ، فبلغ عندهم ثمن من[1] اللحم بدينار ، وأضلهم الطريق ، فمات هو ، ومن أصحابه خمسة آلاف رجل ، وقيل : بل أكثر من ذلك .

وركض أهل طيوى[2] ومن معهم على أصحابه الذين بطيوى وقلهات ، فقتلوهم كافة ، وأحرقوا سفنهم ، فقبرتهم إلى هذه الغاية شهيرة بطيوى ، ويسمونها قبور الترك .

وكان هذا كله فى سنة ستين وستمائة .

وخرجت فى هذه الفترة أولاد الريّس على عمان ، وكان خروجهم فى شهر شوال سنة خمس وسبعين بعد الستمائة[3] ، وكان المالك يومئذ بعمان كهلان بن عمر بن نبهان .

فخرج إليهم ليلقاهم بالصحراء ، وخرجت إليه جملة أهل العقر[4] ، فانكسر قوم نبهان وأهل العقر ، ودخل أولاد الريّس العقر ، فأحرقوا سوقها ، وأخذوا جميع ما فيها ، وسبوا نساءها ، وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به ، وكان ذلك فى نصف يوم .

ثم سار إليهم كهلان بن حمير بعساكره بأول يوم من القعدة .

واجتمع الشراة ، فاجتمع أولاد الريّس عليهم ، وكانوا سبعة آلاف .

فوقع بينهم الحرب ، فانكسر أولاد الريّس ، وقتل فى هذه الوقعة منهم ثلاثمائة رجل .

ولعل هذه السنون التى كانت بين محمد بن خنبش ومالك بن الحوارى سنون ملك النباهنة ، والله أعلم . فعلى هذا ملك النباهنة يزيد على خمسمائة سنة .

وفيما بعد هذه السنين يعقدون على الأئمة ، والنباهنة ملوك[5] فى شىء من بلدان عمان ، والأئمة فى بلدان أخرى منها ، والله أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) المن ميزان يعادل رطلين أو كيلو جرام واحد .

(٢) مدينة كبيرة عند مدخل وادى طيوى ، على ساحل منطقة الحجر الشرقى .

(٣) أى مارس سنة ١٢٧٦م . (٤) حى من أحياء مدينة نزوى . (٥) زيادة من المحقق .

[الإمام راشد بن خميس بن عامر الأزدى[1]]

رجعنا إلى القصيدة

قوله :

وَمِثْلُهُمُ أَبُو الْحَسَنِ اسْتَنَارَتْ عُمَانُ بِهِ وَرَوْنَقُهَا اسْتَطَابَا

أبو الحسن هذا هو راشد بن خميس بن عامر الأزدى ، عقدت له الإمامة بعد[2] الإمام مالك بن الحوارى فى سنى الفترات التى ذكرناها ، وكانت البيعة له من المسلمين فى شهر رمضان سنة ثمانمائة وسبع وثلاثين سنة ، ومات فى يوم السبت سنة ثمانمائة وست وأربعين سنة ، وواحد وعشرين يوما من ذى القعدة .

وقوله : ومثلهم أبو الحسن ، أى مثل الأئمة الأربعة المقدم ذكرهم ، استنارت عمان به كما استنارت بهم ، ورونقها استطاب .

قوله :

إِمَامٌ عَادِلٌ فَقَضَى وَلِيًّا وَمَا اقْتَدَرَ الْخَلُوبُ لَهُ اخْتِلَابَا

قد ذكرنا أولا من شروط الإمام العادل ، أن يكون من شأنه كما ذكرنا ، وإلا فهو عن العدل عادل ، أى عنه مائل إلى ضد العدل ، وقضى كما ذكرنا أولا ، أى مات ، والولىّ الذى ينهى نفسه عن الهوى ، ويملكها عن التهور فى الباطل ، وعمل عمل أهل الاستقامة فى الدين ، وزهد الدنيا ، وعظّم الآخرة ، فمن كان شأنه ذلك فهو ولى من أولياء الله ، وإلا فلا .

---

(١) العنوان زيادة من المحقق :

(٢) فى الأصل ذكر ابن رزيق كلمة (بن) بدل كلمة بعد ، ولعله خطأ نسخ ، حيث لا يستقيم السرد إلا بوضع كلمة بعد بدل كلمة بن .

وقوله : وما اقتدر الخلوب له اختلابا ، الخلوب هنا الشيطان،لعنه الله، أى ما قدر إبليس ، لعنة الله عليه ، يخلبه ، والخلب هنا الجذب والميل من الحق إلى الباطل .

قوله :

بَكَتْهُ عُمَانُ لَمَّا مَاتَ حَتَّى أَعَارَتْ كُلَّ مُنْتَحِبٍ انتِحَابَا

هاء بكته راجع ضميرها إلى أبى الحسن ، رحمه الله ، وبكاه وبكى عليه بمعنى .

قال الشريف الرضى :

يَا ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ الْعَيْنُ فَتًى مِنْ أُمَيَّةَ لَبَكَيْتُكْ[1]

وَعَجِيبٌ أَنِّى قَلَوْتُ بَنِى مَرْ وَانَ طُرًّا وَأَنَّنِى مَا قَلَيْتُكْ[2]

يرثى عمر بن عبد العزيز لما مات .

وفى مذهب الشيعة لا يجوز لشيعى أن يبكى على أموى ، بزعمهم أنهم اغتصبوا إمامة العلوية المنصوص عليهم بعد على بن أبى طالب منهم .

أى لو جاز لى أن أبكيك لبكيتك ، والسبب الباعث لرثاه لعمر بن عبد العزيز المذكور ، أنه لما آلت الخلافة نهى عن سب على بن أبى طالب ، بزعمهم أن أمراء بنى أميـة كانوا يأمرون خطباءهم فى الجمعات والأعياد بسب على بن أبى طالب ، وجعل مكان السب ختم كل خطبة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] .

---

(١) ابن عبد العزيز هو عمر بن عبد العزيز أعدل خلفاء بنى أمية .

(٢) قلاه أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة ، وطرا أى جميعهم .

(٣) الآية رقم ٩٠ من سورة النحل .

قال المتنبي :

تَرَكْتَنِي يَارَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكَا وَبَعُدْتَ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِيكَا[١]

وقول الناظم : لما مات حتى أعارت كل منتحب انتحاباً ، أى لما مات الإمام أبو الحسن راشد بن خميس المذكور بكته عمان ، أى أهلها ، حتى أعارت كل باك ببكائها عليه ، والانتحاب والتنحيب بمعنى ، وهو البكاء .

قال المتنبي :

. . . . . لَبَكَيَا مَا عَاشَ وانْتَحَبَا[٢]

* * *

(١) المغانى جمع مغنى ، والمغنى هو المنزل الذى غنى به أهله ، ثم ظعنوا وتركوه ، والربع الدار ؛ المنزل أو جماعة الناس (٢) كذا فى الأصل .

[الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد]

قوله :

وَأَتحَفَهَا فَتَى الْخَطَّابِ بِشْرًا وَمِنْ عَجَبٍ بِهِ اجْتَلَتِ الْعُجَابَا

التحفة المطية الفائقة الرائقة من كل شيء ، والهدية السنية ، وفتى الخطاب هنا يعنى عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت الخروصى ، والبشر السرور ، والعجب بضم العين وسكون الجيم الزهو ، وقوله : اجتلت العجابا ، أى أصارت العجاب لها جلوة ، والعجاب والعجب بمعنى [١] .

والمعنى ، أن الإمام عمر بن الخطاب الخروصى لما صار إماما لعمان أتحفها سرورا ، وهى من عجبها بالسرور أصارت العجاب لها جلوة مشتقة نورا .

قوله :

وَقَالَتْ أَنْتَ يَا عُمَرٌ نَظِيرٌ إِلَى عُمَرٍ فَعَدْلُكُمَا تَرَابَا [٢]

يقول : وقالت عمان ، أى بلسان الحال ، إلى عمر بن الخطاب الخروصى المذكور لما صار لها إماما ، أنت يا عمر نظير عمر ، أى مثل عمر بن الخطاب ، صاحب رسول الله [٣] ، صلى الله عليه وسلم ، بالعدل والإنصاف ، فعدلكما ترابا ، أى تزايد بالإنصاف ، وربا الشيء يربو إذا زاد عن حاله الأول ، وكثرته الأولية .

قوله :

وَهَيْبَتُهُ أَتَتْكَ بِغَيْرِ دَاعٍ لِقَلْبِكَ بِأُسْهَا انْقَلَبَ انْقِلَابَا

يقول : وهيبة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أتتك بغير داع أى بغير داع من الناس إليها ، ولقلبك أى فؤادك بأسها أى قوتها انقلب انقلابا ؛ وانتصاب

---

(١) العجب بالضم هو الكبر والزهو ، والعجاب ماجاوز حد العجب . (القاموس المحيط) .

(٢) تنوين لفظ عمر فى شطرى البيت لضرورة الوزن .

(٣) ثانى الخلفاء الراشدين .

الانقلاب على المصدر ، بمعنى ، انفعل انفعالا ، فالانفعال على الجملة التغيير من كيفية إلى كيفية ، كصير الشعرة من السواد إلى البياض .

قوله :

فَأَنْتَ إِمَامُ عَدْلٍ تَدْرِى مِمَّا بَنُو نَبْهَانَ حَازُوهُ اغْتِصَابَا[١]

يقول : فقالت له عمان ، أى بلسان الحال، قالت له عمان: أنت يا عمر إمام عدل، تعلم مما بنو نبهان حازوه انتهابا[٢] من أموال الناس ظلما ، أيام دولتهم .

وبنو نبهان هم آل العتيك قد اشتهر جورهم وفسوقهم[٣] أيام دولتهم بعمان .

قوله :

هُمُ ظَلَمُوا العِبَادَ فَرُدَّ مِمَّا هُمُ ظَلَمُوا وَفِيهِ غَدَوْا صِحَابَا

يقول : ثم قالت عمان بلسان الحال ، للإمام عمر المذكور ، هم ظلموا العباد ، يعنى بنى نبهان ، والعباد هنا تخصيصا بأهل عمان الذين ظلمهم بنو نبهان ، فردّ الذى ظلموه من أموال العباد ، وفيه غدوا صحابا ، أى لا يردع أحدهم الثانى عن ظلمه ، فصاروا صحابا شركاء فى الظلم .

قوله :

فَقَسَّمَهُ فَتَى الخَطَّابِ عَدْلًا عَلَى الفُقَرَاء قُرْبًا وَاغْتِرَابَا

يقول : فقسمه ، يعنى المال الذى ظلمه[٤] واغتصبه[٤] بنو نبهان ، على فقراء عمان المقترب منهم والمبتعد لما لم يجدوا لها أهلا فى الوجود[٥] .

---

(١) حازوه أى أخذوه واستولوا عليه لهم ، ويقتضى وزن البيت عدم مد كسر الراء فى الفعل تدرى ، بل تنطق خطفا . (٢) نهب الشىء وانتهبه أخذه .

(٣) الجور هو الظلم والفسوق هو الفجور والعصيان والخروج عن طريق الحق .

(٤) فى الأصل ، ظلموه واغتصبوه بنو نبهان ، والصواب حذف واو الجماعة من كل فعل لوجود الفاعل ، وهو بنو .

(٥) المراد بالأهل أصحاب الأموال الذين لم يمكن معرفتهم لعدم وجودهم .

قوله :

فَمَاتَ حَمِيدَ فِعْلٍ وَاشْتَرَاهَا سَلِيلُ مُفَرِّجٍ وَلَهَا اسْتَجَابَا

يقول : فمات عمر بن الخطاب حميدا ، أى حميد القول بسيرته ، واشترى الإمامة بعده سليل مفرج ، وهو محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضى ، وهى الذى نصب عمر بن الخطاب ثانية[١] ، وهو فى العقد الأول خرج عليه سليمان بن سليمان ابن مظفر النبهانى ، فانكسر عمر وعسكره ، وكان معه جملة قوم من وادى سمايل فزالت إمامته .

ثم نصبه محمد بن سليمان المذكور ثانية .

وسنأتى بأول القصة :

وذلك لما عقد إلى[٢] عمر بن الخطاب بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت ثانية ، سنة ثمانمائة وخمس وثلاثين[٣] حاز أموال بنى نبهان ، وأطلقها لمن عنده من الشراة ، فاجتمع المسلمون ، وانتظروا فى الدماء التى سفكها آل نبهان ، والأموال التى أخذوها واغتصبوها بغير حل ، فوجدها أكثر من قيمة أموالهم .

وكان يومئذ القاضى محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج ، والإمام عمر بن الخطاب ، فأقام القاضى محمد بن عمر بن أحمد بن مفرج وكيلا لمن ظلمه آل نبهان من مسلمى عمان ، وأقام أيضا وكيلا لملوك آل نبهان .

فقضى محمد[٤] ، أن جميع مال آل نبهان من أراض ونخيل ، وبيوت وأسلحة ، وآنية ونخلة ، وجميع مالهم ، كائنا ما كان بعمان ، بيت مال .

---

(١) الشيخ محمد بن سليمان كان يومئذ هو القاضى الذى نصب عمر بن الخطاب ، وقد أقام عمر فى إمامته الاولى نحو سنة ، ثم خرج عليه سليمان النبهانى ، فانكسر عمر ، ثم نصبه الشيخ محمد بن سليمان ثانية سنة ١٤٨٣ م . (٢) زيادة من المحقق . (٣) سنة ١٤٣١ م

(٤) فى الأصل ، أحمد ، ولعله خطأ ، فالقاضى اسمه محمد ، وهو الذى قضى كما يتبين من السرد بعده .

وقيل : قضى محمد بن عمر من المظلومين من أهل عمان ، من حضر منهم وغاب ، وكبر أو صغر ، الأنثى منهم والذكر ، فصارت هذه الأموال بالقضاء السكائن الصحيح للمظلومين ، وقد جهلوا معرفتهم ومعرفة حقوقهم الكاية ، ولم يحيطوا به علما ، ولم يدركوا له قِسما ، وكل مال لا يعرف قسمه ، فأربابه[1] مجهولون ، راجع إلى الفقراء ، وكل مال راجع إلى الفقراء فالإمام العدل عند وجوده أولى بقبضه وتصرفه فى إعزاز دولة المسلمين ، والقيام بها ، وكل من صح حقه وأثبته له من أموالهم ، فيحاسب بالتحربة بما يصح له بقسطه إن أدرك ذلك ، وإن لم يدرك التحرية ولم يحط بها فذلك النصيب نصيب غير معلوم ، فهو مجهول ، للفقراء ، والإمام يقبض أموال الغيبة ، وأموال الفقراء ، وما لا رب له ، ويجعله فى إعزاز دولة المسلمين .

وقد صح هذا القضاء والحكم فيه . فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه .

وكان هذا الحكم عشية الأربعاء لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من سنة ثمانمائة وثمان وثمانين[2] سنة .

وكان هذا فى العقد الثانى ، لأنه لما نصب أولا أقامه سنة ، وخرج عليه سليمان ابن سليمان النبهانى كما ذكرنا أولا .

ثم نصبه محمد بن سليمان ثانية كما ذكرنا ، والإمام القاضى محمد بن سليمان ابن أحمد القاضى المذكور نصبه أهل نزوى ، فاستجاب لهم ، وسار سيرة حسنة ، لم ينقم عليه أحد شيئا من سيرته حتى مات .

* * *

(١) أى أصحابه ، جمع رب .   (٢) سنة ١٤٨٨ م

[الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضى]

قوله :

إِمَامَةُ عَدْلٍ لَا لِلظُّلْمِ تُعْزَى   وَمَا فِيهَا رَأَى الشَّهْمُ ارْتِيَابَا[1]

يقول : إمامة محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج المذكور عدل ، لا تعزى لظلم ، وما فيها رأى الشهم ارتيابا ، أى ريب ، والشهم الرجل الحاذق ، الفطن ، النير الذكاء[2] .

* * *

(١) فى الأصل ، تعزا بالألف ، وتعزى أى تنسب ، ويقتضى وزن البيت عدم تنوين كلمة عدل .

(٢) يذكر ابن رزيق فى كتابه « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » أن القاضى محمد بن سليمان نصب عمر الشريف إماما بعد الإمام عمر بن الخطاب ، وقد أقام عمر الشريف إماما نحو سنة ثم لاذبهلا ، فنصب أهل نزوى محمد بن سليمان . إماما .

[الإمام أحمد بن محمد الربخى الضنكى]

قوله :

فَمَاتَ مُحَمَّدٌ بِوَمِيضِ حَمْدٍ وَلِلرَّبْخِي سَعَى الشَّأْنُ انْسِيَابَا

يقول : فمات الإمام محمد المذكور بحمد ، أى بمدح من الناس إليه ، وثناء منهم عليه ، له ومض أى لمع ، والربخى سعى الشأن انسيابا ، أى سعى شأن الإمامة بعده للربخى . وهو أحمد بن محمد الربخى الضنكى سريعا ، ومض البرق إذا لمع ، وانساب النهر إذا جرى سريعا ، وكذلك السفينة فى البحر ، والحية فى البر .

اتفقت الروايات الصحاح، أن أحمد بن محمد الربخى المذكور عقدت إليه الإمامة، واشتهر بها عند الخاصة والعامة بعد الإمام محمد بن سليمان،فسار سيرة العدل والإنصاف والبر ، وزاد بعدله عن النعوت[1] والأوصاف .

قوله :

فَصَارَ هُوَ الإِمَامُ إِلَى عُمَانٍ بِهِ اخْتَسَبَتْ لِعِزَّتِهَا احْتِسَابَا

أى فصار أحمد بن محمد المذكور هو الإمام لعمان، ومراده بهو التعظيم له والتفخيم، وما أجدره بذلك ، وقوله : به احتسبت لعزتها احتسابا ، أى اكتفت اكتفاء لعزتها به .

فعن غير واحد من المسلمين الاستقاميين ، أن الإمام أحمد بن محمد الربخى الضنكى كان ناسكا[2] عفيفا ، عالما حليما ، ذا هيبة ووقار ، رءوفا بالمسلمين ، خاضعا لله رب العالمين ، صارفا همه للدين ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، لا للطعن فيه مسلك ، فهو من خيار أهل زمانه ووقته ، عاش بتقوى ، ومات على الهدى .

* * *

(١) النعوت جمع نعت ، وهو الوصف

(٢) أى متعبدا ، والنسك هو العبادة وكل حق لله تعالى

[الإمام الحسن بن عبد السلام الأزدى]

وقوله :

وَمُذْ عَبْدُ السَّلَامِ إِلَيْهِ صَارَتْ رَأَى أَرْيًا بِشَرْيَانٍ مُشَابَا

عبد السلام هذا هو الحسن بن عبد السلام الأزدى ، وقوله : مذ إليه صارت ، الإمامة بعد الإمام أحمد بن محمد الربخى ، وقوله : رأى أريا بشريان مشابا ، أى رأى فى الإمامة حلاوة ممزوجة بمرارة ، الأرى عسل النحل ، والشريان شجر مر شديد المرارة ، وشابه يشوبه إذا مزجه .

قوله :

فَبَادَرَهُ سُلَيْمَانٌ بِجُنْدٍ فَأَلْقَى السَّيْفَ وَالسُّمْرَ الْكِعَابَا

بادره ، أى قابله سليمان بن سليمان بن مظفر بجند ، جمع جنود ، من قومه وشيعته ، فألق ، أى فرمى ، يعنى أبى[1] الحسن بن عبد السلام المذكور عن مبارزته ، السيف القرضاب[2] ، والسمر الكعاب[3] ، وهى الرماح ، سميت بذلك لاستحالة أكثرها للسمرة ، وكعابهن العرص[4] التى فى قدودهن[5] .

* * *

---

(١) أبى يأبى أى امتنع . (٢) القرضاب هو القطاع .

(٣) الكعاب بفتح الأول جمع كعب ، والمراد الرماح المربعة .

(٤) العرص من صفات الرماح يقال رمح عرص أى رمح لدن

(٥) القدود جمع قد وهو القامة المعتدلة .

[الإمام محمد بن إسماعيل]

قوله :

فَمَاتَ سَلِيبَ نَصْرٍ وَاشْتَرَاهَا مُحَمَّدُ وَهِىَ تَضطَرِبُ اضْطِرَابَا

يقول : فمات يعنى أبا الحسن المذكور سليب نصر[1] ، أى نصره عنه مسلوب ، وهو على أمره مغلوب ، واشتراها يعنى الإمامة بعد محمد بن إسماعيل الإسماعيلى النزوى ، وقوله : وهى تضطرب اضطرابا ، أى لما اشتراها محمد بن إسماعيل ، هى غير مستقرة ، يعنى البيعة ، على حال ، فهى تضطرب اضطرابا من الخوف والارتعاب ، فما قدر على تسكينها إلا هو .

وذلك لما بويع أبو الحسن خرج عليه سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى بجند كثير العدد ، فعجز أبو الحسن عن ملاحمته لما خذلته رعيته ، فحصره سليمان بن سليمان ، وهو يومئذ بحصن نزوى ، وما أفرج له سليمان الخروج من الحصن بالحصر حتى مات فى الحصن محصورا . فاستولى سليمان بن سليمان على نزوى .

قوله :

فَصَارَ سَلِيلَ إِسْمَاعِيلَ قُطْبًا إِمَامًا لِلْهُدَى انْتُدِبَ انتِدَابَا

قد مضى الكلام فى سليل إسماعيل أنه محمد بن إسماعيل ، والقطب من الناس ، السيد الذى تدور حوائج الناس على يده ، والإمام والهدى قد مضى فيهما الكلام ، وانتدب انتدابا أى شمر تشميرا لإنقاذ أمر العدل .

قوله :

وَلَوْلَاهُ لَنَالَ أَخُو الْمَخَازِى سُلَيْمَانٌ مِنَ الرُّودِ الرِّضَابَا[2] .

---

(١) كان موت أبى الحسن بن عبد السلام عند خروج سليمان بن سليمان بن مظفر عليه بعد أن أقام فى الإمامة دون السنة .

(٢) يلزم تنوين كلمة سليمان الممنوعة أصلا من الصرف لسلامة الوزن .

يقول : ولولا محمد بن إسماعيل المذكور لنال أخو الخازى، يعنى سليمان بن سليمان ابن مظفر ، وكان سليمان مشهورا بالفجور .

والرود المرأة الناعمة الجميلة الصورة ، والرضاب ربق الفم ما دام فى الفم ، فإذا وقع على الأرض فهو بصاق ، والرضاب لايحلو مصّه إلا مع التقبيل والجماع .

قوله :

فَدَاسَ بِرِجْلِهِ صَدْرًا إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْقَادِ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

يقول : فداس يعنى محمد بن إسماعيل صدرا لسليمان بن سليمان المذكور ، وصدر سليمان من الأحقاد عليه يلتهب التّهابا لما داسه برجله حين طرحه على الأرض .

قوله :

لِذَلِكَ قِيلَ أَنْتَ لَهَا إِمَامٌ عُمَانٌ فَاتْرُكْ الْقُشَرَ اللُّبَابَا

يقول لأجل ذلك الشأن قيل لمحمد بن إسماعيل: أنت لها، إمام عمان، لما صرعت جرثومة بنى نبهان سليمان بن سليمان ، ودست صدره ، ومنعته عن مراده بالمرأة الطيبة الطاهرة ، فسِلّ الآن على الأعداء قرضابا[1] ، واترك بالعدل قشر[2] عمان لبابا[3] .

القشر حقيقة ثلاثة أصناف : الأول هو الصورة المرقومة[4] فى الكتابة ، الثانى هو المنطق[5] ، فإن الأصوات المركبة التى هى مدلول الكتابة ، ودلالة للحديث الذى فى النفس هو علم ترتيب الحروف ونظم الكلام، إما منطوقا به أو مكتوبا، واللباب هو العلم القائم بالنفس الذى حقيقته ترجع إلى الانتقاش ، أى انتقاش النفس بمثال مطابق للمعلوم .

---

(١) القرضاب هو السيف القطاع . (٢) القشر هو الجلد ولحاء الشجر .

(٣) اللباب هو خالص كل شىء ، ومن النخل ونحوها قلبها .

(٤) أى المرسومة . (٥) أى النطق والكلام .

قوله :

أَجَابَ وَرَدَّ عَنْهَا كُلَّ بَاغٍ   يَرَى مَنْ كالْحَدِيدِ لَهُ نِصَاباَ

يقول : فلما قيل له : أنت الإمام لما عمان ، أجاب الداعى ، وردّ عنها كل معتد باغ ، يرى بتيهه وتعديه من قوته كالحديد ، له كنصاب السكين الذى لا يقطع شيئا .

القصـــة :

أخبرنى غير واحد من المشايخ الذين أصدقهم ، منهم الشيخ القاضى ، مبارك ابن عبد الله النزوى وغيره ، أنه صح معهم عن روايات ثقات من أهل عمان ، أن سليمان بن سليمان النبهانى كان فى أيام محمد بن إسماعيل المذكور هو جرثومة[1] بنى نبهان ، ومسكنه يومئذ فى بلدة بهلا ، وحصنها فى حكمه ، ولم يقدر أحد فى ذلك الزمان من أهل عمان أن يخالفه .

وكان سليمان المذكور أفصح بنى نبهان ، شاعرا مجيدا ، حسن اللفظ والحظ ، وكان متظاهرا بالفسوق والفجور ، فسمع ذات يوم هاتفا يقول له : يا بنى نبهان ، قرب ذهاب دولتكم وزوال عزكم ، فليس لكم فى عمان سلطان إلا أيام[2] قلائل ، وسليمان لا يرى شخص ذلك الهاتف .

فتطير[3] من ذلك وشكا أمره إلى بعض أصحابه ، فقال له : هذه وسوسة من وساوس الشيطان ، فليس لغيركم سلطان بعمان ، والرأى أن تمضى إلى نزوى لينفرج عنك هذا الهم .

فأجابه سليمان على ذلك .

---

(١) جرثومة الشىء بالضم أصله .   (٢) فى الأصل ، أياما .

(٣) التطير هو التشاؤم .

فلما سارا إلى نزوى ووصلاها وضعا رجليهما فى بيت الإمارة .

فرأى سليمان امرأة من أهل نزوى قاصدة إلى فلج الغنتق لتغتسل فيه ، وهى لاتعلم أن سليمان قد وصل إلى نزوى ، فتبعها ، وهى لا تراه .

فلما نزعت ثيابها ، ووقعت فى الفلج هجم عليها ، ففرت هاربة منه عريانة ، فجعل يعدو خلفها وهى تصيح ، الجارة ، الجارة[١] .

فلما كانا دون حارة الوادى رآها محمد بن إسماعيل ، فرمى على المرأة عمامته ، وصادر سليمان بن سليمان ، فصرعه على الأرض وداس صدره برجله ونعلها ، ثم ذبحه ذبح الخروف .

فمضى برأسه إلى العقر ، فرماه بين جماعة منها ، فعرفوا رأسه ، وقالوا : هذا رأس سليمان بن سليمان ووجهه .

فسألوه عن شأنه ، فأخبرهم الخبر .

فسر ذلك أهل نزوى كافة .

وقيل : هو ما قتله ، بل صرعه إلى الأرض وداس صدره وبطنه ، فبقى عليلا[٢] إلى أن مات .

والخبر الأول أصح .

ولما رآه أهل نزوى وغيرهم من المسلمين ، أهل عمان ، أهلا للإمامة بايعوه .

وذلك فى سنة ست وتسعمائة[٣] ، ومات يوم الخميس لتسع ليال بقين من شهر شوال سنة ثلاثين وتسعمائة ، والله أعلم .

---

(١) أى الغوث الغوث ، فعله جأر ، أى رفع صوته بالدعاء واستغاث .

(٢) أى مريضا ، والعلة بالكسر المرض .

(٣) أى سنة ١٥٠٠ م .

قوله :

وَلَمَّا مَاتَ مَاتَ قُوَى عُمَانٍ ... وَمَا لِإِمَامَةٍ قِرْمٌ أَثَابَا

يقول : ولما مات الإمام محمد بن إسماعيل مات قوى عمان ، أى ماتت قوة أهلها ، وما للإمامة قرم من كبرائها أثابها ، أى أعانها بالعدل ، والقرم بكسر القاف السيد .

ذكر أصحاب التواريخ من أهل عمان أنه لما مات الإمام محمد بن إسماعيل نصب ولده بركات بن إسماعيل فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، فدخل حصن بهلا .

فلما سمع به محمد بن جفير بن على بن هلال الجبرى مضى إليه ، فأخرجه من حصن بهلا ، ولم يسل بركات عليه سيفا ، وذلك بعد ما دخل سلطان بن المحسن ابن سليمان بن نبهان نزوى ، وملكها .

وتاريخ ذلك سنة أربع وستين بعد تسعمائة سنة[١] .

وبقى حصن بهلا فى يد محمد بن جفير ، فاشتراه منه آل عمير بثلاثمائة لك[٢] ، وبركات فى معزل من الإمامة .

ثم نصب بعده عبد الله بن محمد القرن فى منح يوم الجمعة لخمسة عشر من رجب سنة سبع وستين وتسعمائة[٣] .

ودخل حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من هذا من هذه السنة .

فركض[٤] عليه بركات بن إسماعيل المذكور ، فأخرجه من الحصن .

وبقيت عمان فى اضطراب من الخوف والجور ، وما بقى فيها للعدل ذكر .

* * *

---

(١) أى سنة ١٥٥٦ م .   (٢) عملة نقدية .

(٣) الموافق ١١ من إبريل سنة ١٥٥٩ م .

(٤) الركض هو تحريك الرجل والدفع واستحثاث الفرس للعدو والجرى ، والمعنى هجم عليه .

[الإمام ناصر بن مرشد]

قوله :

إِلَى أَنْ سَلَّ نَاصِرُ سَيْفَ عَدْلٍ   وَمَا عَنْهُ أَرَادَ الإِجْتِنَابَا

المعنى : فما برحت تلك الزعازع[1] بين أهل عمان ، لميلهم للهوى ، ومقتهم للهدى والعدل ، إلى أن سل ناصر سيف العدل على من عدل عن العدل ، وما عن سلّ سيفه الذى به أصدق الضراب أراد الاجتناب .

وناصر هذا هو الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان ابن مالك بن أبى العرب بن سلطان بن مالك بن أبى العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن بلعرب بن مالك بن يعرب بن مالك اليعربى الحميرى الأزدى الإباضى العمانى[2] .

قوله :

فَحَسْبُ عُمَانَ نَاصِرُهَا إِمَامًا   أَفَادَ السَّيْفَ وَخْضًا وَاخْتِضَابَا

لقد مضى الكلام فى حسب ، أعنى ، كفى ، أى كفاها عمان ناصرا إماما ، فالهاء راجع ضميرها إليه ، بقوله : ناصرها إماما ، والسيف والإفادة معروفان ، وقوله: وخضا واختضابا، أى خوض السيف فى حشاء[3] الأعادى، وخضبه بدمائهم، والانتصاب على المصدر[4] ، يقال : زيد وخض عمرا بالسيف إذا خوضه فى حشاه ، وكذلك بالرمح أو السكين إذا فعل بهما كالسيف .

---

(١) الزعازع هى الشدائد .

(٢) يذكر ابن رزيق ، فى كتاب الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين، نسب الإمام ناصر ، أنه ، ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن أبى العرب بن محمد بن يعرب بن مالك ابن يعرب بن مالك اليعربى . . » .

(٣) المراد بطونهم .

(٤) يعنى أنه مفعول مطلق ، والصواب أن نصبه على التمييز ، والمميز ملحوظ .

قوله :

لَهُ سِرُّ الوِلَايَةِ قَبْلَ بَيْعٍ　　وَبَعْدَ الْبَيْعِ فَاحْتَزَبَ احْتِزَابَا

يقول : كان لناصر بن مرشد المذكور سر الولاية قبل البيع بالإمامة ، وبعد البيع فاحتزب السر الأول والسرّ الثانى احتزابا على المصدر ، أى فعصب بعضه بعضا.

القصـــــة :

أخبر أهل العـلم بالسير والتواريخ من ثقات أهل عمان ، أن الإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله ، كان قبل البيعة ذات يوم نائما فى مسجد قصرى من الرستاق ، فدخل رجل من الطريق إلى المسجد ليصلى فيـه بعض النوافل ، فرأى كأن فى أحد زوايا ذلك المسجد سراجا يتقد ، فلما اقترب من تلك الزاوية رأى ناصر بن مرشد نائما ، ولم ير غيره فى ذلك المسجد ، فاعترف بولايته وصلاحه .

ومن فضائله ، رحمه الله، أن أمه كان لها زوج بعد أبيه، وكان الإمام ،رحمه الله، يأمرها أن تضع طعامه قبل طعامهما ، لئلا يتبقى بقيـــة من عجين زوجها ، فيدخل فى طعامه ، فخالفت ، أو نسيت مقاله لها ، فعجنت الطحين الذى لزوجها ، ثم خبزته ، وصبت طحين ولدها الإمام فى ذلك الوعاء .

فلما وضعت يدها فى الطوبج[1] التصقت به ، ولم تقدر على نزعها منه ، حتى أتى ولدها الإمام ، فنزعها منه ، ورضى عنها .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أنه بعد ما عقدت له الإمامة اجتمع أناس، أهل نفاق، من أهل الرستاق فى بيت رجل منهم ، فجعلوا يسبون الإمام ، فنهتهم زوجة الرجل المجتمعين فى بيته، فلم ينتهوا، فخرجت عنهم، فخر عليهم سقف ذلك البيت، فماتوا جميعا.

---

(١) هو ما يتخذ للخبز ، شبيه بالفرن ويعد من ألواح فخارية أو حديدية عريضة تحمى بالنار فيخبز عليها .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أن مطية أكلت من طعام بيت المال ، فتحرشت[١] ، ولم تزل كذلك حتى رأت الإمام ، فأتت إليه ، فوضعت رأسها ورقبتها على منكبيه[٢] ، فلم تزل فى ذلك حتى جاء صاحبها ، فسأله الإمام عن حالها ، فأخبره أنها أكلت من طعام بيت المال[٣] ، فوقع عليها كما ترى ، فرضى الإمام عنه ، وأحلّه ، ومسح بيده على رقبتها ورأسها ، فبرئت مما بها .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أن جراب[٤] تمر أشبع أربعمائة رجل أيام دولتـه ، ومثل ذلك مورة[٥] أرز ، وقيل : أشبعاهما أياما ، والله أعلم .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أنه كان نائما أيام حرّ فوق سطح داره ، فأتى إليه رجل يريد أن يقتله ، فوقف على رأس الإمام ، وفى يد الرجل خنجر مشحوذة[٦] ، فلم يقدر أن يطعنه بها ، وأمسك الله على يده ، فانتبه الإمام ، فرآه واقفا على رأسه ، فسأله عن مراده ، فقال له : ما يسعنى غير عفوك ، فإنى عزمت على قتلك ، فعفا عنه ، ولم يعاقبه .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أن بدويا ضلّت له ناقة ، فمضى فى طلبها ، فبينما هو يمشى إذ رأى أثر قدم ، فاستعظمها ، فجعل يقص أثرها حتى انتهى إلى غابات شجر ، فسمع صوتا من داخل ذلك الشجر ، أن مطيتك فى المكان الفلانى ، فامض إليها ، وقل للإمام ناصر بن مرشد ، يلزم هـذه السيرة ، فإنها سيرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أى أصيبت بداء الجرب .

(٢) المنكب هو مجتمع رأس الكتف والعضد ، مذكر .

(٣) أى من مال الدولة .

(٤) الجراب والجريب مكيال قدره أثنا عشر صاعا ، ووزن مكيال الصاع حوالى خمسة أرطال .

(٥) مكيال .

(٦) شحذ الخنجر أحده .

فمضى البدوى مرعوبا، وقصد الموضع الذى وصفه له الحاطب ، فرأى مطيته فيه ثم مضى إلى الإمام ، فأخبره .

وكان الإمام قد رأى فى منامه ، قبل أن يصل البدوى إليـــه ، أن بدويا أتا يبشره ، أنه على سيرة النبى ، صلى الله عليه وسلم .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أنه كان يعطى نفقة له ولعياله[١] من بيت المـــال ولم يكن لهم قدر يطبخون فيه طعامهم ، فكانت زوجته تنقص من النفقة قليلا، قليلا حتى باعته ، واشترت به قدرا من صفر[٢] .

فلما رآها الإمام سألها ، من أين لها القدر ، فأخبرته بما صنعت ، فقال لها استعمليها ، وهى لبيت المـــال . وأمر وكيل الغالة[٣] ، أن ينقص من نفقتهم قدر ما كانت زوجته[٤] تنقص منها .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أن القاضى محمد بن عمر دخل يوما على الإمام ، فرآ متغير الوجه ، فسأله عن حاله ، فلم يخبره ، فألح عليه ، فأخبره ، أنه لم يكن له ما ينفقه على عياله لسنة العيد .

فذكر الشيخ محمد بن عمر للوالى ، أن يدفع للإمام شيئاً من الدراهم .

قيل : فدفع له عشر محمديات[٥] .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أنه منذ سكن بعد البيعة عقر نزوى لم يمت من بشرها كبير ولا صغير حتى مات .

ومن فضائله ، رحمه الله ، أنه لم يفترس فى أيام دولته ذئب شاةً بأرض عمان حتى مات ، تغمده الله بالمغفرة والرضوان .

---

(١) من يعولهم وينفق عليهم من أهله وولده . (٢) أى من نحاس .

(٣) الغالة هى المال الذى يجبى من غلة الأرض وزرعها لبيت المال .

(٤) فى الأصل ، والدته ، والصواب ماذكر . (٥) عملة تصنع من الفضة

قوله :

سُلَالَةُ مُرْشِدٍ طُهْرٌ إِمَامٌ وَلِيٌّ إِنْ دَعَا أَضْحَى مُجَابَا[1]

يقول: سلالة مرشد ؛ يعنى الإمام ناصر بن مرشد ، ولى من أولياء الله الوهاب، دعاؤه مجاب .

أخبرنى غير واحد من المشايخ المسنة عن أهل عمان عن آبائهم ، أن الإمام ناصر ابن مرشد لما بويع له بالإمامة ، وأخبر بذلك مالك بن أبى العرب اليعربى ، وكان هو يومئذ المالك للرستاق جعل يقهقه فى ضحكه ، استهزاء وازدراء ، ويقول لعسكره الذين معه فى الحصن ، إذا قصد ناصر الحصن ومن معه افتحوا لهم أبواب الحصن كلها ، فإنهم إذا دخلوا علينا لنضع فيهم أمرئ مرادنا[2] .

قالوا : فلما أراد الإمام أن يمضى إلى الحصن بمن معه من العسكر دخل مسجد قصرى ، فصلى فيه ركعتين ، ثم دعا الله تعالى ، أن يفتح له الحصن .

فلما فرغ من دعائه مضى بمن معه من العسكر إلى الحصن، وهم يقولون: جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

فلما وصلوا إلى الحصن وجدوا أبوابه مفتحة ، ومالك وعسكره يرتعدون من الفزع .

فأخرجهم الإمام منه ، واستولى عليه .

قالوا : ولما استنكف أهل نخل[3] بعد ما أطاعوه ، وحصروا حصنها ، وأخبر عن ذلك دعا ربه ، أن ينصره عليهم .

---

(١) السلالة بالضم الولد مثل السليل .

(٢) أى أشد مايصنع بهم .

(٣) إحدى مدن الحجر الغربى ، وهى مدينة مشهورة بزراعة النخيل والفواكه ، وبها حصن مشهور ، وهى بلد المؤلف ابن رزيق .

فلما مضى إليهم بمن معه من العسكر أذعنوا له وعاهدوه ، ألا يخونوه بعد ذلك فخلص له أمرها .

قالوا : ولما سكن الإمام ناصر بن مرشد عقر نزوى قيل له : إن أهل سمد الكندى وإن ألانوا لك الجانب فباطنهم غير ظاهرهم ، وأنهم لا يقدرون على مخالفة شيخهم فلان .

وكان بها رجل مهيب ، من بنى كندة ، وعليهم هو الأمير فى ذلك الزمان ، وهو رجل ذو نخوة وجبروت .

فسأل الإمام القاضى محمد بن عمر عنه ، فأخبره كما أخبر عنه .

فدعا الإمام ربّه الحيد ، أن ينتقم من ذلك الجبار العنيد .

فمات ذلك الجبار بعد أيام قلائل .

فخلصت له نزوى .

قالوا ، ولما استنكف عن طاعته سيف بن محمد الهنائى ، وكان هو يومئذ جرثومة بنى هناة ، وهو المالك لحصن بهلا ، وكلما بعث الإمام له عسكرا من عساكره رجعوا عنه بسلب المراد .

فدعا الإمام ربه ، أن ينصره عليه ، ثم مضى بمن معه من العسكر إلى بهلا ، ففتحها .

قالوا : ولما أبى[1] عن طاعته أهل الغبى[2] ، وقتلوا أخاه جاعد بن مرشد لما بعثه أخوه الإمام لحربهم دعا الله تعالى ، أن ينصره عليهم .

ثم بعث إليهم جيشا ، فنصر الله جيش الإمام ، وخلصت له الغبى .

(١) فى الأصل ، ولما أبت ، والصواب عدم إلحاق علامة التأنيث بالفعل لأن الفاعل مذكر بعده .

(٢) قرية من قرى منطقة الظاهرة ، وكان بها حصن بيد بنى هلال .

قالوا : ولما أراد الإمام حرب توام ، لما قيل له : إن أهلها عتاة[1] بغاة ، شداد غلاظ ، دعا ربه ، عز وجل ، أن ينصره عليهم .

ثم بعث لهم جيشا ، أميره عبد الله بن محمد النزوى الكندى ، ومعه الشيخ خميس ابن رويشد الضنكى ، وحافظ بن جمعة الهنوى ، ومحمد بن سيف ، ومحمد بن على .

فلما وصلوا إلى توام ، وبادرتهم البغاة بالحرب فلّ[2] الله شوكة البغاة ، ونصر الله عسكر الإمام ، وصارت توام فى حكم الإمام .

قالوا : ولما أراد الإمام حرب جلفار ، وكان المالك لها يومئذ ناصر الدين العجمى ، ومعه من عساكر العجم الشيرازية جملة . بعث الإمام إليها جيشا ، أميره من قبله على بن أحمد .

ودعا الإمام ربه ، جل وعلا ، أن ينصره عليهم ، فاستجاب الله دعاءه ، فنصره عليهم .

فصارت جلفار فى حكمه .

قالوا : ولما أراد الإمام حرب صور[3] وقريات[4] ، وكانتا بيد النصارى البرتكيسية[5] ، دعا الإمام ربه ، جلّ وعلا ، ثم بعث إليها جيشا ، أميره ، خميس ابن سعيد ، ففتحهما ، وأخرج النصارى منهما .

وأيّد الله الإمام بنصره .

---

(١) جمع عات وهو المستكبر المجاوز الحد .

(٢) فل بالتضعيف كسر وثلم ، والمعنى هزمهم الله .

(٣) صور مدينة تجارية هامة تقع على الساحل فى المنطقة الشرقية ، غربى رأس الحد .

(٤) مدينة ساحلية فى منطقة الحجر الشرقى .

(٥) يعنى بهم البرتغاليين .

قوله من القصيدة:

وَأَخْبَارٌ لِسِيرَتِهِ حِسَانٌ تُنَاجِي الرَّاكِبُونَ بِهَا الرِّكَابَا

يقول: وأخبار لسيرة الإمام ناصر بن مرشد حسان تناجى الراكبون بها ركابهم بالاستحسان، وهذا على سبيل مبالغة الثناء، والحمد إليه، وهو جدير بذلك.

قوله:

أَبَادَ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِ عَدْلٍ وَأَهْلَ الْبَغْيِ فَاقْتَضَبُوا اقْتِضَابَا

يقول: أباد الإمام ناصر المشركين، أى أفناهم، وأعدمهم قتلا بسيف العدل، وأهل البغى كذلك، والواو عطفية، وقوله: فاقتضبوا اقتضابا، أى، فقطّعوا بالسيف تقطيعا، والانتصاب على المصدر، يعنى بالمشركين النصارى المذكورين، وبأهل البغى من أهل عمان، ومن شايعوهم عليه بالعدوان.

قوله:

سَقَى أَسْيَافَهُ عَلَقَ الْأَعَادِي فَمَا ضَرَمُوا بِدُورِهِمُ قِبَابَا

سقاه يسقيه ضد أعطشه يعطشه، والعلق الدّم، والأعادى معروفون مشركون أو مسلمون باغون، والدور واحدتها[1] دار، والقباب بضم القاف واحدتهن قبة.

والمعنى، سقى الإمام ناصر بن مرشد أسيافه بدم أعدائه، فأخلاهم من دورهم، فما ضربوا فيها[2] بعد ما أخذهم منها قبة.

قوله:

فَمِنْ صُورٍ إِلَى صِيرٍ ظُبَاهُ تَصُبُّ دَمًا وَتَنْمُو الانْصِبَابَا

صور هنا البلد الساحلية المقابلة لجعلان العمانية، فقرى جعلان جميعا لها أعمال،

(١) فى الأصل، واحدتهن.

(٢) فى الأصل، فيهن.

عمرت بعد ما خربت قلهات[١] ، وعامروها آخر ملوك بنى نبهان ، فهى التى يعنيها الناظم بقوله : فمن صور ، لا يعنى البلد التى بالشام ، التى ذكرها الحريرى فى مقامته الصورية لما قال : أزمعت النقلة من صور إلى مدينة المنصور ، أى أزمعت النقلة منها إلى بغداد ، فإن بغداد تسمى مدينة المنصور[٢] .

والمنصور هذا هو أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ، أخذ له البيعة ، وهو بطريق مكة ، عمه عيسى بن على ، ثم لعيسى ابن موسى بعده ، يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، والمنصور يومئذ ابن إحدى عشرة سنة .

وكان مولده فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين ، وكانت أمه أم ولد[٣] يقال لها : سلامة بنت بريرة ، وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة إلا تسعة أيام ، وهو حاج عند وصوله إلى مكة ، فى الموضع المعروف ببستان بنى عامر على جادة[٤] العراق ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن فى مكة ، مكشوف الوجه ، لأنه كان محرما .

وقيل : إنه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ، ودفن بالحجون[٥] ، وهو ابن خمس وستين ، والله أعلم .

---

(١) مدينة تقع على الساحل الشرقى بين صور وطيوى .

(٢) كان مكانها يسمى الزوراء قديما ، لأن قبلتها غير مستقيمة ، ويحتاج المصلى فى مسجدها الجامع أن ينحرف إلى جهة اليسار قليلا ، ومدينة المنصور هى بغداد القديمة التى هى بالجانب الشرقى فقدا استجدت بعد ذلك .

(٣) أى جارية تباع وتشترى ، وبعد أن تصير أم ولد لمالكها لا يجوز بيعها ، وليس لها حقوق الزوجة ، مثل القسمة والميراث .

(٤) لفظا (على جادة) من وضع المحقق ، فمكانهما فى الأصل بياض ، والجادة معظم الطريق .

(٥) الحجون جبل بمعلاة مكة .

وقوله : إلى صير ، الصير جلنار ، وقوله : ظباه[1] نصب دما ، وتنمو الانصبابا ، أى وتزيد الانصباب ، نما الشيء ينمو إذا كثر وازدادت كثرته .

قوله :

إِذَا شَبَّتْ عَلَيْهِ عِدَاهُ نَارًا رَمَادًا صَيَّرَتْ لَهُمُ الإِهَابَا

شب النار يشبها إذ أوراها ، والنار معروفة ، وهى جرم بسيط ، طباعه أن يكون حارا يابسا ، متحركا بالطبع عن الوسط ليستقر تحت كرة العمر[2] ، والرماد ماتبقيه النار من أثر الحطب أو الفحم ، والإهاب جلدة الجسم .

والمعنى : إذا شب أعداء الإمام ناصر بن مرشد نارا ، أى حربا ، صيرت تلك النار التى شبوها عليه إهابهم رمادا .

قوله :

وَنَارُ وَغَاهُ مَا أَبقَتْ إِلَيْهِمْ سِوَى عُرُبٍ يَلُكْنَ الإِكْتِئَابَا

يقول : ونار وغاه ، أى ونار حربه ، وهو الإمام ناصر بن مرشد ، ما أبقت لهم باقية سوى نساء يلكن[3] الاكتئاب ، وهو الحزن على فقدهن لأزواجهن وأهلهن ، الذين صيرهم الإمام كالرماد بنار الجلاد ، يقال : نساء عرب ، إذا بلغن من الجمال الغاية ، وفى الكتاب الكريم : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[4] ، يعنى الحور العين ، المتزوج[5] بهن فى الجنان عباده الصالحون .

---

(١) الظبا كهدى جمع ظبة بضم الأول وفتح الثانى ، وهى حد السيف .

(٢) كذا فى الأصل . (٣) اللوك أهون المضغ ، أو مضغ صلب .

(٤) الآيتان رقم ٣٧ ورقم ٣٨ من سورة الواقعة ، والعرب جمع عروب ، وهى المرأة المتحببة إلى زوجها ، والأتراب جمع ترب بالكسر وهى الشبيه فى العمر والنظير فى وقت الولادة

(٥) فى الأصل المتزوجون .

قوله :

وَكَمْ بَاغٍ إِلَيْهِ يَصُوغُ كَيْدًا فَأَصْبَحَ يَطْوِى بِالْهَرَبِ الهِضَابَا[1]

كم ها هنا عددية ، وهى تأتى على ثلاثة وجوه : وجه عددى ، ووجه استفهامى ، ووجه خبرى ، فالعددية ما بعدها مخفوض[2] ، والاستفهامية ما بعدها منصوب ، والخبرية ما بعدها مرفوع ؛ وفى المنطق[3] ، الكمّ عرض[4] ، وهو عبارة عن المعنى الذى يقبل التجزى والمساواة والتفاوت ، ومقلبها لذاتها ، فالمساواة والتفاوت والتجزى من لواحق الكمّ ، فإن لحق غيره فبواسطته، لا من حيث ذات ذلك الغير، وهو ينقسم إلى الكم المتصل والمنفصل ، أما المتصل فهو كل مقدار يوجد لأجزائه حد مشترك ، يتلاقى عنــد طرفاه ، كالنقط للخط ، والخط للسطح ، والآن الواصل إلى الزمان الماضى والمستقبل .

وينقسم إلى ذى الوضع وإلى ما ليس بذى وضع ، وذو الوضع هو الذى لأجزائه اتصال وثبات ، وتساو فى الوجود معا ، بحيث يمكن أن يشار إلى كل واحد منهما

---

(١) تقتضى سلامة وزن البيت نطق كسر عين يطوى خطفا .

(٢) أى مجرور .

(٣) أى علم المنطق ، وهو العلم الذى يبحث فيه عن القوانين العامة للتفكير ، وغايته البحث فى الأحوال والشروط التى بتوافرها يستطيع المرء الانتقال من قضايا مسلم بصحتها إلى قضايا أخرى جديدة ، فهو خاص ببيان الطرق الصحيحة التى يحصل بها التفكير الصحيح من غير نظر إلى المواد الواقع عليها التفكير ، وقد سماه واضعوه بعلم المنطق مع أنه علم التفكير لا النطق لأن الألفاظ سمات المعانى ورموزها .

(٤) الكم هو الكمية والعدد غير الكيف ، والعرض فى علم المنطق هو صفة كلية تتصف بها أفراد حقائق مختلفة ، وهو صفة مفارقة ليست جزءا من الماهية .

أين هو من الآخر ، فمن ذلك ما يقبل القسمة[1] فى جهة واحدة فقط كالخط ، ومنه ما يقبل إلى جهتين متقاطعتين على قوائم ، وهو السطح ، ومنه ما يقبل إلى ثلاث جهات قائمة ، بعضها على بعض ، وهو الجسم ، والمكان أيضا ذو وضع ، لأنه السطح الباطن من الحاوى ، فإنه يحيط بالمحوى ، وهو مكانه .

وفريق يقولون: مكان الماء من الإناء الفضاء الذى فى الإناء الذى يقدر خلاصه، قالوا : فارقه الماء ، ولم يخلفه غيره ، وهو أيضا عند القائل من جملة الكم المتصل ، لأنه ذو مقدار ما يقبل الانقسام والمساواة والتفاوت .

وأما الزمان فهو مقدار الحركة إلا أنه ليس له وضع ، إذ لا وجود لأجزائه معا، فإنه لا ثبات له ، وإن كان له اتصال ، إذ ماضيه ومستقبله يتحدان بطرف الآن .

وأما المنفصل فهو الذى لا وجود لأجزائه لا بالقوة ولا بالفعل ، شىء مشترك يجرى مجرى النقطة من الخط ، والآن من الزمان ، وإلا فأولئك أيضا من جملة ما يتعلق بالكمية ، فإن كل ما يمكن أن يقدر ببعض أجزائه فهو ذو قدر ، إذ العشرة يقدرها الواحد بعشر مرات ، والإثنان بخمس ، وما من عدد إلا ويقدر ببعض أجزائه ، وكذلك الزمان فإن الساعة يقدر الليل والنهار ، والنهار والليل ، ويقدر لهما الشهر ، وبالشهر السنة .

فهذه الأمور تجرى مجرى الأذرع فى الأطوال ، وكذلك الأقاويل ، يقدر

---

(١) القسمة هى جعل الشىء أقساما ، أو هى العملية التى نتميز بها الأنواع التى يتألف منها الجنس بعضها من بعض، والقسمة المنطقية نوعان . قسمة طبيعية أو مادية ،وهى التى يعتبر فيها الشىء الواحد كلا مركبا من أجزاء ، ثم يحل إلى أجزائه التى يتركب منها كتقسيم الشجرة إلى الجذر والجذع والأغصان ، وقسمة نفسية أو فلسفية أو ذهنية ، وهى التى يعتبر فيها الشىء مجموعة أعراض ثم يحل فى الذهن إلى أعراضه التى يتألف منها ، كما يميز فى التفاحة شكلها ولونها وطعمها ورائحتها .

بعض أجزائها ، كما يقدر فى العروض ، إذ به تعرف الموازنة والمساواة ، والمزدحف والتفاوت ، فهذه هى أقسام الكلية للكمية[١] ، انتهى

رجعنا إلى شرح ما بقى من البيت .

الباغى قد مضى الكلام فيه ، والكيد معروف ، والهرب الفرار ، والهضاب جمع هضبة ، وهى الأرض المستوية المرتفعة .

وفى هذا البيت يشير إلى منافقى عقر نزوى لما أرادوا أن يخرجوا الإمام ناصر ابن مرشد من العقر ، فلما أخبر عنهم ، وتحقق معه ذلك نفاهم من العقر ، ونهى عن قتلهم والبطش بهم ، فتشتتوا فى البلدان العمانية .

قوله :

تُخَاطِبُهُ الكُدَى بِلِسَانِ حَالٍ ... بِرَكْضِكَ مَا تَرَكْتَ الجَابَ جَابَا

يعنى الهارب من أولئك المنافقين الذين أرادوا به الكيد لما نفاهم خاطبته الكدى بلسان الحال مع هربه وركضه ، ما تركت الجاب جابا ، أى بسرعة الركض والفرار ، والكدى الأرض البعيدة من الماء التى لا يسكنها إلا الضب ، والجاب الحمار الغليظ .

قوله :

فَمَا الظَّفْرَا رَأَتْ ظَفَرًا عَلَيْهِ ... وَلَا مَنْ شَاءَ فِيهَا الاغْتِرَابَا

الظفراء رمال منتزحة من توام عمان ، يسكنها بعض أعراب بنى ياس ، وغيرهم ،

---

(١) هى القسمة الثنائية والقسمة التفصيلية ، وللقسمة قواعد ، فيجب أن تؤسس القسمة على أساس واحد ، وأن يكون مجموع الأنواع التى ينقسم إليها مساويا للجنس تماما ، وأن يمنع كل قسم من الأقسام التى يتألف منها المقسم من دخول أفراد قسم آخر ضمنه ، بمعنى أنه يجب أن تكون الأقسام متباينة ، بحيث لايصدق قسم مايصدق عليه القسم الآخر ، فإن لم تتباين الأقسام كان التقسيم فاسدا .

وبنو ياس هم بنو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن زيد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم ، خليل الرحمن ، ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي عليه السلام ، ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم ، صلى الله عليه وسلم .

قال : أبو محمد : حدثنا عبدالملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . . . إلى تمام سياقة النسب الذي ذكرنا .

قال ابن هشام : وأنا أبتدئ بذكر إسماعيل بن إبراهيم من ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومن ولد أولادهم لأصلابهم ؛ الأول بالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم ، يعني تارك بعض ما ذكر ابن إسحق ، ولا تفسير له ، ولا شاهد عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث ، وبعض يسوء الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته .

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي قال: ولد إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، اثني عشر رجلا ، وكان أكبرهم قيذر ، وأذبل ، ومنسى ، ومسمع ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وتيما ، ويطور ، ونبش ، وقيذما ، وأمهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن هشام : ويقال مضاض بن جرهم بن قحطان ، وقحطان أبو اليمن كلها ،

وإليه يجتمع نسبها من غابر بن شالخ بن أرفخشد بن نوح .

قال ابن هشام : وجرهم بن يقطن بن يسر بن شالخ بن قحطان بن عبير بن شالخ .

قال ابن إسحق : وكان عمر إسماعيل عليه السلام ، فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ، ثم مات ، رحمة الله وبركاته عليه ، ودفن فى الحجر [١] مع أمه هاجر ، رحمهما الله .

قال ابن هشام : تقول العرب ، هاجر ولاجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : أهراق الماء ، وأراق الماء ، وغيره

وهاجر من أرض مصر .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة عن عمرو مولى عفرة ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : الله ، الله فى أهل الذمة ، أهل المدرة [٢] السوداء ، السحم [٣] الجعاد [٤] ، فإن لهم نسبا وصهرا ، قال عمرو مولى عفرة : نسبهم ، أن أم إسماعيل النبى — صلى الله عليه وسلم — منهم ، وصهرهم ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

قال ابن إسحق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، فولد عدنان رجلين ، معد بن عدنان ، وعكّ [٥] بن عدنان .

---

(١) الحجر بالكسر هو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة المشرفة من جانب الشمال .

(٢) المدرة محركة أرض لبنى شعبة قرب مكة .

(٣) السحم محركة ، والسحمة بالضم السواد . والرجل الأسحم هو أسود اللون .

(٤) الجعاد جمع جعد وهو القصير .

(٥) ذهب الجوهرى إلى ما ذهب إليه ابن إسحق من أن عك بن عدنان أخو معد ، يرى صاحب القاموس أن هذا وهم ، وأن عك بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان أخا معد .

قال ابن هشام : فصارت عكّ فى دار اليمن، وذلك أن عكا تزوج فى الأشعريين، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة ، والأشعريون بنو شعر بن نبت بن زيد ابن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان .

قال : وأنشدنى أبو محرز خلف الأحمر ، وأبو عبيدة بن وداس ، أحد بنى سليم ابن منصور بن عكرمة بن خطفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن معد بن عدنان ، يفتخر بعكّ شعرا :

وَعَكُّ بنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَقَّبُوا بِغَسَّانَ حَتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مُطْرَدِ[1]

قال : وهذا البيت من قصيدة له .

قال ابن إسحق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار ، وزمعة ، وقضاعة ابن معد، وكان بكر معد الذى به يكنى فيما يزعمون ، وقنص بن معد ، وإياد بن معد، فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ عبد شمس ، وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبى فى العرب بن يعرب بن يشجب بن قحطان .

قال ابن إسحق : وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعمه نساب معد .

وكان منهم النعمان بن المنذر ، وهو من ولد قنص بن معد .

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن شيخ من الأنصار من بنى زريق، أنه حدثه ، أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ، حين أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى .

وكان جبير أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت

---

(١) غسان اسم ماء فى شمال جزيرة العرب ، نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ، ويقال إن غسان اسم القبيلة ، وقد كانوا رهطا لملوك الروم .

النسب من أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب، فسلّمه إياه ، ثم قال : ممن كان يا جبير ، النعمان بن المنذر .

قال : كان من أشلاء[١] قنص بن معد .

قال ابن إسحق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر : مضر بن نزار، وربيعة بن نزار ، وأنمار بن نزار .

قال ابن هشام : وإياد بن نزار :

قال الحارث بن دوس الإيادى ، ويروى لأبى داود الإيادى ، واسمه الحارث ابن الحجاج شعرا :

وَفَتَقٍ حَسَنٍ أوجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بن نزار بن معدّ[٢]

فأم مضر وإياد سودة بنت عك بن عدنان ، وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك.

قال ابن إسحق لأنمار أبو خثعم بن بجيلة، قال جرير بن عبد الله البجلى ، وكان سيد بجيلة[٣] ، وهو الذى يقول له القائل : لولا جرير هلكت بجيلة ، وهو ينافر الفراقصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمى شعرا :

يا أقرَعَ بنَ حَابِسٍ يا أقرعُ إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ[٤]

وقال أيضا شعرا :

ابنَىْ نِزَارَ انصُرَا أخَاكُمَا لَنْ يُغْلَبَ اليَوْمَ أخٌ وَالَاكُمَا[٥]

وقد تيمّنت فلحقت باليمن .

---

(١) الأشلاء هى البقايا جمع شلو بالكسر وهو العضد ، أو كل مسلوخ أكل منه جزء وبقيت منه بقية .

(٢) الفتق هو المنفرج والمتسع .

(٣) بجيلة حى من معد باليمن ، ومنهم جرير بن عبد الله البجلى .

(٤) الأقرع بن حابس صحابى ، وأخوه مرثد ، الصرع: الطرح على الأرض .

(٥) أى صاحبكما

قال ابن إسحق : فولد مضر بن نزار رجلين ، إلياس بن مضر ، وغيلان ابن مضر .

قال ابن هشام : وأمهما جرهمية[١] .

قال ابن إسحق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر ، مدركة بن إلياس ، وطابخة ابن إلياس ، وأمهم خندف امرأة من اليمن ، خندف بنت عمران بن الحاف ابن قضاعة .

قال ابن إسحق : وكان اسم مدركة عامر ، واسم طابخة عمرو .

وزعموا ، أنهما كانا في إبلهما يرعيان ، فقنصا صيدا ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية[٢] على إبلهما فقال عامر لعمرو :

ـ أتدرك الإبل أم تطبخ ؟

فقال عمرو :

ـ بل أطبخ .

فلحق عامر الإبل ، فجاء بها .

فلما راحا[٣] على أبيهما حدثاه شأنهما .

فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وأما قمعة فيزعم نساب مضر ، أن خزاعة من ولد عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس.

قال ابن إسحق: ويزعمون أن أول من كانت له عبادة الحجارة، في بني إسماعيل، أنه كان لايظعن[٤] من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم ، والتمسوا الفسح[٥]

---

(١) جرهم حي من اليمن ، تزوج فيهم إسماعيل عليه السلام .

(٢) أي جماعة مقاتلة من الفرسان . (٣) أي رجعا .

(٤) ظعن أي سار ، والمراد لايخرج منهم أحد من مكة .

(٥) أي طلبوا المكان الفسيح الواسع .

فى البلاد ، فما ظعن أحد منهم إلا معه حجر من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلفت الخلوف[1] ، وأنسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا على ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات .

وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به ، والحج ، والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

وكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : لبيك،لبيك،لاشريك لك،إلّا شريك هو لك تملكه وما لك .

فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده .

يقول الله تعالى لمحمد ، صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[2] أى مايوحدوننى بمعرفة حق ، إلا جعلوا معى شريكا من خلقى .

قال ابن إسحق ، وولد مدركة بن إلياس رجلين ، خزيمة بن مدركة ، وهذيل ابن مدركة ، وأمهما من قضاعة،فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر: كنانة بن خزيمة، وأسد بن خزيمة ، والهون بن خزيمة ، فأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن غيلان ابن مضر .

قال ابن هشام ، أم النضر مالك وملكان بن كنانة ، فأم النضر برّة بنت مر بن أدين بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : النضر بن كنانة قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشى ،

---

(١) أى جاء من بعدهم أولادهم وأخلافهم .

(٢) الآية رقم ١٠٦ من سورة يوسف .

ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ، ويقال ، ابن مالك من قرش ، فمن كان من ولده فهو قرشي .

قال ابن إسحق : وإنما سميت قريش من تجمعها[١] ، يقال للجمع التقرش .

فولد النضر بن كنانة رجلين ، مالك بن النضر ، ومخلد بن النضر ، فأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان .

قال ابن هشام : والصلت بن النضر ، كما قال ابن عمرو ، وأمهم جميعا بنت سعد ابن ضرب العدواني ، وعدوان بن عمر بن قيس بن غيلان .

قال ابن إسحق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك ، وأمه جندلة بنت الحارث ابن مضاض الجرهمي .

قال ابن هشام : وليس ابن مضاض الأكبر .

قال ابن إسحق : فولد فهر بن مالك أربعة نفر ، غالب بن فهر ، والحارث بن فهر ، والأسد بن فهر ، وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وجندلة بنت فهر ، وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وأمهما ليلى بنت سعد .

قال ابن إسحق : فولد غالب بن فهر رجلين ، لؤى بن غالب ، وتيم بن غالب ، وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعي ، وتيم بن غالب ، الذين يقال لهم : بنو الأدرم .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي ، وهي أم لؤى ، وتيم ابني غالب .

قال ابن إسحاق : فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى .

---

(١) في الأصل ، من تفرقها ، والصواب ما ذكر .

فأم كعب وعامر وسامة ماوية بنت كعب بن ألقين بن جسر بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال ، الحارث بن لؤى ، وهم جشم بن الحارث فى هزان من ربيعة ، وسعد بن لؤى ، وهم بنانة فى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن ربيعة ، وبنانة حاضنة لهم من بنى ألقين بن جسر بن شيع الله ، ويقال : سيع الله بن الأسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن ألحاف بن قضاعة ، وخزيمة بن لؤى ، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة امرأة من اليمن ، وهى أم عبيد بن خزيمة بن لؤى ، وأم بنى لؤى كلهم ليلى بنت سفيان بن محارب بن فهر .

قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان .

ويزعمون ، بينما هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترتعى ، فأخذت حية بمشفرها[١] ، فهصرتها[٢] حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت[٣] سامة فقتلته .

قال ابن هشام : وبلغنى ، أن بعض ولده أتى إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فانتسب إلى سامة بن لؤى ، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : الشاعر !

فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله شعرا :

رُبَّ كاسٍ هَرَقْتَ يا ابْنَ لُؤَيٍّ ... حَذَرَ المَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ[٤]

قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج فيما يزعمون فى مركب[٥] من قريش حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان أبطأ به ، فانطلق ، وكان معه من قومه .

---

(١) المشفر للبعير كالشفة للإنسان .
(٢) الهصر هو القطع دون إبانة .

(٣) نهشته الحية لسعته .

(٤) هراق الماء يهريقه بفتح الهاء صبه ، وأصله أراقه يريقه ، ووزن مهراقه مهفعلة ، قالوا أهريق الماء ولم يقولوا أأريقه لاستثقال الهمزتين ، ووزن يهريق بفتح الهاء يهفعل .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعل المراد بالمركب جنس كل ما يركب من حيوان وغيره .

فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة فيما يزعمون الذى يقول لعوف حين أبطأ شمرا :

احْبِسْ عَلَىَّ ابنَ لُؤَىّ جَمَلَكْ   تَرَكَكَ القومُ وَلا مَنْزِلَ لَكْ

قال ابن إسحاق[1] :

وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبدالرحمن بن عبد الله بن حصين ، أن عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قال : لو كنت مدّعيا حيّا[2] من العرب ، أو ملحقهم بها لادعيت بنى مرة بن عوف ، إنا لنعرف فيهم الأشباه[3] مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى عوف بن لؤى .

قال ابن إسحق[4] : فهو فى نسب غطفان بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهم يقولون : إذا ذكر لنا هذا النسب ما ننكره ، وما نجحده ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم فى ذلك شعرا ، تركته طلب الاختصار

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتّهم ، أن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه .

قال ابن إسحق : وكان فى القوم أشراف فى غطفان ، هم ساداتهم ، وقادتهم ، منهم هرم بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف ، وخارجة بن سنان بن أبى حارثة ، والحصين بن الحمام ، وهاشم بن حرملة ، الذى يقول فيه القائل :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بنُ حَرْمَلَه   تَرَى المُلُوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَه

قال ابن إسحق : فولد كعب ثلاثة نفر : مرة بن كعب ، وعدى بن كعب ،

---

(١) المؤرخ صاحب السيرة المشهورة .

(٢) الحى هو الجماعة من الناس دون القبيلة عددا .   (٣) أى النظائر .

(٤) هو ابن إسحق المؤرخ ، وصاحب كتاب السيرة النبوية .

وهصيص[١] بن كعب ، وأمهم وحشيّة[٢] بنت سفيان بن محارب بن فهر بن مالك ابن النضر .

فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مرة ، ونقطة بن مرة ، فأم كلاب هند بنت شرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، وأم نقطة البارقية امرأة من بارق[٣] بن الأسد من اليمن ، ويقال : هي أم تيم ، ويقال تيم لهند بنت شرير أم كلاب .

قال ابن هشام[٤] : أم بارق بن عدى بن حارثة بن عمر بن عافر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم فى شنوءة الأزد ، وإنما سموا ببارق لأنهم تبعوا البرق .

قال ابن إسحق : فولد كلاب بن مرة رجلين : قصى بن كلاب ، وزهرة بن كلاب ، وأمهما فاطمة بنت سعد بن سهيل ، أحد الجحدرة[٥] ، من خثعمة الأسد[٦] ، من اليمن ، فى بنى الديل[٧] بن بكر بن عبد مناة بن كناة .

قال ابن هشام ، ويقال : خثعمة الأسد ، وخثعمة الأزد ، وهم خثعمة بن يشكر ابن مبشر بن معب بن دهمان بن نضر بن زهران .

وإنما سموا الجحدرة لأن عامر بن عمرو بن خزيمة بن خثعمة بن مضاض الجرهمى ، وكانت جرهم أصحاب الكعبة ، فسمى عامر بذلك الجار ، فقيل لولده الجحدرة .

---

(١) بضم الأول وفتح الثانى وسكون الياء .

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن اسمها « فحتلية بنت شيبان » .

(٣) صاحب كتاب السيرة المشهور .

(٤) بارق لقب سعد بن عدى أبى قبيلة باليمن .

(٥) الجحدرة هم قصار القامة .

(٦) الخثعميون هم سكان جبل خثعم ، وخثعمة بن أنمار أبو قبيلة من معد .

(٧) بنو الديل حى من تغلب .

قال ابن هشام : ونعمُ بنت كلاب ، وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى ، وأمهما فاطمة بنت سعد .

قال ابن إسحق : فولد قصى بن كلاب أربعة نفر ، وامرأتين ، حيّا بنت جليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : ويقال حبشيّة بنت سلول .

قال ابن إسحق : فولد عبد مناف بن قصى أربعة نفر : هم شمر[1] بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، وأمهم عاتكة[2] بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكران بن ثعلبة بن منصور بن عكرمة، ونوفل بن عبد مناف، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية ، ومازن بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب ابن مالك بن الحارث بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : وأبا عمرو[3] وتماضر وقلابة ويعفور وريطة ، وأم خثعم وأم سفيان بن عبد مناف ، فأم أبى عمرو ريطة امرأة من ثقيف ، وأم سائر النساء عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف ، وأمها صفية بنت حوزة ابن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر من هوازن ، وأم صفية ويعفور وريطة وأم الأخثم وأم سفيان بنى عبد مناف أربع نفر ، وخمس نسوة، عبد المطلب ابن هاشم وأسد بن هاشم ، وأما صفى بن هاشم ونضلة بن هاشم والشفا وخالدة وضعيفة

---

(١) بفتح الأول وكسر الثانى .

(٢) العواتك فى جدات النبى — صلى الله عليه وسلم — تسع ، وثلاث من بنى سليم ، والبواقى من غيرهم ، ومنهن صحابيات .

(٣) كذا فى الأصل ، وتحته خط ، ولعل المؤلف أراد بالخط تذكرته بمراجعة كتب السيرة والأنساب فيما كتب .

ورقية وحية ، فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عائذ الله بن سعد العشيرة ابن مدلج .

قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب ابن هاشم وأسد بن هاشم ، وأبا صفى بن هاشم ونضلة بنت هاشم والشفا وخالدة وضعيفة ورقية وحية، فأم عبد المطلب بن هاشم ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد ابن حداس بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، واسم النجار تيم[١] الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج من حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن عامر ، وأمهما عميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار ، وأم عميرة سلمى بنت عبد الأشهل النجارية، وأم أسد سليمى بنت عامر بن مالك الخزاعى ، وأم أبى صفى وحية هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، أم نضلة ، والشفا امرأة من قضاعة ، وأم خالد وضعيفة واقدة بنت أبى عدى المازنية .

أولاد عبد المطلب بن هاشم[٢] :

قال ابن هشام : ولد عبد المطلب عشرة نفر ، وست نسوة ، العباس ، وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب ، والزبير ، والحارث ، وحجلا ، والمقوم ، وضرار ، وأبا لهب ، وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى وبرّة .

فأم العباس وضرار نتلة بنت جناب بن كليب بن عمرو بن عامر بن زيد مناة ابن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هيب[٣] بن أفصى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

---

(١) التيم هو العبد ، وفى قريش تيم بن مرة رهط أبى بكر رضى الله عنه ، وتيم الله فى النمر بن قاسط ، وفى الخزرج تيم اللات . (٢) هاشم بن عبد مناف ، وكنيته أبو نضلة .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم أعثر له فى كتب الأنساب على لفظ .

ويقال : أقصى بن دعمى بن جديلة .

وأم حمزة والمقوم وحجل[1] ، وكان يلقب بالغيداق ، لكثرة خيره وسعة ماله ، وصفيه بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وأم عبد الله وأبى طالب والزبير وجميع النساء ، غير صفية وفاطمة ، بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم بن نقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر .

وأم عبد المطلب بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب سمراء بنت جندب بن حجين بن رباب بن سوأة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .

وأم أبى مناف بن زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر .

وأم أم حبيبة مرة بنت عوف بن عبيد بن عريج بن عدى بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب سمراء بنت جندب بن حجيز بن رباب بن سوأة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .

وأم أبى لهب لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاهر بن حبشية بن سلول بن كعب ابن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام :

---

(١) بفتح الأول وسكون الثانى ، وهو واحد من أعمام النبى صلى الله عليه وسلم ، واسمه مغيرة .

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سيد أولاد آدم ، صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قال الناظم :

وإنى وإن أطلت الكلام ، وخيل أنه خرج عن المقصود ، فما خلا من فائدة نسبية شريفة عربية ، فإن بنى إلياس قد تنسبهم عامة الناس إلى هذه الغاية بنى ياس ، وتنسبهم إلى اليمن ، وهم بنو بنى إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان نزاريون لايمنيون ، والأولى أن ينسب المرء إلى قومه وعشيرته ، وكفى بذلك قوله تعالى لخير خلقه ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ الآية[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المنتسب إلى غير عشيرته ملعون ، وقوله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش ، وقوله صلى الله عليه وسلم للكندى لما قال له الكندى : نحن بنو آكل المرار[2] ، وأنت ابن آكل المرار ، « لا ، وإنما أنا من بنى النضر بن كنانة » .

وقوله صلى الله عليه وسلم للرجل اليمنى يوم الخندق[3] لما استنسبه ، فقال الرجل اليمنى شعرا :

أنا امرؤٌ حِمْيَرِ حِينَ يَنْسُبُنِى لا مِنْ كِنَانَةَ أنسابى ولا مُضَرِ[4]

كأنه يفتخر على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له ، صلى الله عليه وسلم : « قلّ عدُّك وقَلّ حدّك[4] » ، إلى تمام قوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أول الآية رقم ٥ من سورة الأحزاب .

(٢) آكل المرار هو جد امرئ القيس ، لكثر كان به ، والمراد بالضم نبات من أفضل العشب إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها .

(٣) يوم غزوة الخندق ، والخندق حفير يحفر حول أسوار البلاد لحمايتها .

(٤) أى ثلم .

أخبر أبو عبيد الله والمرزباني قال : حدثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال : كان في زمن الرشيد رجل من الأنصار يقال له ، نقيع وكان عرّيضا[١] .

قال : فحضر باب الرشيد يوما ، ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وحضر موسى بن جعفر الصادق على حمار له ، فتلقاه الحاجب بالبشر والإكرام ، وأعظمه من كان هناك ، وعجل له الإذن .

فقال نقيع لعبد العزيز :

من هذا الشيخ ؟

قال :

أو ما تعرفه ؟

قال : لا .

قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر .

قال :

ما رأيت أعجب من هؤلاء القوم ، يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير[٢] ، أما لئن خرج لأسوأنه[٣] .

فقال عبد العزيز :

لا تفعل ، فإن هؤلاء القوم قلّ ما تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه في الجواب بسمة[٤] يبقى عارها عليه مدى الدهر .

---

(١) أي يعرض بالناس فيذكر عنهم مايسوءهم .

(٢) أي سرير الملك .

(٣) في الأصل ، لأسونه أي لأذكر له مايسوءه .

(٤) السمة ما يوسم به الإنسان من ضروب الصور والصفات .

قال : وخرج موسى بن جعفر فقام إليه نقيع الأنصارى ، فأخذ بلجام حماره ، ثم قال :

ـ من أنت ؟

فقال له :

ـ يا هذا ، إن كنت تريد النسب فأنا محمد حبيب الله بن إسماعيل ، ذبيح الله ابن إبراهيم ، خليل الله ، وإن كنت تريد البلد ، فهو الذى فرض الله تعالى على المسلمين وعليك إن كنت منهم ، الحج إليه ، وإن كنت تريد المفاخرة[1] فوالله ما رضى مشركو قومى مسلمى قومك ، أكفاء لهم حتى قالوا : يا محمد ، أخرج لنا أكفاءنا من قريش ، خلّ عن الحمار .

قال : فخلى عنه ، ويده ترتعد ، وانصرف بخزى .

فقال له عبد العزيز :

ـ ألم أقل لك ؟

وقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الرماة : ارموا يا بنى إسماعيل ، فإن أبانا كان راميا ، أراد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يميزهم عن بنى ثعل ، لأنهم مشهورون بقرطسة السهم مع الرمى .

وهم قوم من اليمن .

وقال بعض المفسرين لكتاب رب العالمين ، قوله تعالى لخير خلقه ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[2] .

---

(١) هى التمدح بالخصال كالافتخار ، وكان من عادة العرب المعارضة بالفخر ، وقد نهى عنها الإسلام ، كما نهى أيضا عن المنافرة .

(٢) الآية رقم ٢١٤ من سورة الشعراء .

فقام صلى الله عليه وسلم ينادى ببطون[1] قريش

أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى .

قال العلماء : وفى ذلك دليل على أن قريشا من الأقربين .

وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن عدى بن حاتم ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

ـ يا معشر قريش ، أحبوا قريشا ، فإن من أحب قريشا أحبنى ، ومن أبغض قريشا أبغضنى ، وإن الله حبب إلىّ قومى فلا أتعجل لهم نقمة ، ولا أستكثر لهم نعمة » إلى آخر الحديث .

وبنو هاشم وبنو عبد المطلب أقرب قرابته .

قلت : وإنما يقتضى كلامه ، صلى الله عليه وسلم ، إن صح أنه تكلم كما روى الطبرانى وابن مردويه عن عدى بن حاتم الطائى ، الخصوص من قريش لا العموم منهم ، وهم المسلمون الصالحون ، الخالص إيمانهم لله سرا وإعلانا ، السالكون طريقة الشريعة ، وما بدلوا تبديلا ، ولا تحولوا تحويلا ، وأما غيرهم فلا . .

* * *

رجعنا إلى تفسير ما بقى من بيت القصيدة .

والظفر بالتحريك الغلبة والنصر .

قوله :

وَلَا مَنْ شَاءَ فِيهَا الاعْتِرَابَا

أى كذلك من شاء عند ساكنيها سكونهم ، ما وجدوا لهم ظفرا عليه ، يعنى ، الإمام ناصر بن مرشد المذكور .

وفى هذا البيت يشير بسقير بن عيسى ، رئيس بنى ياس ، وأخيه محمد بن عيسى ،

---

(١) البطن أقل من القبيلة عددا .

لما أغار عليهما من قبل الإمام ، سعيد بن خلفان ، وعمير بن محمد بن جعفير .

فالتقوا دون الظفرة ، فأظهر الله عليهما عسكر الإمام .

فقتل سقير المذكور وأخوه محمد بن عيسى ، ومعهما جماعة من قومهما .

قوله :

لَهُ سِيَرٌ حِسَانٌ كُلُّ شَرْحٍ تُبَاعِدُهُ إِذَا شَاءَ اقْتِرَابَا

يقول ، وللإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله ، سير حسان ، جمع سيرة ، كلما أراد الشرح أن يقاربهن حصرا يباعدنه بطول لا يدركه الحصر .

قوله :

بِهِنَّ اللهُ ثُمَّ الرُّسْلُ يَرْضَى وَمَنْ صَارَتْ لَهُ عَدْنٌ مَآبَا

يقول بسيره الحسان ، يعنى الإمام ناصر بن مرشد ، يرضى الله السلام ، ثم رسله ، وأنبياءه [١] عليهم السلام ، ومن صارت له من أولاد الله عَدْن ، وهى الجنة ، أى محلا ومقاما .

قوله :

حَكَى الصِّدِّيقَ وَالْفَارُوقَ عَدْلًا فَأَنْضَى النَّفْسَ بِالْعَدْلِ الطِّلَابَا

لقد مضى الكلام فى حكى أنه بمعنى ناظر وشابه ، وماثل ، أى أن الإمام ناصر بن مرشد حكى بالعدل الصديق ، وهو أبو بكر ، رضى الله عنه ، وحكى به الفاروق ، وهو عمر ، رحمه الله ، فأنضى نفسه فى طلب العدل ، أى أتبعها فى طلب العدل إلى أن بلغ المطلوب الذى يرضى به الله تعالى ، وملائكته ورسله ، وأنبياؤه [٢] ، عليهم السلام ، والمسلمون الاستقاميون فى الدين ، فإن كل شىء صعب فى الدين لا يبلغ إلا بشق الأنفس ، والتوفيق بالله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل ، وأنبيائه ، والصواب ماذكر ، لأنه معطوف على منصوب .

(٢) معطوف على المرفوع ، وفى الأصل ، أنبيائه .

[أبو بكر الصديق]

وأبو بكر ، رضى الله ، اسمه عبد الله بن عثمان ، وهو أبو قحافة بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ، واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان بن برا بن مقوم بن ناحوز بن تيرح بن يعرب بن يشجب ابن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن تارح ، وهو أزر بن ناحور بن ساروح ابن زاعور بن فالخ بن عبيد بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك ابن متوشلح بن أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن آدم، عليه السلام، ابن التُّراب .

[ذكر لمع من أخباره]

رضى الله عنه

فهو فى مرة يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقبه بعتيق ، لبشارة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إياه ، أنه عتيق من النار ، فسمي يومئذ عتيقا .

وقيل ، إنما سمى عتيقا لعتق أمه[1] .

والأول أصح ، وعليه معتمد الجمهور .

---

(١) فى الأصل أمهاته ، والصواب لعتق أمه بالإفراد ، فـكل مولود له أم واحدة ويروى المؤرخون أنه كان لايعيش لأمه ولد ، فاستقبلت به أمه البيت الحرام بعد ولادته ، وقالت، اللهم، هذا عتيقك من الموت وقيل ، سمى عتيقا لسبقه إلى الإسلام ، أو لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار، وروى ابن حجر (الإصابة ج ٤ ص ١٠٢) أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو وأصحابه بفناء الكعبة إذ جاء أبو بكر ، رضى الله عنه ، فقال الرسول ، من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر ، فغلب عليه اسم عتيق .

واستخلف[١] وأبوه فى الحياة مسلما .

وكان أبو بكر ، رضى الله عنه ، أزهد الناس ، وأكثرم تواضعا فى أخلاقه الرضية ، ولباسه ، ومطعمه .

وكان يلبس فى خلافته الشملة[٢] والعباءة .

وقدم عليه زعماء العرب وأشرافها من ملوك اليمن ، وعليهم الحلىّ وبرود الوشى[٣] ، المثقل بالذهب والتيجان ، والحِبَر[٤] .

فلما شاهدوا عليه من اللباس والزهد والتواضع ، وما عليه هو من الوقار والهيبة ذهبوا إلى مذهبه ، ونزعوا ما كان عليهم .

فكان ممن ورد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع[٥] ملك حمير ، ومعه ألف عبد ، دون من كان معه فى عشيرته ، وعليه التاج ، فألقى ما عليه وتزيا بزيه حتى رئى[٦] يوما فى أسواق المدينة على كتفه جلد شاة ، ففزعت عشيرته لذلك ، وقالوا له، فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب .

قال ، أفوددتم أن أكون جباراً فى الإسلام ، لاهالله ، لا تكون طاعة العبد لله إلا التواضع لله ، والزهد فى هذه الدنيا الفانية .

---

(١) أى أصبح خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) الشملة كساء دون القطيفة يشتمل به .

(٣) الوشى نقش الثوب ، والبرود الموشاة هى الأثواب المنقوشة .

(٤) الحبر بكسر الأول وفتح الثانى جمع حبرة ، وهى نوع من الثياب اليمنية المزخرفة .

(٥) التكلع هو التحالف والتجمع ، وقد سمى به سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر، فكان يقال له ، ذو الكلاع الأصغر ، لأن حمير تجمعوا على يده إلا قبيلتين : هوازن وحراز، فإنهما تكلعتا على ذى الكلاع الأكبر وهو يزيد بن النعمان .

(٦) أى أبو بكر الصديق .

وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفــود بعد التكبر ، وتذللوا بعد التجبّر .

وبلغ أبا بكر ، رضى الله عنه ، عن أبى سفيان بن حرب أمر ، فأحضره ، وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل .

وأقبل أبو قحافة ، فسمع صياح أبى بكر ، فقال لقائده[1] ، على من يصيح ابنى ؟

فقال : على أبى سفيان .

فدنا من أبى بكر ، وقال له :

على أبى سفيان ترفـع صوتك يا عتيق .. ! لقد تعديت طورك ، وجزت مقدارك .

فتبسم أبو بكر ، رحمه الله ، ومن حضره من المهاجرين والأنصار .

فقال له : يا أبت ، إن الله رفع بالإسلام قوما ، وأذل آخرين .

ولم يتقلد أحد الخلافة وأبوه باق إلا أبو بكر .

وأم أبى بكر سلمى ، وتكنى أم الخير بنت حجر بن عمرو بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة .

وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام .

فردّهم إلى ما كانوا عليه من العدل والإنصاف .

وكان له من الولد عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد .

فأما عبـــد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبى . صلى الله عليه وسلم ، ولحقته جراحات ، وبقى إلى أيام أبيه أبى بكر ، ومات وخلّف سبعة دنانير ، فاستكثرها أبوه ، ولا عقب[2] لعبد الله .

---

(١) الذى يقوده . فقد كان أعمى .

(٢) العقب هو الولد .

وأما عبد الرحمن فإنه شهد يوم بدر مع المشركين ، فحسن إسلامه .

ولعبد الله أخبار ، وله عقب كثير ، بدو وحضر فى ناحية الحجاز مما يلى الجادة فى الموضع المعروف بالصعب حيات .

ومحمد بن أبى بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ومنها عقب جعفر بن أبى طالب، وخلف عليها حين استشهد عبد الله ، وعوناً ومحمدا ابنى جعفر بالطائف مع الحسن ابن على ، ولا عقب لها .

وعقب جعفر عبد الله بن جعفر ، وولد لعبد الله بن جعفر على وإسماعيل ، وإسحق ومعاوية ، وتزوجها بعده الصديق ، نخلف عليها محمدا ، ثم تزوجها على بن أبى طالب فأولدها أولادا ذكورا ، ولا عقب له منها .

وأم أسماء العجوز الحرسية ، كان لها أربع بنات ، وهذه العجوز أكرم الناس أصهارا .

كانت ميمونة الهلالية تحت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وأم الفضل تحت العباس بن[1] عبد المطلب .

وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب ، وخلف عليها بنتا .

وأسماء تحت من ذكرنا من جعفر وأبى بكر وعلى .

هكذا قال المسعودى فى مروج الذهب .

قال : والعقب[2] من محمد بن أبى بكر قليل .

وأم جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على ن أبى طالب أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبى بكر ، وكان يدعى عابد قريش ، لنسكه وزهده ، ورباه على بن أبى طالب .

---

(١) فى الأصل بنت . (٢) العقب الولد وولد الولد .

ومات أبو قحافة فى خلافة عمر بن الخطاب ، وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وذلك فى سنة أربع عشرة سنة .

وبويع أبو بكر فى يوم السقيفة [١] ، وجددت له البيعة يوم الثلاثاء على العامة . وكان للمهاجرين والأنصار خطب طويل ، ومجاذبة فى الإمامة إلى أن صار ركابها فى يد أبى بكر ، رضى الله عنه .

وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع ، فسار إلى الشام ، فقتل هناك فى سنة خمس عشرة ، وخلصت البيعة لأبى بكر ، رضى الله عنه ، من بنى هاشم بعد موت فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورحمها الله ، ورضى عنها .

ولما ارتدت العرب لأهل المسجدين وما بينهما ، وأناس من العرب قدم على ابن حاتم الطائى بإبل الصدقة ، وقد كان أبو بكر قد سمته [٢] اليهود فى شىء من الطعام ، وأكل مع الحارث بن كلدة ، فعمى ، وكان السم لسنة .

ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما .

ثم توفى رحمه الله .

وخلف أبو بكر من البنات : أسماء ، ذات النطاقين [٣] ، وهى أم عبد الله بن

---

(١) السقيفة هى سقيفة بنى ساعدة ، وكان هذا اليوم يوم موت النبى الرسول الكريم . محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، وبعد أن تيقن المسلمون أنه عليه الصلاة والسلام قد مات انحاز حى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، وانعقد الرأى بينهم على أن يطالبوا لأنفسهم بالإمارة على المسلمين من دون المهاجرين ، وانتهى الأمر بوحدة الكلمة والرأى بين المهاجرين والأنصار ، وبويع أبو بكر الصديق بالخلافة بيعة السقيفة ، ثم البيعة العامة .

(٢) أى وضع اليهود له السم فى طعام تناوله .

(٣) النطاق شقة من الثياب تلبسها المرأة ، وسميت أسماء بذات النطاقين لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والأخرى عصاما لقربته .

الزبير ، وعمرت مائة سنة حتى عميت ، وعائشة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم .

وقد تنوزع في بيعة علي بن أبي طالب لأبي بكر ، فمنهم من قال بعد موت فاطمة بعشرة أيام ، وذلك بعد وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بنيف وسبعين يوما ، وقيل بثلاثة أشهر ، وقيل بسنة ، وقيل غير ذلك . والأول أصح .

ولما أنفذ أبو بكر ، رضي الله عنه ، الأمر إلى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبي سفيان[1] ، إذا قدمت على أهل لك فعدهم الخير وما بعده ، فإذا وعدت فأنجز ، ولا تكثرن عليهم الكلام ، فإن بعضه ينسى بعضا ، وأصلح نفسك تصلح الناس بك ، وإذا قدم عليك رُسُل عدوك فأكرم مثواهم ، فإنه أول خيرك إليهم ، وأقلل حبسهم كي يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت الذي تلي كلامهم ، ولا تجعل سرك مع علانيتك ، فيمدح أجرك .

وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك ، وإذا بلغك عن عدو عورة فاكتمها حتى تؤتيها ، واستر في عسكرك الأخبار ، وأذلّ حراسك . وأكثر مناجاتك في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء إذا لاقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك . . انتهى .

وفي الحديث قال رسول الله ، صلى الله عليه : دعوني لصاحبي ، فإنكم قلتم لي : كذبت ، وقال لي : صدقت . يعني صلى الله عليه وسلم ، أبا بكر ، رضي الله عنه .

---

(١) كان يزيد بن أبي سفيان واحدا من أربعة أمراء عقدلهم الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ألوية الجند الذين أنفذهم إلى الشام ،وهم أبو عبيدة الجراح وكانت وجهته حمص ،ومركز قيادته الجابية ، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته وادي الأردن ، وقد أمرهم أبو بكر أن يعاون بعضهم بعضا ، وأن يكونوا جميعا تحت إمرة أبي عبيدة ، وكان ذلك بعد أن جمع هرقل قيصر الروم جيشا جرارا عسكر به على مقربة من بلاد العرب وفلسطين عقب أن شن أسامة بن زيد الغارة على بلاد الروم

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى كلام البقرة والذئب : آمنت بهذا أنا وأبو بكر .

وروى مالك عن سالم عن عمير بن جبير عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما آمن الناس على صحبته وماله كأبى بكر ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن إخوة فى الإسلام ، لا يبقين فى الإسلام خوخة[١] إلى خوخة » .

وعن أبى مالك الباهلى قال : حدثنا عمر بن عيينة قال : أتيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو نازل بعكاظ[٢] ، فقلت : يا رسول الله ، من اتبعك على هذا الأمر ؟

قال : حرّ ، وعبْد ، أبو بكر ، وبلال .

قال : فأسلمت عند ذلك ، وذكر الحديث متسلسلا من أحمد بن القاسم بن محمد ابن أبى بكر إلى أنس ، أن أبا بكر حدثه قال :

ـ قلت للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، ونحن فى الغار[٣] : لو أن أحدا يبصر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه .

فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

وروى عن رجل من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال فى مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبى بكر : والله ما كان لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، موطن إلا على سمعه .

---

(١) الخوخة كوة أو نافذة يدخل منها الضوء إلى البيت ، أو هى مخترق مابين كل دارين ليس عليه باب .

(٢) سوق كانت تقام بين نخلة والطائف وتستمر عشرين يوما من أول شهر ذى القعدة ، وتجتمع فيها قبائل العرب ، فيتسوقون ، ويتفاخرون ويتناشدون .

(٣) الغار هو الكهف ، مثل البيت ، فى الجبل .

قال القاسم : أخى لاتخاف ، فإن الله تعالى يقول ، « ثَـانِيَ اثْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ »[١] .

واستخلفه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على أمته بعدما أظهره من الدلالة البينة على محبته فى ذلك ، وبالتعريض الذى يقوم مقام التصريح ، ولم يصرح بذلك لأنه لم يؤمر فيه بشىء ، وكان لايضع شيئا فى دين الله إلا بوحى ، والخلافة ركن من أركان الدين .

وعن عبد الخير يقول ، سمعت على بن أبى طالب يقول ، رحم الله أبا بكر ، كان أول من جمع بين اللوحين[٢] وعن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب من وجوه ، أنه قال ، لما[٣] ولينا أبو بكر نخير خليفة أرحم ، وأحنى علينا . وروى سفيان بن عيينة عن الوليد بن كثير عن أبى بدرس عن أسماء بنت أبى بكر ، أنهم قالوا ، ما أشد ما رأيت من المشركين الذين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقول لهم فى آلهتهم .

فبيناهم كذلك إذ دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المسجد ، فقاموا إليه ، وكانوا إذا سألوه عن شىء صدقهم ، فقالوا ، ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا ؟ .

قال : بلى

فتشبثوا به بأجمعهم .

فأتى الصريخ[٤] إلى أبى بكر ، فقيل له ، أدرك صاحبك .

---

(١) الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) يعنى القرآن الكريم ، والمراد بأحد اللوحين ماهو محفوظ فى الصدور ، وباللوح الثانى ماهو مسطور فى الألواح .

(٣) فى الأصل ما بدون اللام .

(٤) أى المستغيث .

فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد ، فوجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهم[١] مجتمعون إليه ، فقال :

ويلكم ، أتقتلون رجلا يقول ، ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات .

قال ، فلهوا عن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، وأقبلوا إلى أبى بكر يضربونه .

قال ، فرجع إلينا ، فجعل لا يمس شيئا من غدائره[٢] إلا جاء معه ، وهو يقول، تباركت ياذا الجلال والإكرام .

وحدث سعيد بن نصر ، وعبد الوارث بن سفيان قال،حدثنا قاسم بن إصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير قال،حدثنا منصور بن مسلم الخزاعى ، وأخبرنا أحمد بن عبد الله، قد حدثنا الميمون بن حمزة الحسينى بمصر قال ، حدثنا الطحاوى قال ، حدثنا المزنى ، قال ، حدثنا الشافعى ، قال ، حدثنا إبراهيم بن أسعد بن إبراهيم عن أبيه عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه قال :

ـ أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته عن شىء ، فأمرها أن ترجع إليه .

فقالت ، يارسول الله ، إن جئتك ولم أجدك ـ تعنى ، عند الموت ـ .

فقال لها صلى الله عليه وسلم :

ـ إن لم تجدينى فائتى أبا بكر .

قال الشافعى ، فى هذا الحديث دليل ، أن الخليفة بعد رسول الله أبو بكر ، رضى الله عنه .

وروى الزهرى عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله ابن زمعة بن الأسود قال ، كنت عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عليل، فدعاه بلال إلى الصلاة ، فقال :

---

(١) كلمة وهم ، زيادة من المحقق .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى القاموس المحيط:الغدائر جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر .

ـ أمروا من يصلى بالناس .

فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقال ، قم ، فصلّ بالناس .

فقام عمر ، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مجهرا [١] ، فقال صلى الله عليه وسلم :

فأين أبو بكر ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة .

فصلى بالناس طول علته [٢] حتى مات صلى الله عليه وسلم .

وهذا أيضاً واضح فى ذلك .

حدث سعيد بن نصر قال ، حدثنا محمد بن كثير قال : حدثنا : سفيان ، ويعيش ابن سعيد عن عبد الملك بن عمير عن مولى الربعى بن حراش عن حذيفة قال ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

ـ اقتدوا باللذين بعدى ، بأبى بكر وعمر ، وأهدوا هدى [٣] عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد .

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قال ، حدثنا قاسم بن إصبع قال ، حدثنا أبو بكر محمد بن أبى العوام قال ، حدثنى محمد بن يزيد الواسطى قال ، حدثنا إسماعيل بن أبى مجالد عن عبد الله بن مسعود قال ، كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بنى ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

نشدتكم الله . هل تعلمون أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ؟ .

---

(١) أى صوته جهورى مرتفع . (٢) أى مدة مرضه ، صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) الهدى بفتح الهاء وسكون الدال ما أهدى إلى البيت الحرام وإلى مكة من حيوان .

قالوا : نعم .

قال : فأيكم تطيب نفسه أن يزيله من مقام أقامه فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

قالوا : كلنا لا تطيب نفسه ، ونستغفر الله .

وروى إسرائيل عن أبى إسحق عن إبراهيم النخعى عن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله بن مسعود ، اجعلوا إمامكم خيركم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل إمامنا خيرنا .

وروى صاحب كتاب الاستيعاب عن على بن عبد الله عن محمد بن عبد الله ، أن محمد بن معاوية أخبرهم ، قال : حدثنا أبو الوليد الطيالسى قال : حدثنا نافع عن عمرو الجمحى عن أبى مليكة قال :

قال رجل لأبى بكر ، يا خليفة الله .

قال : لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنا راض لذلك .

قال : حدثنا خلف بن قاسم بن على بن إبراهيم قال : حدثنا الحسن بن رشيق قال : حدثنا على بن سعيد بن بشر قال : حدثنا أبو بكر كريب عن عبيد بن حسان الصيدلانى قال : حدثنا مسعر بن كدام[1] عن عبد العزيز بن سبرة عن على ابن أبى طالب قال :

ـ خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وثلث[2] عمر ، ثم حطمتنا فتنة ، يعفو الله فيها عن من يشاء .

(١) كدام بكسر الأول ، وهو شيخ السفيانيين .

(٢) أى ذكر الثالث .

وقال مسروق : حب أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة .

وكان أبو بكر نحيفا أبيض خفيف العارضين [١] ، أحنى ، لاتمسك أزرته [٢] لاسترخاء من حقويه [٣] ، معروق الوجه ، غائر العينين ، نانى الجبهة ، عارى الأشاجع [٤] .

[خلافة أبى بكر الصديق]

هكذا وصفته ابنته عائشة ، رضى الله عنها .

بويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى سقيفة بنى ساعدة ، ثم بويع بيعة العامة يوم الثلاثاء ، ذلك اليوم . وتخلف عن بيعته سعيد ابن عبادة ، وطائفة من الخزرج [٥] ، وفرقة من قريش .

ثم بايعوه بعد ، غير سعد بن معاذ .

وقيل : إنه لم يتخلف أحد عن بيعته يومئذ من قريش .

وقيل : تخلف من قريش على ، والزبير ، وطلحة ، وخالد بن سعيد بن العاص ، ثم بايعوه .

وقيل : إن عليا لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة ، رحمها الله ، ثم لم يزل سميعا مطيعا له ، يثنى عليه ، ويفضله .

حدثنا أحمد بن محمد قال : حدثنا أحمد بن الفضل بن العباس قال : حدثنا محمد ابن جرير قال : حدثنا سلمة بن الفضل عن أبى إسحق عن عبد الله بن أبى بكر ، أن

---

(١) العارضان هما جانبا الوجه . (٢) الإزرة والإزار للملحفة .

(٣) مثنى حقو وهو ما دون وسط الجسم من قعيدة الرجل .

(٤) الأشاجع هى أصول الأصابع التى تصقل بعصب ظاهر الكف الواحد .

(٥) قبيلة من الأنصار .

خالد بن سعيد بن العاص قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فتربص[١] ببيعة أبى بكر ، ثم بايع .

فلما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام كان أول من بعث على ربع[٢] منها خالد بن سعيد .

فلم يزل به عمر حتى عزله ، وأمر يزيد بن أبى سفيان .

أخبرنا محمد بن عبد الملك قال : أخبرنا ابن الأعرابى قال : حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال : حدثنا يزيد بن هرون ، وأبو قطن ، وأبو عبادة ، ويعقوب الحضرمى ، واللفظ ليزيد ، قال أخبرنا محمد بن طلحة عن أبى عبيدة الحكم عن حجل قال : قال على : لا يفضل أحد أحدا على أبى بكر إلا جلدته جلد المفترى[٣] .

حدثنا خلف بن قاسم ، حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج ، حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثنا إسماعيل بن علية ، حدثنا أيوب السجستانى عن محمد ابن سيرين قال : لما بويع أبو بكر أبطأ على عن بيعته ، وجلس فى بيته .

فبعث إليه أبو بكر ، ما أبطأك ، أكرهت إمارتى ؟

فقال على : ما كرهت إمارتك ، ولكننى آليت على نفسى ، لا أرتدى ردائى للصلاة حتى أجمع القرآن .

قال ابن سيرين : فبلغنى أنه كتبه على تنزيله ، ولو أصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير .

وذكر عبد الرزاق معمر عن أيوب عن عكرمة قال : لما بويع أبو بكر تخلف علىّ عن بيعة أبى بكر ، وجلس فى بيته .

---

(١) أى انتظر وتلبث .

(٢) كذا فى الأصل ، والربع بفتح الياء جمع ريعة وهى الجماعة قد انضموا ، بعضهم إلى بعض .

(٣) هى النخلة التى يكشط ليفها .

فلقيه عمر ، فقال : تخلفت عن بيعة أبي بكر . . ؟

قال : إني آليت بيمين [١] حين قبض رسول الله ، صلى الله وسلم ، لا أرتدى ردائى إلا للصلاة المكتوبة حتى أجمع القرآن ، فإني خشيت أن ينقلب .

ثم خرج فبايعه .

وذكر ابن المبارك عن مالك بن مسعود عن أبي بحر قال : لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى علىّ ، فقال :

ـ أعليكم وليتم على هذا الأمر أراذل بيت قريش ، أما والله لأملأنّها خيلا ورجالا [٢] .

فقال على :

ـ ما زلت عدوا للإسلام ، فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئا ، إنا رأينا أبا بكر لها أهلا .

وهذا الخبر مما رواه عبـــد الرزاق بن المبارك قال : حدثنا محمد بن أيوب قال : حدثنا أحمد بن عمرو البزّار قال : حدثنا أحمد بن يحيي قال : حدثنا محمد بن بشر قال : حدثنا عبد الله بن عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن عليًا والزبير كانا حين بويع أبو بكر يدخلان على فاطمة ، رضى الله عنها ، ورانها [٣] ، ويتراجعون فى أمرهم.

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فدخل عليها ، فقال :

ـ يا ابنة رسول الله ، ما كان أحد من الخلق أحب إلينا بعده منك ، وقد بلغنى، أن هؤلاء النفر يدخلون عليك ، ولئن بلغنى لأفعلنّ ولأفعلنّ .

ثم خرج .

---

(١) أى حلفت وأقسمت .

(٢) المراد تعبئة الجند للقتال .

(٣) الوران بكسر الأول مكان الجلوس .

وجاءوها .

فقالت لهم :

ـ إن عمر قد حلف ، وحلف لئن عدتم ليفعلن ، وأيمُ الله[١] ليفينّ بها ، فانظروا فى أمركم ولا ترجعوا إلىّ .

فانصرفوا ، فلم يرجعوا ، حتى بايعوا أبا بكر .

وقال أبو عبيدة القرشي يمدح أبا بكر ، رضى الله عنه ، شعرا :

شُكْرًا لِمَنْ هُوَ بِالثَّنَاءِ خَلِيقُ ۞ ذَهَبَ اللَّجَاجُ وبُويِعَ الصِّدِّيقُ[٢]

مِنْ بَعْدِ مَا دَحَضَتْ بِسَعْدٍ نَعْلُهُ ۞ وَرَجَاءُ قَوْمٍ دُونَهُ العَيُّوقُ[٣]

جَاءَتْ بِهِ الأَنْصَارُ عَاصِبَ رَأْسِهِ ۞ فَأَتَاهُمُ الصِّدِّيقُ وَالفَارُوقُ

وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالَّذِينَ إِلَيْهِمُ ۞ نَفْسُ المُؤَمِّلِ لِلِّقَاءِ تَتُوقُ[٤]

قُلْنَا نَقُولُ لَهُمْ عَلِيٌّ وَالرِّضَا ۞ عُمَرُ أَوْلَاهُمْ بِذَاكَ عَتِيقُ

فَدَعَتْ قُرَيْشٌ بِاسْمِهِ فَأَتَاهُمُ ۞ إِنَّ المُنَوَّهَ بِاسْمِهِ المَوْمُوقُ[٥]

حدثنا خلف بن قاسم قال: حدثنا الحسن بن رشيق قال: حدثنا أبو بشر الدولابى قال : حدثنا إبراهيم قال : حدثنا الحميدى ، قال : حدثنا أبو سفيان قال : حدثنا الوليد عن كثير بن صيّاد عن سعيد بن المسيب قال :

---

(١) اسم وضع للقسم ، والتقدير أيم الله قسمى . وأيم بفتح الهمزة وسكون الياء وضم الميم ، وقد تكسر الهمزة والميم .

(٢) اللجاج الجدل ، والشكر لله سبحانه وتعالى .

(٣) المراد بالنعل الرجل التى يلبس فيها النعل ، ودحضت الرجل زلقت ، والعيوق نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها ، والمعنى أن ما يأمله القوم ويرجونه مستحيل وبعيد المنال .

(٤) المؤمل هو الراجى ، وتتوق أى تتلهف وتشتاق .

(٥) المنوه باسمه ، المشار به ، والموموق أى المحبوب .

ـ لما قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، ارتجّت مكة، فلما سمع بذلك أبو قحافة قال : ما هذا ؟ فقالوا :

ـ قد قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال :

ـ أمر جلل ، فمن ولى بعده ؟

قالوا :

ـ ابنك .

فقال :

ـ فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف ، وأبو المغيرة[1] ؟

قالوا : نعم .

قال :

ـ لا مانع لما أعطى الله ! ولا معطى لما منع الله .

ومكث أبو بكر فى خلافته سنتين ، وثلاثة أشهر واثنتى عشرة ليلة ، من توفى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقال غيره : وعشرة أيام .

وقال غيره أيضا : وعشرين يوما .

فقام بقتال أهل اليمن ، أهل الردّة ، وجهر من فضل الله رأيه فى ذلك ، وشدته مع لينه ما لم يحسب، فأظهر الله به دينه، وقتل على يديه وبركته من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمره ، وهم كارهون .

واختلف فى السبب الذى مات منه .

---

(١) المغيرة بن هشام .

فذكر الواقدى ، أنه اغتسل فى يوم بارد ، فحمّ ، ومرض خمسة عشر يوما .

وقال الزبير بن بكار : كان به طرف من السلّ[١] .

وقال غيره من أهل السير : إنه مات عشاء يوم الاثنين ، وقيل : ليلة الثلاثاء ، وقيل : عشاء يوم الثلاثاء .

وروى عن سلام بن مطيع ، أنه سُمّ[٢] ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : مات يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس[٣] ، زوجته .

وصلى عليه عمر بن الخطاب وأنزله فى قبره عمر ، وعثمان ، وطلحة ، وعبد الرحمن ابن أبى بكر .

ودفن فى بيت عائشة مع النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان نقش خاتمه ، عبد ذليل لرب جليل .

روى سفيان بن جبير .

وقال الزبير بن بكار : كان نقش خاتم أبى بكر ، رضى الله عنه ، القادر الله .

ومن كتاب الرسائل :

لما أفضت الخلافة إلى أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حكى عن التيّاح ، مولى أبى عبيدة بن الجراح قال : سمعت أبا عبيدة يقول :

ـ لما استقامت الخلافة لأبى بكر ، رضى الله عنه ، بين المهاجرين والأنصار ، ولحظ بعين الهيبة والوقار ، وإن كان لم يزل كذلك بعد هنة ، كاد الشيطان بها ، فدفع شرّها ، ودحض عِرّها ، ويسّر خيرها ، ورد كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق

---

(١) مرض تصاب به الرئتان .

(٢) أى سقى سما ، وقد سبق الإشارة إلى أن اليهود وضعوا له سما فى بعض الطعام .

(٣) عميس كزبير بضم الأول وفتح الثانى وهو ابن معد صحابى .

بين أهلها، بلغ أبا بكر عن على بن أبى طالب تلكؤ وشماس[١]، وتهجم ونفاس[٢]، وكره أن تتمادى الحال ، فتبدو العورة ، وتتفرج ذات البين ، ويصير ذلك دريئة[٣] لجاهل مغرور، أو عاقل ذى دهاء ، أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار[٤] العنان، دعانى ، فحضرته خلوة ، عنده عمر وحده ، وكان عمر قبساً[٥] له وظهيرا ، يستضىء برأيه ، ويملى عن لسانه .

فقال لى : يا أبا عبيدة ، ماأيمن ناصيتك ، وأبين الخير بين عينيك ، ومازلت حبة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلجانة فؤاده ، وقرة عينه ، ولقد كنت منه ، صلى الله عليه وسلم ، بالمكان المكين ، والمحل المحفوظ ، والقدر المغبوط ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود ، أبو عبيدة أمين هذه الأمة ، ولطالما أعز الله الإسلام بك ، وأصلح شأنه على يديك ، ولم تزل للمسلمين روحا ، وللدين ملجأ ، ولأهلك كفاء ، ولإخوانك رداء .

وقد أردتك لأمر ما بعده خطر مخوف ، وصلاحه معروف ، وإن لم يندمل جرحه بسيارك[٦] ورفقك ، ولم يجب جيشه بسعيك ورفقك فقد وقع البأس ، وأعضل الناس ، واحتيج إلى ما هو أمر من ذلك ، وأغلق ، وأعبس منه وأغلق ، والله تعالى أسبل نظامه على يديك ، وتمامه بك ، فتأذن له يا أبا عبيدة وتلطف به ، وانصح لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة غير آلٍ جهدا[٧] ، ولا قالٍ[٨] حملا ، والله تعالى

---

(١) شمس الفرس شموسا أى منع ظهره ، والمراد الامتناع عن البيعة .

(٢) نفس عليه نفاسة لم يره أهلا .

(٣) الدريئة الستر ، والمراد أن يتخذ الجاهل المغرور ذلك سندا يتستر وراءه مخفيا أغراضه.

(٤) أى ضعيف . (٥) القبس هو النور الذى يهتدى به .

(٦) أى بسعيك . (٧) أى مدخر . (٨) أى كاره .

كالئك [١] وناصرك ، وهاديك ومبصرك ، وموفقك وميسرك ، وبه الحول والقوة والتوفيق ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

افض إلى علىّ ، واخفض جناحك له ، واغضض صوتك عنده ، واعلم أنه سلالة أبى طالب ، ومكان الذى فقدناه بالأمس ، صلى الله عليه وسلم ، مكانه ، وقل له ، إن البحر مغرقة ، والبر مفرقة ، والجو أكلف [٢] ، والليل أغلف [٣] ، والسماء جلواء [٤] والأرض صلفاء [٥] ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف ، والدين رءوف ، والباطل عسوف [٦] ، والجور عنوف [٧] ، والعجب قداحة الشر ، والضغن زائد البوار ، والتعريض سجار [٨] الفتنة ، والقِحّة [٩] تقرب المداوة ؛ وهذا الشيطان متكئ بيمينه ، متخيّل على شماله ؛ نافخ حضنيه [١٠] لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة بين الناس ، يدب بالشحناء والعداوة ، عنادا لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ولدينه قاليا [١١] دائبا ، ويوسوس بالفجور ، ويدلى إلى الغرور ، ويمنّى بالشرور ، ويوحى إلى أوليائه بالباطل ، دأب منه مذ كان على عهد أبينا آدم ، عليه السلام ، وعادة منه ، إذ أهانه الله عز وجل ، فى سالف الدهور بالسجود ، لاينجو منه إلا بعضّ الناجذ [١٢] على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ومجانبة لذة العاجل ، ووطء هامة عدو الله وعدو الدين بالأحدّ فالأحدّ ، والأشدّ فالأشدّ ، وإسلام النفس إلى الله عز وجل ، فيما جاز رضاه ، وجنب سخطه .

---

(١) أى راعيك . (٢) الكلف هو السواد فى صفرة .
(٣) أى مغلف بغلاف الظلام لايدرى الإنسان مافيه .
(٤) أى صافية . (٥) الصلفاء ماصلب من الأرض .
(٦) العسوف الظلوم (٧) شديد
(٨) محرك الفتنة (٩) القحة الطريق الذى يسلك بمشقة
(١٠) الحضن بالكسر مادون الإبط إلى الكشح (١١) أى كارها
(١٢) الناجذ هو الضرس الأخير جمعه النواجذ ، وعض على ناجذه بلغ أشده .

ولا بد الآن من قول ينفع ، إذ قد ضرّ السكوت ، وخيف عيّه .

ولقد أرشدك الله من إفاء ضالتك ، وأراد الخير من أثر البقيا عليك ، ما هذا الذى تسوّل لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ، ويتخاوص[1] دونه طرفك ، ويسرى فيه ضغنك ، أعُجْمَةٌ بعد إفصاح ، أتلبيس بعد إيضاح ، أدين غير دين الله عز وجل ، أهُدًى غير هدى القرآن ، أخلق غير خلق الرسول .

أمثلى يمشى له الضر ، ويُدبّ له الخمر ، أم مثلك يغُصّ عليه الفضا ، ويخسف فى عينه القمر ، ما هذه القعقعة بالشنان[2] ، وما هذه الوعوعة[3] بالشان .

إنك عارف جدّ با ستجارتنا لله عز وجل ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وخروجنا من أوطاننا وأموالنا هجرة إلى الله ورسوله ، ونصرة لدينه ، ومسارعة إلى مرضاته فى زمن أنت منه فى كنّ الصبى ، وخدر الغرارة ، غافل ، تشبّب وتربّب ، لا تعى ما يشاء ويراد ، ولا يحصل ما يساق ، ويقاد سوى ما أنت جار عليه إلى غايتك التى إليها عدى بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل .

ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تزيل الرواسى[4] ، ونقاسى أحوالا تشيب النواصى[6] ، خائضين غمارها ، راكبين تيارها ، نتجرّع صابها[5] ، ونشرح عبابها ، ونحكم أساسها ، ونبرم أمراسها ، والعيون تجدع بالحسد ، والأنوف تعطرس[7]

(١) يتخاوص إذا غض من بصره شيئا وهو فى ذلك يحدق النظر ، وكذا إذا نظر إلى عين شمس .

(٢) القعقعة هى تحريك الشىء الصلب مع صوت ، والشنان جمع شن وهو القربة الصغيرة ، وما يقعقع له بالشنان بفتح القافين يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر .

(٣) الوعوعة صوت الذئب والكلاب .

(٤) الرواسى هى الجبال . (٥) جمع ناصية ، وهى قصاص الشعر .

(٦) الصاب هو المر .

(٧) فى الأصل تعرطس ، والعطرسة الإعجاب بالنفس والتطاول على الأقران والتكبر ، وغطرسه أى أغضبه ، وتغطرس تغضب ، وفى مشيته تبختر .

بالكبر ، والصدور تشعر بالغيظ ، والأعناق تتطاول بالفخر ، والشفار [١] تشخذ بالمكر . والأرض تميد بالخوف ، والنفوس ترعش بالحذر ، فلا تنتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ، ولا ندفع فى بحر إلا بعد أن نحسو [٢] الموت دونه ، ولا نبلغ إلى شىء إلا بعد جرع العذاب معه . ولا نتوصل إلى حلّ عقد إلا بعد معاناة الشدائد فيه ،ولا نقيم متأوّدا [٣] إلا بعد الإياس من الحياة عنده ، فادين ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم ، والخال والعم ، والنشب [٤] والسّيد واللبد [٥] ، والحلّة والثلّة [٦] ، بطيب نفس ، وقرة عين ورحب أعطاف ، وثبات عزائم ، وصحة عقول ، وطلاقة أوجه ، وذلاقة ألسن ، وشدة رهبات ،وأكيد زعيمات هذا إلى خفيّات أخبار ، ومكتومات أسرار ، كنت عنها غافلا .

ولولا حداثة سنك لم تكن عن شىء منها ذاهلا ، كيف وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم ، وغيبك مخبور ، والقول فيك كثير .

والآن فقد بلغ الله بك ، وأرهض الحق لك ، وجعل الخير بين يديك وعينيك ، وعن أقول ماتسمع ، فارتقب زمانك ، وقلّص إليه أدرانك ، ودع التحبّس والتعبّس من لايضلع لك إذا خطّى ، ولا يتزحزح عنك إذا غطّى ، والأمر عضّ . والنفوس فيها مضّ ، وإنك أديم هذه الأمة ، فلا تحلم لجاجا ، وسيفها العضب [٧] فلا تنبو اعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل إجاجا [٨] .

---

(١) الشفار هو حد السيف . (٢) أى نذوق ونشرب .

(٣) هو المعوج والمنعطف . (٤) النشب هو المال .

(٥) السبد القليل واللبد الكثير ، وماله سبد ولا لبد ، محركتان ، أى لاقليل ولا كثير .

(٦) الحلة هى الإبل والثلة هى الأغنام .

(٧) القاطع (٨) الأجاج للملح المر .

والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذا الأمر فقال :

ـ يا أبا بكر ، هو لمن يرغب عنه[١] لا من يجاحس[٢] عليه ولمن يتضاءل له لا لمن يتنفخ إليه ، هو لمن يقال له : هو لك ، لا لمن يقول : هو لى .

والله ، لقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى الصهر[٣] ، وذكر فتيانا من قريش ، فقلت له : أين أنت من على .

فقال :

ـ إنى لأكره لفاطمة ميعة شبابه[٤] ، وجدة سنه .

فقلت له : متى كنفتك يداك ، ورعته عيناك ، حفت بهما البركة ، وسبغت عليهما النعمة ، مع كلام كثير . أحفيت[٥] به ، ورغبته فيك ، وما كنت عرفت منك فى ذلك حَوَجًا ولا لِوَجا[٦] ، فقلت له ما قلت وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد رائحة سواك . وكنت لك إذ ذاك خيراً منك إلىّ الآن .

ولئن عرّض بك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، فى هذا الأمر فقد كنّى بغيرك، وإن قال فيك فما سكت عن سواك ، وإن تلجلج[٧] فى صدرك شىء فهلمّ ، فالحكم مرضىّ ، والجواب مسموع ، والحق مطاع مقبول ، والعدل معان متبع .

والله ، لقد نقل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عن هذه الأمة المُصابة راض ، وعليها حدب ، يسرّه ما يسرها ، ويرضيه ما أرضاها ، وبكيده ما كادها ، ويسخطه ما أسخطها .

---

(١) رغبة عن الشىء إذا لم يرده ، ورغب فيه إذا أراده .

(٢) المجاحسة هى المزاحمة والدخول .

(٣) المراد مصاهرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى . (٤) ميعة الشباب أوله .

(٥) أى بالغت فى ذكره تحريكا لقلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، نحوك وإليك .

(٦) اللوج هو الاعوجاج . (٧) اللجلجة هى التردد فى الكلام .

ألم تعلم أنه ، صلى الله عليه وسلم، لم يدع أحدا من أصحابه وخاطائه وسجرائه[١] وأقاربه إلا أبانه[٢] بفضله وخصه بمرتبة ، وأفرده بحاله ، لو امتنعت عليه الأمة لكان عندها أبالتها[٣] وكفالتها وكرامتها .

أتظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة بسرا بددا ، سدى عباديد مباديد[٤] ، مباهل عباهل[٥] ، طُلَّاحا[٦] مفتونة بالباطل ، مغيوبة عن الحق ، لا ذائد ولا رائد ، ولا حائط ولا رابط ، ولا ساق ولا واق ، ولا هادى ولا جارى ، كلا والله ، ما اشتاق إلى ربه عز وجل ، ولا سأله المصير إليه إلا بعد أن ضرب الصوى[٧] ، وأوضح الهدى ، وبين المهالك والمطاوح ، وشهد المبارك والمالح ، وإلا بعد أن شدخ[٨] يافوخ الشرك بإذن الله ، وشرم أنف النفاق لوجه الله ، وقدح رأس الفتنة فى ذات الله ، وتفل[٩] فى عين الشيطان بعون الله ، وصدع الحق بملء فيه ويده بأمر الله .

وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار ، فعندك ومعك فى دار وحدة وبقعة جامعة ، إن استقلونى لك وأشاروا عندى لك فأنا واضع يدى فى أمرك وصائر إلى أمرهم ، وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والفاتح لمغالقهم ، والمرشد لضالتهم ، والرادع لغاويهم ، فقد أمر الله ، عز وجل ، بالتعاون على الحق ، وأهاب على التناصر على البر والتقوى .

---

(١) جمع سجير وهو الخليل الصفى .

(٢) أى أظهره وخصه . (٣) الإبالة بالتخفيف السياسة .

(٤) العباديد والعبابيد بلا واحد من لفظها الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه ، والباديد المتفرقون .

(٥) الباهل والمباهل بمعنى المهملون ، وأبهل الوالى الرعية إذا أهملهم .

(٦) الطلاح ضد الصلاح . (٧) الصوى أى الهدى .

(٨) أى كسر . (٩) أى بصق .

ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغِلّ، وحتى نلقى الله، عز وجل، بقلوب سليمة من الضغن ، وبعد ، فالناس ثمامة، فارفق بهم وامنن عليهم، وكن لهم ، ولا تسؤ نفسك بنا خاصة فيهم ، واترك ناجم الحقد حصيدا ، وطائر الشر واقعا ، وباب الفتنة مغلقا ، وأسباب الألفة والوفاق عامرة .

فلا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تبع، ولا غيبة ولا تحاسد، والله على ما أقول شهيد.

قال أبو عبيدة :

فلما تهيأت للقيام قال لى عمر بن الخطاب :

ـ كن لى بالباب هنيهة[١] فإن لى معك ذروا[٢] من القول .

فوقفت وما أدرى ما كان بعدى ، إلا أنه قد لحقنى عمر بوجهه يندى تهللا ، وقال :

ـ قل لعلى ، الرقاد محلمة ، واللجاج ملجمة ، والهوى مقحمة ، وما منا إلا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبأ ظاهر أو مكتوم ، وإن أكيس الكيس من منح الشارد تألفا ، وقارب البعيد تلطفا ، وسكن النافر تعطفا ، ووزن كل أمر بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل ذراعه مكان باعه[٣] ، ولا فتره مكان شبره[٤] ، دينا كان أو دنيا ، ضلالا كان أو هدى ، ولا خير فى معرفة مشبوبة بنكرة ، ولا فى علم مستعمل فى جهل ، ولا فى حق يشوبه باطل .

ولسنا كجلدة رقع البعير بين العجان والذنب[٥] ، وكل صال فبناره ، وكل سبيل فإلى قراره ، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لسيء وغى ،

(١) الوقت القليل (٢) أى مزيدا من الكلام . (٣) الباع هو قدر مد اليدين
(٤) الفتر بالكسر هو ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة ، والشبر ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر .
(٥) العجان هو العنق أو ما تحت الذقن ، والذنب الذيل .

ولا كلامهما الآن لفرق أو فتق ، قد جدع الله بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذاب ، وأذل كل خد متصعر فماذا بعد الحق إلا الضلال .

فما هذه الخنزوانة[١] التى فى فراش رأسك ، وماهذا الشجى[٢] المعترض فى مدارج أنفاسك ، وماهذه الوخزة[٣] التى أكلت شرى[٤] سيفك ، والقذاة[٥] التى أغشيت ناظرك ، وما هذا الدخس[٦] والدسّ اللذان يدلان على ضيق الباع ، وخور الطباع وما هذا الذى لبست بسببه جلدة النمر ، واشتملت عليه الشحناء والنكس ، شد ما استعميت لها ، وسريب سرى من أنفذ إليها ، إن العوان[٧] لا تعلم الخمرة وإن الحصان لا تكلم إلى خبره ، وما أحوج الفرعاء[٨] إلى قال ، وما أفقر الصلعاء إلى حال .

قد خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والأمر معبّد مخيّس[٩] ، ليس لأحد فيه ملمس ولا مغمس ، لم يشر فيه قولا ، ولم يستنزل لك قربا ، ولم يحرم فى شأنك حكما ، ولسنا فى كسروية كسرى ، ولا فى قيصرية قيصر ، تلك[١٠] الأخدان فارس،

---

(١) اسم مصوغ من الخزن بالفتح ، وهو سوء الخلق .

(٢) الشجى هو ما اعرض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الوخز هو الطعن بالرمح وغيره ، لايكون نافذا .

(٤) شرى السيف مادته وممدنه　　　(٥) القذى هو مايقع فى العين

(٦) الدخس بالفتح اندساس شىء فى التراب .

(٧) العوان من النساء من كان لها زوج ، والخمرة هى ما يستربه ، أى أن المرأة التى تزوجت تعرف كيف تستر نفسها ، وتضع خمرتها ،وهو مثل يضرب للمجرب العارف أمر نفسه.

(٨) الفرعاء للتام الشعر ، وكان أبو بكر ، رضى الله عنه ، أفرع الشعر ، وكان عمر أصلع ، والصلع هو انحسار شعر مقدم الرأس لنقص مادة الشعر .

(٩) أى مجتمع الناس عليه .　　(١٠) فى الأصل ، تانك .

وأبناء الأصفر[١] قوم جعلهم الله خرزا لسيوفنا ، وخرزا لرماحنا ، وخرزا لطعاننا ، وتبعا لسلطاننا . بل نحن قوم فى نور نبوّة وضياء رسالة ، وثمرة حكمة ، وأثر رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، وكرامة ملّة ، بين أمة هادية مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الرتق والفتق ، لها من الله ، عز وجل ؟ أب أبىّ ، ويد ناصرة ، وعين باصرة ، ودعوة ظاهرة .

أتظن أبا بكر الصديق وثب على هذا الأمر ، مغلتا[٢] على الأمة خادعا ومسلطا عليها ومفسدا لأحوالها ، أتراه امتلخ[٣] أحلامها ، وأزاغ أبصارها ، وحلّ عقودها ، وأحال عقولهـــا ، واستل من صدورها حميتها ، وأنتزع من أكبادها عصبيتها ، وأنكث رشاها[٤] ، وأنضب ماءها ، وسامها إلى رداها ، وجعل نهارها ليلا ، ووزنها كيلا ، ويقظتها رقادا ، وصلاحها فسادا .

إن هذا كذا ؛ إن سحره لمبين ، وإن كيده لمتين ، كلا والله ، تأبى خيل ورجل وسنان ونصل ، وتأبى قوة ومنّة ، وتأبى ذخيرة وعدة ، وتأبى يد ومنعة ، وتأبى عشيرة وإمرة ، وتأبى تدرع وبسطة .

لقد أصبح عندك بما وسمته منيع الرهبة ، رفيع العتبة[٥] ، لا والله ، ولكن سلا عنها[٦] فولهت[٧] له ، وتضامن[٨] لها فلصقت به ، ومال عنها فمالت إليه ، وشمر عنها

---

(١) المراد بهم الروم . (٢) الغلت هو القهر والغلبة .

(٣) امتلخ أى انتزع ، والأحلام جمع حلم وهى العقول .

(٤) الرشا هو الحبل . (٥) العتبة محركة هى ماتحت الباب .

(٦) سلا عنها بمعنى نسيها . (٧) الوله هو ذهاب العقل حزنا ، والولهان شديد الحزن .

(٨) تضامن على الشىء وتضمنه أى اشتمل عليه .

فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها ، وعافية بلغه إياها ، ونعمة سربله[١] جمالها ، ويد أوجب عليه شكرها ، وأمة نظر الله إليها .

وطالما حلقت فوقه أيام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت لفقتها ، ولا يرتصد وقتها ، والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده ، ويختار ما كان لهم الخيرة .

وإنك بحيث لا يجهل حقك ، وموضعك من بيت النبـــوة ومعدن الرسالة ، وكنف الحكمة ، ولا يجحد فضلك فيما آتاك الله ، ولـكن كيف لك أن[٢] تزاحم بمنكب أضخم من منكبك ، وقربى أمس من قربتك ، وسن أعلا من سنك ، وشيبة أورع من شيبتك ، وسادة لها فى الجاهلية عرق ، وفى الإسلام أصل ، وفى الشريعة مواقف ، ليس لك فيها جمل ولا ناقة ، ولا تذكر فيها فى مقدمة ولا سباقة ، ولا تضرب فيها بذراع أو إصبع ، ولا تخرج فيها ببازل ولا هبع[٣] .

فإن عدت نفسك فيما تهدر به شقشقتك[٤] من صاحبتك عن أفايك ، وإن يكن فى العمر طول ، وفى الأجل فسحة فلتأكلنه مريًا وغير مرىّ ، ولتشربنه هنيًا وغير هنىّ ، حين لا راد لقولك إلا من كان لك ، ولا تابعا إلا طامعا فيك ، يمص إهابك، ويعرك أديمك .

هنالك تقرع السن من ندم ، وتشرب الماء ممزوجا بدم ، حينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ودارج أنفاسك ، فتود لو أن سقيت بالـكأس التى أبيتها ، ورددت إلى حالك التى استربتها ، ولله فينا وفيك أمر هو بالغه ، وعيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو الغفور الودود ، الغنى الحميد .

---

(١) السربال بالـكسر القيمص أو الدرع أو كل ما لبس .

(٢) فى الأصل ، من .

(٣) البازل هو الصقر والهبع بضم الأول وفتح الثانى الحمار أو الفصيل .

(٤) الشقشقة بالـكسر ما يخرجه البعير من فمه إذا هاج .

قال أبو عبيدة :

فشيت له متزمّلا [١] ، أتوخّى على أم رأسى فرقا من الفرقة وإشفاقا على الأمة حتى وصلت إلى علىّ فى خلاء ، فأبثثته بثّى كله [٢] ، وتبرأت إليه منه .

فلما سمعها ووعاها ، وسرت فى نفسه حميّاها قال على :

ـ حلّت معلوطة ، وولّت مخروطة ، حلّى ، لا حلّيت ، التعس أولى لها ، أن أقول لها لعا [٣] ،

إحدى لياليك فكيسى كيسى   لا تنعمى الليلة بالتعريس [٤]

يا أبا عبيدة ، أكل هذا فى نفس القوم ، يحتنون به ، ويضطغنون عليه . .؟

قال أبو عبيدة :

ـ لا جواب عندى ، إنما أنا قاضى حق الدين ، وراتق فتق الإسلام ، وساد ثلمة الأمة ، يعلم الله ذلك من خلجانة قلبى ، وقرارة نفسى .

قال على :

ـ والله ما قعودى فى كسر هذا البيت قصدا للخلاف ، ولا إنكارا للمعروف ، ولا زاريا على مسلم ، بل لما وقذنى [٥] به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بفراقه ، وأودعنى من الحزن لفقده ، وذلك أنى لم أشهد مشهدا بعده إلا جدّد علىّ حزنا ، وذكرنى شجنا [٦] ، وإن التشوق إلى اللحاق كاف عن الطمع فى غيره .

---

(١) زمل يزمل عدا فى سيره معتمدا فى أحد شقى ثوبه رافعا الشق الآخر .

(٢) أى أنهيت له كل القول .   (٣) اللاعى هو الذى يفزعه أدنى شىء .

(٤) التعريس هو تحبب الرجل لامرأته ، وليلة التعريس هى الليلة التى نام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والكيس حسن العقل والغلبة بالكياسة .

(٥) وقذه وأوقذه تركه عليلا .   (٦) الشجن هو الهم والحزن .

وقد عكفت على عهد الله رجاء ثواب معد لمن أخلص عمله ، واستسلم لمشيئته وعلمه وأمره .

غير أني ما علمت أن التظاهر واقع عليّ ، وأني على الحق الذي يستولى على دافع ، فإذا أفعم الوادي ، وحشد النادي من أجلي فلا مرحبا بما ساء أحدا من المسلمين وسرني ، وفي النفس كلام لولا سابق علم ، وسالف عهد لشفيت غيظي بخنصري وبنصري ، وخضت لجته بأخمصي وقدمي ، ولكنني مُلْجَم [١] إلى أن ألقى ربّي ، وعنده أحتسب ما نزل بي ، وأنا غاد إلى جماعتكم ، ومبايع لصاحبكم ، وصابر على ما ساءني وسركم ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا .

قال أبو عبيدة :

فصرت إلى أبي بكر فقصصت عليه القول على عزّه ولم أختزل من ذلك من حلوه ومره .

وبكر هو غدوة إلى المسجد .

فلما كان صباح يومئذ وافى عليّ ، فخرق الجماعة إلى أبي بكر ، فبايعه ، وقال خيراً ، ووصف جميلا ، وجلس زميتا [٢] ، واستأذن في القيام .

فقال أبو بكر ، رحمه الله .

ـ إن أمة أنت منها لمرحومة ، وإن عصابة أنت فيها لمعصومة ، وقد أصبحت علينا كريما لدينا ، تخاف الله إذا سخطت ، وترجوه إذا رضيت ، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي ؛ وما أسعد من نظر الله له بالكفاية ، وإنا إليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، وإلى الله في جميع الأمور راغبون .

ثم نهض .

---

(١) أي صامت وساكت .   (٢) أي وقتا يسيرا .

فشيعه عمر ، رحمه الله ، تكرمة واستئثارا لما عنده .

فقال له علي :

ـ والله ما قعدت عن صاحبكم كارها . ولا أتيته فرقا[1] منه، فلا أقول ما أقول تعلة ، وإني لأعرف مسمى طرفي ، ومخطى قدمي ، ومنزع قوسي ، وموقع سهمي ، ولكني قد أزمت على فاسي[2] ، ثقة لله عزوجل في الأدلة ، في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر :

كفكف غربك[3]، واستوقف سربك[4] ، ودع العصا بلحاها[5] والدلو برشاها[6] فإننا من خلفها وورائها ، إن قد حنا أورينا ، وإن نضحنا أزبينا[7] ، فقد سمعت أماثيلك[8] التي لهوت بها عن صدر قد تأكل بالجوى[9] ، ولو شئت ، لقلتُ على مقالتك ما إذا سمعته ندمت على ما قلته .

زعمت أنك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بفراقه ، أفرسول الله وقذك به وحدك ولم يقذ سواك ، بل مصابه أجل وأعظم من ذلك ، وإن من حق مصابه شمل الطاعة بكلمة لا فصام لها ، ولا تزرى على اختيارها بما لا يؤمن من كيد الشيطان في عقباها .

هذه العرب حولنا ، والله ، لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلق في ممساه .

---

(١) أي خوفا .

(٢) أزم أي عض بالفم كله عضا شديدا ، والفأس من اللجام الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) الغرب بالفتح هو الدمع . (٤) السرب بالكسر القطيع من الظباء والنساء .

(٥) أي بقشرتها . (٦) رشاء الدلو هو الحبل .

(٧) زباه يزبيه أي حمله وساقه . (٨) يعني قولك وكلامك .

(٩) الجوى الهوى الباطن والحزن .

وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كافٍ عن سواه والطمع فى غيره ، فمن الشوق إلى اللحاق به نصرة دينه ، ومؤازرة أولياء الله عز وجل ، ومعاونتهم فيه .

وزعمت أنك قد عكفت على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تجمع ماتبدد ، منه ، فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده ، والرأفة لهم على خلقه ، وبذل مايصلحون ويرشدون عليه .

وزعمت أن التظاهر واقع عليك ، وأى حق لَطّ[١] دونك .

لقد علمت ماقالت الأنصار بالأمس سرا وجهرا ، وما انقلبت عليه بطنا وظهرا ، فهل ذكرتك أو أشارت بك أو وجدت رضاها عندك .

وهؤلاء المهاجرون والأنصار ، من الذى قال بلسانهم ، أنك تصلح لهذا الأمر ، أو وارى بعينه ، أوهمهم فى نفسه ، أتظن أن الناس صاروا ضُلّالا ، وفى نسخة ، ضلوا من أجلك ، أوعادوا كفارا ، زهدا فيك .

أفبالله ورسوله تجاهلا ؟ لا والله ، ولكنك تنتظر الوحى ، وتتوكّف[٢] مناجاة الملك ، وذلك أمر طواه الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، كأن الأمر معقودا بأنشوطة[٣] ، أو مشدود بأطراف ليطة[٤] .

كلا والله ، إن الغاية لمخّنقة ، وإن الشجرة لمورقة ، ولا عجماء بحمد الله إلا وقد فصحت ، ولا شوكا إلا وقد تنفحت[٥] .

ومن أعجب شأنك قولك ، لولا سابق علم لشفيت غيظى ، وهل ترك شيئا على أهلة أن يشفى غيظه بيده ولسانه .

---

(١) لط على الأمر أى ستر . (٢) يتوكف الخبر أى ينتظره .

(٣) الأنشوطة بضم الهمزة العقدة التى يسهل انحلالها ، كعقد التكة .

(٤) الليطة بالكسر قشر القصبة والقوس والقناة .

(٥) أى أشجرت .

تلك جاهلية قد استأصل الله ساقها ، واقتلع جرثومتها[١] ، وهوّر[٢] ليلها ، وغوّر سيلها .

وزعمت أنك ملجم .

إن من اتقى الله ، عز وجل ، وآثر رضاه ، وطلب ماعنده أمسك يده ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما رواه .

قال على :

والله ، ما بذلتُ مابذلتُ ، وأنا أريد نكثه ، وما أقررت بما أقررت وأنا أرجو حولا عنه ، وإن أخسر الناس صفقة عند الله من آثر النفاق ، واختص الشقاق ، وبالله سلوة عن كل كارث ، وعليه التوكل فى جميع الحوادث .

ارجع ، أبا حفص ، إلى منزلك ناقع القلب ، مبرود الغلل ، فسيح اللّبان[٣] ، فليس وراء ماسمعت وقلت إلا ما يشد الأزر ، ويحط الوزر ، ويضع الإصر[٤] ، ويرفع الكلفة ، ويوقع الزلفة بمعونة الله وحسن توفيقه .

فمضى عمر ، وانصرف على إلى منزله .

انتهى الكلام هنا فى أبى بكر ، رضى الله عنه .

[عمر بن الخطاب أمير المؤمنين]

وأما عمر رضى الله عنه ،

فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى عبد العزّى بن قرط بن رباح بن عبد الله ابن رزاح بن عبد الله بن نفيل بن عدى بن غالب بن عمرو بن مخزوم .

---

(١) جرثومة الشيء أصله .
(٢) أى أذهب ليلها .
(٣) أى واسع الصدر .
(٤) الإصر هو الذنب .

وإنما سمى الفاروق ، لأنه فرق بين الحق والباطل .

وكنيته أبو حفص .

وهو أول من سمى : أمير المؤمنين ، سماه عدى بن حاتم ، وقيل غيره ، وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة ، وقيل أول من دعاه بهذا الاسم أبو موسى الأشعرى .

وأول من كتب إليه : لعبد الله ، وعمر ، أميرَ المؤمنين من أبى موسى الأشعرى.

ولما قرئ ذلك قال : إنى لعبد الله ، وإنى لعمر ، وإنى لأمير المؤمنين .

وكان عمر ، رحمه الله ، متواضعا ، خشن الملبس ، شديدا فى ذات الله ، سبحانه وتعالى .

واتبعه عماله فى سائر أفعاله ، وشيمه ، وأخلاقه ، كل تشبه به ، من غاب أو حضر.

وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم وغيره ، ويجعل القربة على عنقه مع هيبة قد رزقها .

وكان أكثر ركوبه الإبل ، ورحله مشدود بالليف ، وكذلك عماله ، مع ما فتح الله عليه من البلاد ، وأوسعهم من الأموال .

بويع فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر ، رضى الله عنه .

[سعيد بن عامر]

وكان من عماله سعيد بن عامر بن قديم .

فشكاه أهل حمص ، وسألوه عزله .

فقال عمر :

ـ اللهم لا تفلّ فراستى فيه ، اليوم ماذا تشكون منه ؟

قالوا :

ـ لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب أحدا بليـل ، وله يوم فى الشهر يخرج إلينا فيه .

فقال عمر :

ـ علىّ به[(١)] .

فلما جاء جمع بينهم وبينه ، وقال :

ـ ما تنقمون منه ؟

قالوا :

ـ لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار .

قال :

ـ ما تقول يا سعيد ؟

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينى ، ثم أجلس حتى تختمر ، ثم أخبز خبزى ، ثم أتوجه فأخرج إليهم .

قال :

ـ وماذا تنقمون منه ؟

قالوا :

إن له يوما فى الشهر لا يخرج إلينا فيه .

---

(١) المشهور فى كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب أرسل إلى حمص رسولا ليواجه سعيد ابن عامر بما يشكو منه أهل حمص ، وأن سعيدا لم يذهب إلى المدينة ،ولم يجمع عمر بن الخطاب بينه وبين أهل حمص أمامه ، وفى رواية ابن رزيق مابشير إلى هذا ، حيث يروى فى نهاية هذه الواقعة ، أن عمر بن الخطاب بعث إلى واليه بحمص ألف دينار ، فلو كانت بين المواجهة يدى عمر ، لقيل ، وأعطاه عمر ألف دينار .

قال :

ـ نعم ، إنه ليس لى خادم ، فأغسل ثوبى ، ثم أجففه ، فأمسى عندهم معهم .

قال عمر :

الحمد لله رب العالمين ، الذى لم يفل فراستى فيك ، يا أهل حمص ، استوصوا بواليكم خيرا .

قال : ثم بعث إليه عمر بألف دينار ، وقال له : استعن بها .

فقالت له امرأته[١] : قد أغنانا الله عن خدمتك .

فقال : ألا ندفعها إلى ما يأتينا بها أحوج ما كنا إليها[٢] ؟

قالت : بلى .

ثم صررها صرارا[٣] ، ثم دفعها إلى من يثق به ، فقال : انطلق بهذه الصرة إلى فلان ، وبهذه إلى يتيم فلان ، وبهذه إلى المسكين فلان ، حتى بقى شىء يسير ، فقدمه إلى امرأته ، وقال : أيسر هذه ؟

ثم عاد إلى خدمته .

فقالت له امرأته: ألا سبقت إلى ذلك المال ، فنشترى منه خادما ؟

فقال سيأتيك أحوج ما تكونين إليه .

ومن عماله على المدائن :

---

(١) أى امرأة الوالى سعيد بن عامر .

(٢) يعنى ، أن يعطيها إلى من يستثمرها فيعيدها قدرا أكبرهم فى حاجة إليه ، وهو يقصد مضاعفة ثواب الله .

(٣) فى الأصل صرار .

[سلمان الفارسى]

وكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعة بغير إكاف[١]، ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكا زاهدا .

فلما أحضر بالمدائن[٢] قال له سعيد بن أبى وقاص :

ـ أوصنى يا عبد الله .

قال :

ـ اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا أحكمت ، وعند يديك إذا قسمت .

وجعل سلمان يبكى، فقال له :

ـ يا عبد الله ، ما يبكيك ؟

قال :

ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن فى الآخرة عقبة ، وأرى هذه الأساود[٣] معولى .

فنظروا فلم يروا فى البيت إلا أداة وركوة[٤] ، وقدرا ، ومطهرة .

وكان عامله على الشام :

[أبو عبيدة بن الجراح]

وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى ، فعذل عن ذلك ، وقيل له : أنت أمير المؤمنين بالجيش ، وأنت بالشام ، وحولك الأعداء ، فغيّر زيك ، وأصلح من آلتك .

---

(١) الإكاف هو البرذعة ، ولعل كلمة ببرذعة زيادة لا محل لها .

(٢) المدائن مدينة كسرى قرب بغداد ، وسميت بالمدائن لكبرها .

(٣) أى الأموال . (٤) الركوة إناء للماء يتخذ من الجلد خاصة .

فقال :

ـ ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وروى أسامة بن زيد بن عن أبيه عن جده قال : سمعت عمر يقول : ولد قبل الفجار الأعظم[١] بأربع سنين .

قال الزبير : وكان عمر من أشرف قريش ، وإليه كانت السفارة فى الجاهلية .

وذلك ، أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب ، أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا ، وإن نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا .

قال أبو عمرو :

ثم أسلم بعد رجال سبقوه .

روى ابن معين عن ابن إدريس عن حصين عن هلال بن مناف قال :

ـ أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد أربعين رجلا ، وإحدى عشرة[٢] امرأة .

وقال أبو عمر :

ـ فكان إسلام عمر ظهر به الإسلام بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهاجر ، فهو من المهاجرين الأولين ، وشهد بدرا ، وبيعة الرضوان ، وكل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عنه راض .

---

(١) أيام الفجار بالكسر أربعة أفجرة فى الأشهر الحرم ، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان ، وكانت الدائرة على قيس ، فلما قتلوا قالوا فجرنا حضرها النبى صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن عشرين ، وفى الحديث « كنت أنبل على عمومتى يوم الفجار ، ورميت فيه بأسهم ، وما أحب أنى لم أكن فعلت » .

(٢) فى الأصل أحد عشر .

وولى الخلافة بعد أبي بكر ، رضى الله عنهما ، وبويع له بها يوم مات أبو بكر ، باستخلافه له ، سنة ثلاث عشرة ، فسار بأحسن سيرة ، وأنزل نفسه بمال الله منزلة رجل من الناس ، وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر .

ودوّن الدواوين فى العطاء ، ورتب الناس فيه سواء أنفسهم ، وكان لايخاف فى الله لومة لائم .

ثم هو الذى نوّر شهر الصوم بصلاة الأشفاع[١] ، وأرخ التاريخ من الهجرة[٢] ، ما بأيدى الناس إلى اليوم .

وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وأول من اتخذ الدرة[٣] .

وكان نقش خاتمه « كفى بالموت واعظا يا عمر » .

وكان أدما ، شديد الأدمة[٤] ، طوال ، كثّ اللحية ، أصلح ، أعسر ، أيسر ، يخضب بالحناء والكتم[٥] .

وروى شعبة عن هلال بن عبد الله قال: رأيت عمر بن الخطاب رجلا أدما ضخما، كأنه من رجال سدوس[٦] .

وفى حديث ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ضرب صدر عمر يوم أسلم ثلاث ضربات ، وهو يقول : « اللهم أخرج مافى صدره من غل، وأبدله إيمانا » يقولها ثلاث .

---

(١) الشفع خلاف الوتر ، وهو الزوج .

(٢) أى جعل بداية التاريخ العربى عام هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة .

(٣) الدرة بالكسر التى يضرب بها .　　(٤) السواد .

(٥) الكتم محركة نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه، ويتخذ منه المداد للكتابة .

(٦) سدوس يعنى به الحرث بن سدوس وكان له واحد وعشرون ولدا ذكرا .

ومن حديث ابن عمر أيضا قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، ونزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر ، وفى الحجاب وفى تحريم الخمر ، وفى مقام إبراهيم .

وروى من حديث عقبة بن عامر وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لو كان بعدى نبى لكان عمر .

وروى سعيد بن إبراهيم عن أبى سلمة عن عائشة قالت : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « قد كان لكم فى الأمم محدثون ، فإن يكن فى هذه الأمة أحد فعمر بن الخطاب .

ورواه أبو داود الطيالسى عن إبراهيم عن سعد عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وروى ابن المبارك عن يونس عن ابن شهاب عن سالم وحمزة ابنى عبد الله ابن عمر عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن ، فشربت حتى رأيت الرىّ يخرج من أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر » .

قالوا : ما أوّلت ذلك يا رسول الله ؟

قال : العلم .

ورواه معمر عن الزهرى .

وروى سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « دخلت الجنة فرأيت فيها دارا ، أو قال: قصرا ، وسمعت ضوضاء فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من قريش . فظننت أنا هو ، فقلت لمن هو ؟ فقيل : لعمر بن الخطاب ، ولولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته » .

فبكى عمر بن الخطاب ، وقال : أعليك يغار يا رسول الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾ .

قرأ أبو عمر ، بساكنة الهاء ، ويختلسها أبو جعفر ، ويعقوب .

وقرأ الآخرون بالإشباع ، مؤمنا ، مات على الإيمان والدرجات الرفيعة ، جمع العَليا والعُليا ثانيه الأعلى .

أخبر محمد بن عبد الله الصالحى ، أنبأ أبو القاسم ، أنبأ عبد الرحمن بن عبد الله السمسار قال : أنبأنا أبو أحمد ، حمزة بن محمد بن العباس الدهقان قال : أنبأنا أحمد ابن عبد الجبار العطاردى قال : أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن أهل الدرجات العلا ليرون من تحتهم كما ترون الكواكب الدرارى من أفق السماء . وإن أبا بكر وعمر منهم » .

وروى الطيالسى أبو داود عن إبراهيم عن سعد عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : « رأيت فى المنام والناس يعرضون على قمصهم ، منها إلى الراء [1] ، ومنها إلى الداء ، ومر عمر يجر قميصه .

فقيل له : يا رسول الله : ما أولت ذلك ؟

قال : « الدين هكذا » .

رواه إبراهيم فى حديثه عن الطيالسى .

وأخبر خلف بن القاسم قال : حدثنا الحسن بن حجاج الزيات الطبرانى قال : حدثنا الحسن بن محمد المدنى قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال : حدثنا الليث ابن سعد قال : حدثنا ابن الهادى عن إبراهيم عن سعد عن صالح بن كيسان عن عن ابن شهاب عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبى سعيد الخدرى ، أنه سمع

---

(١) أى منها الخلق البالى ، ومنها مايفسد الجسم .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « بينا أنا نائم والناس يعرضون على ، وعليهم قميص ، فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها دون ذلك ، وعرض علىّ عمر ، وعليه قميص يجره .

قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟

قال : الدين .

وقال على بن أبى طالب : ما كنا نبتعد أن نرى السكينة تنطق على لسان عمر .

وروى أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أملك الدار[١] قال : أصاب الناس قحط ، فجاء واحد إلى قبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله ، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا .

قال : فأتاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام ، فقال : « إيت عمر ، أن يستسق[٢] الناس فإنهم ليستسقون ، وقال : عليك الكيّس الكيّس[٣] .

فأتى الرجل عمر ، فأخبره ، فبكى عمر من كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقول : برب ما ألوم إلا ما عجزت عنه ، برب ما ألوم إلا ما عجزت عنه .

وقال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب .

وقال حذيفة : كأن علم الناس قد دسّ فى جحر مع علم عمر .

وقال ابن مسعود : لو وضع علم أحياء العرب فى كفة ووضع علم عمر لرجح علم عمر ، ولو كانوا يرونه لذهب تسعة أعشار العلم ، والمجلس الذى كنت أجلسه من عمر أوثق فى نفسى من عمل منه .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) أى أن يصلى بالناس صلاة الاستسقاء .

(٣) الكيس هو أجود والعقل والغلبة بالكياسة .

وذكر عبد الرزاق عن معمر قال ، لو كان رجـــل[١] أفضل من أبي بكر ماعنفته[٢] .

قال ابن عمر ، يدل على أن أبا بكر أفضل من عمر بسبقه إلى الإسلام .

وروى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « رأيت في المنام أني وزنت بأمتي فرجحت ، ثم وزن أبو بكر فرجح ، ثم وزن عمر فرجح .

وفي هذا بيان واضح في فضله على عمر .

وقال عمر : ماسابقت قط أبا بكر إلا سبقني إليه ، ولوددت أني شعرة في صدر أبي بكر .

وذكر سيف بن عمر عن عبيدة بن معيب عن إبراهيم النخعي قال ، أول من ولي شيئا من أمور المسلمين عمر بن الخطاب ولاه القضاء ، فكان أول قاض في الإسلام ، وقال ، اقض بين الناس ، فإني في شغل .

وأمر ابن مسعود بتعسيس[٣] المدينة .

قال أبو عمر ، وأعلى من هذا في ذلك ماحدثني به خلف بن قاسم قال ، حدثنا أبو أحمد ، الحسين بن جعفر بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو زكريا بن أيوب بن بادي العلاّف قال ، حدثنا عمرو بن خالد قال ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى ابن عتبة عن الزهري ، أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر[٤] عن سليمان بن أبي حثمة قال ، كان أبو بكر يكتب من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكان عمر يكتب ، من خليفة أبي بكر .

---

(١) في الأصل رجلا . (٢) كذا في الأصل .

(٣) عس واعتس طاف بالليل ، وهو نفض الليل عن أهل الريبة .

(٤) كذا في الأصل ، ولعل في الجملة تقديما وتأخيرا ، والمراد أنه سأل سليمان بن أبي حثمة عن أبي بكر ، حيث يكون المعنى مستقيما .

من أول من كتب عبد الله أمير المؤمنين .

فقال حدثتنى الشفاء ، وكانت من المهاجرات الأوليات ، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامل العراق ، ابعث لى برجلين نبيلين أرسلهما إلى العراق وأهله .

فبعث إليه عامل العراق لبيد بن ربيعة العامرى ، وعدى بن حاتم الطائى .

فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ، ثم دخلا المسجد ، فإذا هما بعمرو ابن العاص ، فقالا له :

استأذن لنا على أمير المؤمنين عمر .

فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، نحن المؤمنون وهو أميرنا .

فوثب عمرو ، فدخل على عمر [١] ، فقال ، السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : مابدا لنا فى هذا الاسم ، يعلم الله ليخرجنى مما قلت .

قال : فجرى الكتاب من يومئذ بذلك .

قال يعقوب ، وكانت الشفاء جدة أبى بكر .

قال ، وروينا من وجوه ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ يرمى الجمرة ، وأتاه حجر فوقع على صلعته فأدماه .

فقال رجل من بنى لهب ، أشعر بأمير المؤمنين لا يحج بعدها .

ثم جاء إلى الجمرة الثانية ، فصاح رجل ياخليفة ، فقال ، لايحج أمير المؤمنين . بعد عامه هذا .

فقتل عمر بعد رجوعه من الحج .

قال محمد بن حبيب ، لهب مكسورة اللام قبيلة من قبائل الأزد ، تعرف بهــا العيافة [٢] والزجر .

---

(١) فى الأصل ، عمرو .　　(٢) العيف بالكسر هو الزجر .

قال أبو عمر ، قتل عمر سنة ثلاث وعشرين من ذى الحجة ، طعنه أبو لؤلؤة ، فيروز ، لعنه الله ، غلام المغيرة ، لثلاث بقين .

وكانت خلافته عشر سنين وبضعا .

أخبر الوارث قال : حدثنا قاسم قال : حدثنا محمد بن عبد السلام قال : حدثنا ابن أبى عمر قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد ابن المسيب يقول ، قتل أبو لؤلؤة ، لعنه الله ، عمر بن الخطاب ، وطعن معه اثنى عشر رجلا ، فمات ستة .

قال ، فرمى عليه رجل من أهل العراق برنسا [1] ، ثم نزل عليه ، فلما رأى أنه لا يستطيع أن يتحرك رجاء نفسه فقتلها .

وقال الواقدى وغيره ، والزبير ، قتل عمر لأربع بقين من ذى الحجة ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر .

ومن أصح ما يروى عن قتل عمر ، رضى الله عنه ما حدث به خلف بن القاسم ابن سفيان قال ، حدثنا أحمد بن شعيب النسائى قال ، حدثنا أحمد بن سليمان قال ، حدثنا عبدالله بن موسى قال ، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن عمر بن ميمون قال :

شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن ، وما منعنى فى الصف المقدم إلا هيبته ، وكان رجلا مهيبا ، فكنت فى الصف الذى يليه ، فأقبل عمر ، فعرض له أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة بن شعبة ، فناجى عمر قبل أن تستوفى الصفوف ، ثم طعنه ثلاث طعنات ، فسمعت عمر ، وهو يقول : دونكم الكلب ، فإنه قتلنى .

فماج المسجد بالناس ، فأسرعوا إليه ، فجرح ثلاثة عشر رجلا ، فكفا عليه رجل فاحتضنه ، وحمل عمر ، فماج الناس ، بعضهم فى بعض ، حتى قال قائل : الصلاة ،

---

(١) البرنس بالضم هو الثوب .

عباد الله ، طلعت الشمس ، فقدموا عبد الرحمن بن عوف ، فصلى بنا أقصر سورتين في القرآن « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ »[١] و « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ »[٢] .

وحمل عمر ، فاجتمع الناس عليه . فقال :

يا عبد الله ، اخرج ، فناد في الناس ، أَعَنْ مَلَاء منكم هذا ؟

فخرج ابن عباس ، فقال :

أيها الناس ! إن أمير المؤمنين يقول : عن ملاء[٣] منكم هذا .

فقالوا : معاذ الله ، والله ما علمنا ولا اطلعنا .

فقال : ادعوا إليّ الطبيب .

فقال : أي الشراب أحب لك ؟

قال : النبيذ[٤] .

فسقى نبيذا ، فخرج من بعض طعامه .

فقال الناس : هذا دم ، هذا صديد .

فقال : اسقوني لبنا .

فخرج من الطعنة[٥] .

فقال الطبيب ، لا أرى أن تمسى ، ما كنت فاعلا فافعل :

وذكر تمام الخبر في الشورى ، وبتقديمه الصلاة .

وقوله ، في عليّ ، إن ولوها اسلك بهم الطريق المستقيم ، يعني عليا في عثمان وغيره .

قال ابن عمر : مايمنعك أن تقدم عليا ؟ .

---

(١) سورة النصر .　　(٢) سورة الكوثر .

(٣) أي عن متابعة ومناصرة .

(٤) كذا في الأصل ، والنبيذ هو مانبذ من عصير ونحوه .

(٥) ودلالة هذا أن الطعنة في البطن كانت نافذة إلى الأمعاء .

قال : أكره أن يحملها حيا وميتا .

وذكر الواقدى قال ، حدثنا نافع بن أبى نعيم عن عامر بن عبد الله قال ، عدوت مع عمر بن الخطاب إلى السويق[١] ، وهو يتكئ علىّ ، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة ، فقال ، ألا تكلم مولاى يضع على من خراجى[٢] ؟ .

قال : كم خراجك ؟ .

قال : دينار .

قال : ما أرى أن أفعل بعامل محسن ، وما هذا بكثير .

ثم قال له عمر : ألا تعمل رحى[٣] ؟ .

قال : بلى .

فلما ولى[٤] قال أبو لؤلؤة : لأعملن لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب .

فلما أصبح الصبح ، وخرج عمر إلى الناس ، يؤذنهم للصلاة .

قال ابن الزبير ، وأنا فى مصلاى ، وقد اضطجع له عدو الله ، فضربه بالسكين ست طعنات ، إحداها[٥] تحت سرته ، وهى مثلثة ، فصاح عمر : أين عبد الرحمن .

فقال ، ها هو أنا يا أمير المؤمنين .

قال ، قم ، فصل بالناس .

فتقدم عبد الرحمن ، وقرأ فى الركعتين ، « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » و « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » .

واحتملوا عمر ، فأدخلوه إلى منزله .

فقال لابنه ، عبد الله ، اخرج ، فانظر من قتلنى .

---

(١) موضع بين الخليص والقديد .
(٢) الخراج هو الإتاوة .
(٣) جمع رحاة وهى حجران يتخذان لطحن الحبوب .
(٤) أى انصرف .
(٥) فى الأصل ، أحدهن .

فخرج عبد الله ، فقال :

ـ من قتل أمير المؤمنين ؟ .

قالوا : أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة بن شعبة .

فرجع ، فأخبر عمر .

فقال : الحمد لله ، لم يجعل قتلى بين رجل يحاجنى بلا إله إلا الله .

ثم قال :

ـ انظروا إلى عبد الرحمن بن عوف .

فذكر الخبر فى الشورى .

حدث خلف بن قاسم قال ، حدثنا الحسن بن رشيق قال ، حدثنا الدولانى قال ، حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا على بن مجاهد قال :

ـ اختلف إلينا فى شأن [١] أبى لؤلؤة ، فقال بعضهم ، كان مجوسيا [٢] ، وقال بعضهم ، كان نصرانيا .

فحدثنا أبو سنان سعيد بن سنان عن أبى إسحق الهمدانى عن عمر بن ميمون الأزدى قال :

ـ كان أبو لؤلؤة أزرق [٣] ، نصرنيا ، وجاء عمر بسكين له طرفان ، فلما جرح عمر جرح معه ثلاثة عشر رجلا ، من المسجد ، ثم أخذ ؛ فلما أخذ قتل نفسه .

واختلف الناس فى عمر رضى الله عنه ، يوم مات :

فقيل : توفى وهو ثلاث وستون [٤] ، كسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسن أبى بكر رضى الله عنه ـ حين توفيا .

---

(١) فى الأصل ، أبو .　　(٢) من عبدة النار .

(٣) أى أزرق العينين ، ويكنى بها عن قوم الرومان .　　(٤) فى الأصل ، وستين .

وروى عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، وهو ابن بضع [١] وخمسين سنة .

وقال أحمد بن حنبل عن هيثم بن على عن زيد بن سالم بن عبد الله ، أن عمر قبض ، وهو ابن خمس وخمسين سنة .

وقال الزهرى : توفى وهو ابن اثنتين وخمسين سنة .

وقيل : مات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

حدث عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد الصفار قال : حدثنا إسماعيل ابن إسحق قال : حدثنا على بن المدنى قال : حدثنا حسين بن على الجعفى عن زائدة ابن قدامة بن عبد الملك بن عمير قال : حدثنا أبو درة وأخى عن عوف بن مالك الأشجعى ، أنه رأى فى المنام كأن الناس قد اجتمعوا ، فإذا فيهم رجل من بنى تميم ، فهو فوقهم ثلاثة أذرع ، قال : فقلت : من هذا ؟ فقالوا : عمر ، فقلت : لمه [٢] ؟ قالوا : لأن فيه ثلاث خصال : لأنه لايخاف فى الله لومة لائم ، وأنه خليفة مستخلف ، وشهيد مستشهد .

قال : فأتى أبا بكر ، فقصها عليه ، فأرسل إلى عمر ، فدعاه ليبشره .

قال : فجاء عمر ، فقال لى أبو بكر [٣] :

ـ اقصص لى رؤياك .

قال : فلما بلغت خليفة مستخلف ، انتهرنى [٤] وقال :

ـ اسكت ، تقول هذا وأبو بكر حى .

قال : فلما كان بعد ، وولى عمر مررت بالمسجد وهو على المنبر ، قال : فدعانى ،

---

(١) البضع مابين الثلاث إلى التسع أو الخمس أو مابين الواحد إلى الأربعة ، أو من أربع إلى تسع ، أو هو سبع ، وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع ، فلا يقال ، بضع وعشرون .

(٢) فى الأصل ، لم .

(٣) فقال لأبى بكر .

(٤) أي زجرنى .

وقال : اقصص رؤياك ، فلما قلت : لايخاف فى الله لومة لائم .

قال : إنى لأرجو أن يجعلنى الله منهم .

قال : فلما قلت : خليفة مستخلف ، قال :

ـ استخلفنى الله ، فأسأله أن يعيننى على ما أولانى .

فلما ذكرت ، شهيدا مستشهد قال :

ـ أنّى فى الشهادة وأنا بين أظهرهم يغزون ولا أغزو .

ثم قال :

يأتى الله بها من يشاء ، يأتى(١) الله بها من يشاء .

وأخبر سعيد بن أسيد بن سعيد قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن على قال : حدثنا أحمد بن خالد قال : حدثنا يعقوب الديرى ، قال : حدثنا عبد الرزاق بن معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمران ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى على عمر قميصا أبيض ، قال : « أجديد قميصك هذا ، أم غسل ؟ » قال : بل غسل ، قال : البس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا ، ويرزقك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة .

قال : وإياك يا رسول الله .

وروى معمر عن الزهرى قال : صلى عمر على أبى بكر حين مات ، وصلى صهيب على عمر لما مات .

وروى عن عمر أنه قال فى حجته التى لم يحج بعدها :

ـ الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، من شاء ما يشاء بهذا الوادى .

يعنى صجنان ، أرعى إبلا للخطاب ، وكان فظا غليظا ، يتعبنى إذا عملت ،

---

(١) مكتوبة فى الأصل بدون الياء .

ويضربنى إذا قصرت ، وقد أصبحت وأمسيت ، وليس بينى وبين الله أحد أخشاه .

ثم تمثل شعرا :

لَا شَيْءَ مِمَّا نَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الإِلَهُ وَيُودِى المَالُ والوَلَدُ[1]

لَمْ تُغْنِ مِنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُه وَالخُلْدَ قد حاولت عادٌ فما خَلَدُوا[2]

وَلَا سليمانُ ذُو تجرِى الرياحُ له والإنسُ والجنُّ فيما بينهم تَرِدُ[3]

أيْنَ الملوكُ الذِى كانوا لعزتِها من كل أوْبٍ إليها وافِدٌ يَفِدُ[4]

حَوْضٌ هنالِكَ مَوْرُودٌ بِلا كَدَرٍ لا بُدَّ من وِرْدِه يوما كما وَرَدُوا

وروى عن عمر رضى الله عنه ، أنه قال حين احتضر ، ورأسه فى حجر ابنه عبد الله شعرا :

ظَلُومٌ لِنَفْسِي ، غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ أُصَلِّي الصَّلاةَ كُلَّهَا وأَصُومُ[5]

حدث عبد الوارث قال : حدثنا قاسم قال : حدثنا جعفر بن محمد الصايغ قال : حدثنا سليمان بن داود الهاشمى قال : حدثنا إبرهيم بن سعد الزهرى بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى ربيعة عن أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق ، أن عائشة قالت : لما ارتحل من الحصبة أقبل رجل متلثم ، فقال : وأنا أسمع ، أين كان منزل أمير المؤمنين ؟ فقال قائل : هذا كان منزله ، فأناخ فى منزل عمر ، ثم رفع عقيرته ، يتغنى شعراً :

عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ يَدُ الله فى ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ[6]

---

(١) يودى أى يذهب .

(٢) هرمز كسرى الفرس ، وعاد : قوم أهلكهم الله بذنبهم .

(٣) سليمان النبى الذى سخر الله عز وجل له الريح تجرى رخاء بأمره .

(٤) الأوب والإياب الرجوع .

(٥) ظلم النفس ترويضها والغلبة عليها .

(٦) الأديم من الأرض ماظهر منها ، والمراد السطح .

فَمَنْ يسعَى أو يركبْ جَناحيْ نعامَةٍ ليُدْرِكَ ما قدمتَ بالأمسِ تَسْبِقِ
قضيتَ أمورا ثم غادَرْتَ بَعْدَها نَوائحَ في أكمامِها لم تُفتّقِ
وَما كنتُ أخشَى أن تكونَ وَفاتُه بِكَفَّي سَبَنْتَى أزرقِ العيْن مُطرِقِ

ويروى سبنت ، والسبنت النمر الجرىء ، والمطرق الحنق .

قال المتلمس شعرا :

فَأطرقَ إطراق الشّجاعِ ولن يرى مَساغاً لِنابَيْهِ الشجاعَ المُصمّما[١]

وذكر الواقدى فى كتاب فتوح الأمصار :

أن عمر ، رضى الله عنه ، قام فى السحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم دعا الناس إلى الجهاد ، وحضهم عليه ، وقال :

- إنكم أصبحتم فى غير دار بالحجاز ، وقد وعدكم الله فتح كسرى وقيصر ، فسيروا إلى أرض فارس .

فقام أبو عبيدة بن مسعود ، فقال :

- يا أمير المؤمنين ، أنا أول من انتدب .

وأمر أبا عبيدة .

وفى حديث آخر ، أنه قيل له :

- أتولى رجلا من ثقيف[٢] على المهاجرين والأنصار ؟

قال :

- لا أؤمر عليهم إلا من انتدب ، فوليته ، وأمرته ألا يقطع أمرا دون مسلمة ابن أسلم ، أو سليط بن قيس ، وأعلمته أنهما من أهل بدر .

---

(١) الشجاع هو الحية أو الذكر منها والصمم هو الشجاع أى الذكر من الحيات .
(٢) ثقيف أبو قبيلة من هوازن ، واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن .

فلقى صفا من العجم ، وعليهم رجل يقال له : جالينوس ، فانهزم .

وجاز أبو عبيدة حتى قطع الفرات[١] ، وعقد له بعض الدهاقين[٢] جسرا .

فلما خلّف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر .

فقال له مسلمة بن أسلم :

ـ أيها الرجل ، ليس لك علم بما ترى ، وأنت تخالفنا ، وسوف يهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك ، تأمر بجسر قد عقد أن يقطع ، فلا يجد المسلمون ملجأ فى هذه الصحارى والبرارى .

فقال : أيها الرجل تقدم ، فقد تم ما ترى .

وقال سليط بن قيس :

ـ لن تلقى مثل جمع فارس قط ، ولا كان لهم[٣] بقتالهم عادة ، واجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة إن كانت .

فقال :

ـ لا والله ، لا أفعل ، جبنت والله يا سليط .

فقال سليط :

ـ والله ما جبنت ، ولأنا[٤] أشد منك نفَسا ، ولكنى أشرت بالرأى .

فلما قطع أبو عبيدة ، والتحم الناس ، واشتد القتال نظرت العرب إلى الفيلة عليها التحافيف[٥] ، ورأوا شيئاً لم يروا مثله .

---

(١) نهر بأرض العراق .

(٢) جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم فيهم .

(٣) أى لجند المسلمين .

(٤) فى الأصل ، ولا أنا .

(٥) هى الطرف الغالية الثمن .

فانهزم العرب جميعا ، ومات فى الفرات أكثر ممن قتل بالسيف ، وخالف أبو عبيدة سليطا ، وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه .

وكان رأى سليط ، لا يعبرون إليه ، ولا يقطعون [١] الجسر ، نخالفه .

وقال سليط :

ـ لا يمضى قوله ، ولولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ، ولـكن ، أسمع وأطيع ، وإن كنت أخطأت ، وأشركنى عمر معك .

فقال أبو عبيدة :

ـ تقدم أيها الرجل .

ـ قال : أفعل .

فتقدما ، فقتلا .

وقد كان أبو عبيدة يومئذ ترجّل ، فقتل من العرب معه ستة آلاف .

فدنا [٢] من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه ، نخبط الفيـــل أبا عبيدة بيده ، ومال المسلمون ، وتراجعت قلال فارس ، فأخذ الناس السيف لمـــا قتل أبو عبيدة بآخر رجل من بكر بن وائل ، والمثنى بن حارثة ، لحمى الناس حتى عقـــد الجسر ، فعبروا ، ومعهم المثنى بن حارثة ، وقد فقد فى الناس أربعة آلاف غرقى وقتلى .

وكان على جيوش فارس فى هـــذا اليوم حادويه ، ومعه راية فارس التى كانت لأفريذون حتى صار الناس بالدّهلك ، وهى المعروفة بدرتس ، رايتان ، وكانتا من جلود النمر ، طول كل واحدة اثنا عشر ذراعا فى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال توصل .

وكانت فارس تتباشر بالراية الأفريذونية ، وتظهرها فى الأمر الشديد .

---

(١) فى الأصل لايعبروا ، ولايقطعوا .　　(٢) فى الأصل ، فدنى .

ولما قتل أبو عبيدة شق ذلك على عمر وعلى سائر المسلمين ، فخطب عمر الناس ، وحضهم على الجهاد ، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق ، وعسكر عمر بصراط[1] ، وهو يريد الشخوص[2] .

وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله ، وعلى ميمنته الزبير بن العوام ، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ، ودعا الناس، فاستشارهم، فأشاروا عليه بالسير.

ثم قال لعلى : ما ترى يا أبا الحسن ، أأسير أم أبعث ؟

فقال : سر بنفسك ، فإنه أهيب للعدو وأرهب .

وخرج من عنده .

ودعا بالعباس فى حلة[3] مشيخة قريش ، فشاورهم .

فقالوا : أقم ، وابعث غيرك لتكون للمسلمين ، إذا انهزموا ، فئة .

وخرجوا .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف ، فاستشاره ، فقال عبد الرحمن :

ـ ما فديت بأبى وأمى واحدا بعدك ، أقم ، وابعث ، فإنه إذا انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك ، وإنك إن تهزم أو تقتل يكفر المسلمون لا إله إلا الله أبدا .

قال :

ـ أشِرْ علىّ من أبعث .

قال : سعد بن أبى وقاص .

قال عمر :

ـ قد أعلم أن سعدا رجل شجاع ، ولكن أخشى ألا يكون معه تدبير الحرب .

---

(١) الصراط هو الطريق . (٢) أى الذهاب إلى جيش المسلمين بفارس .

(٣) الحلة بالفتح وبالكسر هيئة الحلول أو جماعة بيوت الناس ، والمشيخة الشيوخ .

فقال عبد الرحمن :

ـ هو على ما تصف ، وقد صحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشهد بدرا ، فاعهد إليه عهدا ، وشاورنا فيما أردت أن تحدث إليه ، وأنه لم يخالف أمرك .

ثم خرج .

فدخل عليه عثمان بن عفان فقال له :

ـ يا أبا عبد الله ، أشرْ عليّ ، أسِر أم أقم .

فقال عثمان :

ـ يا أمير المؤمنين ، ابعث الجيش ، فإنى لا آمن عليك آتٍ[1] أن ترجع العرب عن الإسلام ، ولكن ابعث الجيوش وأدرك بعضها بعضا ، وابعث رجلا له نجدة فى الحرب ، وبصر بها[2] .

قال عمر : ومن هو ؟ .

قال : على بن أبى طالب .

قال : فالقه وكلمه ، وذاكره ذلك فهل تراه ينزع إليه أم لا ؟ .

وخرج عثمان ، فلقى عليا ، فذاكره ذلك ، فأبى علىّ ذلك وكرهه .

وعاد عثمان إلى عمر ، فأخبره ، فقال له .

ـ فمن ترى ؟ .

قال :

ـ سعيد بن زيد بن نفيل .

فقال عمر :

ـ ليس بصاحب ذلك .

---

(١) كذا فى الأصل، والمعنى ما يأتى، ويصير إليه أمر المسلمين . (٢) أى دراية وتبصر .

فقال عثمان :

ـ فطلحة بن عبيد الله .

فقال عمر :

ـ أين أنت عن رجل شجاع ، ضروب بالسيف ، رام بالنبل ، ولكنى أخشى ألا يكون معه تدبير .

قال : من هو .

قال :

ـ سعد بن أبى وقاص .

قال عثمان :

هو صاحب ذلك ، ولكنه رجل غائب ، وما يمنعنى عن ذكره إلا أنه كما[1] قلت رجل غائب فى عمل .

فقال عمر :

ـ أرى أن أوجهه ، وأكتب إليه أن يسير من وجهه ذلك .

قال عثمان :

ـ ومره ، فليشاور قوما من أهل التجربة والبصر بالحرب ، ولا يقطع الأمور حتى يشاورك .

ففعل عمر ذلك .

وكتب إلى سعد فى التوجه إلى العراق[2] .

---

(١) زيادة من المحقق .

(٢) يروى بعض المؤرخين العرب أن عمر بن الخطاب استحضر سعد بن أبى وقاص وولاه حرب العراق وسلم الجيش إليه ، فسار سعد بالناس . وسار عمر معهم عدة فراسخ ، ثم وعظهم وحثهم على الجهاد وودعهم ، وانصرف إلى المدينة ، وتوجه سعد ، فجعل يتنقل فى البرية التى بين الحجاز والكوفة .

وقد كان جرير بن عبد الله الجبلى قدم على عمر، فاجتمعت إليه بجيلة[١] ، فسرّحه نحو العراق ، وجعل لهم ربع ماغلبوا عليه من السواد[٢] ، وساهمهم مع المسلمين .

وخرج عمر فشيعهم .

ولحق جرير بناحية الأبلة[٣] ، ثم سار إلى ناحية المراد .

وبلغ قدوم جرير إلى مرزبان السواد ، وكان فى عشرة آلاف من الأساورة ، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبى عبيدة وسليط .

فقالت بجيلة لجرير :

ـ اعبر الدجلة إلى المراد .

فقال جرير :

ـ ليس ذلك بالرأى ، وقدمضى لكم فى ذلك عبرة من قتل إخوانكم يوم الجسر ، ولكن أمهلوا القوم ، فإن جمعهم كثير ، حتى يعبروا السكة ، فإن فعلوا فهو الظفر ، إن شاء الله تعالى .

فأقامت الفرس أياما فى المراد ، ثم أخذوا فى العبور .

فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن شرع معه من بجيلة ، فثبتوا ساعة ، فقتل المرزبان ، وأخذهم السيف ، وغرق أكثرهم فى دجلة[٥] ، وغنم المسلمون فى عسكرهم .

وسار جرير ، فاجتمع مع المثنى بالحيليلة .

فأقبل إليها مهران ، وبغى على المسلمين ، فالتقوا ، وصبر الفريقان جميعا .

---

(١) حى باليمن من معد ، منهم جرير .

(٢) أى من الأرض الزراعية .

(٣) الاسم القديم للمدائن .

(٤) الموافقة لسنة ٦٣٤ م

(٥) نهر بأرض العراق .

ثم انهزم مهران ، فقتله جرير بن عبد الله ، وطعنه الطى[١] ، وفاز جرير بمنطقته وسيفه .

وقد تنازع جرير وحسان فى أيهما القاتل .

وقد تنازع أهل الأخبار والسير فى جرير والمثنى ، فنهم من ذهب ، أن جريرا[٢] كان المولىّ على الجيش ، ومنهم من رأى أن جريرا كان على قومه ، والمثنى على قومه .

ولما قتل مهران عظّمت الفرس ذلك ، وسار شيرزاد فى جمع فارس العظيم ، وكبشه أبرواز ، وقد كان جمهور الأساورة[٣] . وتقدم أمامهم رستم .

فتنحى المسلمون لما بلغهم سيره .

ولحق جرير بكاظمة[٤] ونزلها ، وسار المثنى فى قومه من بكر بن وائل ، فنزل سيراف ، وهى آبار كثيرة من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة[٥] ، وقد أصيب بجراحات كثيرة فى يده من أول الجسر ، فمات بسيراف .

ولمـــا بلغ كتاب عمر ـ رضى الله عنه ـ على سعد بن أبى وقاص ، فنزل زبالة بحسب ما أمره عمر ، ثم أتى سيراف ، وأتى الناس من الشام وغيرها .

ثم سار فنزل المدنية ، وهى على فم البر من طرف السواد مما يلى القادسية[٦] .

والتقى الجيشان ، جيش المسلمين ، وجيش الفرس ، وعلى جيش الفرس رستم ، والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثلاثين ألفا ، وقيـــل : إن من أسهم له ثلاثون ألفا ، والمشركون فى ستين ألفا ، أمام خيولهم الفيلة عليها[٧] الرجال .

---

(١) البطن .　　(٢) فى الأصل جرير .

(٣) هم قوم من العجم نزلوا بالبصرة كالأحامرة بالكوفة .

(٤) موضع .　　(٥) موضع بطريق الكوفة دون ذى مرخ .

(٦) بلد مشهور قرب حمص بالجمهورية السورية .

(٧) فى الأصل ، على .

وخرج إليهم أقرانهم من صناديد[١] فارس ، فاعتوروا[٢] الطعن والضرب .

وخرج غالب بن عبد الله الأسدى فيمن خرج ذلك اليوم ، وكان من ملوك الباب والأبواب ، وكان متوّجا .

فأسره غالب ، فأتى به سعدا ، وكرّ راجعا إلى المطاردة ، وحمى الوطيس[٣] .

وخرج عاصم بن عمر ، فنزل إليه عظيم من رؤسائهم ، فجالا ، ثم إن الفارسى ولّى ، فاتبعه عاصم ، فلحقه حتى لجأ إلى صفوفهم ، فأبرزوه ، وغاص فيهم حتى أيّس الناس منه ، ثم خرج فى حساب القلب ، وقدامه بغل عليه مقطمات ديباج وقلنسوة مذهبة ، وإذا هو خباز الملك ، وفى الصناديق لطف[٤] للملك من الأخبصة[٥] والعسل المعقود .

فلما نظر فيه سعد قال :

ـ انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقولوا لهم : إن الأمير قد قفاكم[٦] هذا ، فكلوه .

وفى رواية أخرى : أن وقعة القادسية كانت فى المحرم سنة أربع عشرة[٧] .

ومع كل فيل عشرة قبله ، ومع كل فيل ، عشرون رجلا ، وعلى الفيلة تجافيف الحديد والقرون محلاة بالديباج ، وتحمله الفيلة ، والرجال[٨] والخيول .

فبعث سعد إلى بنى أسد لما نظر إلى الموكب والخيول قادمات على بجيلة ، فأمرهم أن يمنعوهم .

---

(١) جماعة العسكر .
(٢) أى تداولوه بينهم .
(٣) حمى الوطيس أى اشتدت الحرب .
(٤) اليسير من الطعام .
(٥) المعمول من التمر والعسل .
(٦) أى آثركم .
(٧) الموافقة لسنة ٦٣٥ م
(٨) واو العطف زيادة من المحقق .

ومالت نحو عشرين من الفيلة نحو القلب [١].

فخرج طلحة بن خويلد الأسدى مع فرسان من بنى أسد ، فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها ، واشتد القتال على بنى أسد فى هذا اليوم ، فقتل منهم خمسمائة رجل دون من قتل فى هذا من سائر الناس .

وهذا اليوم يعرف بيوم أغواث .

فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام ، والأمراء سائرة ، وقد عظمت راياتها ، عليها هاشم بن عتبة المرقال فى خمسة آلاف فارس من ربيعة ومضر ، وألف من اليمن ، ومعه القعقاع بن عمرو ، وذلك بعد فتح دمشق .

وقد كان عمر كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد إلى العراق ، ولم يذكر فى كتابه خالدا ، فسمح أبو عبيدة بتخلية خالد بن الوليد ابن خالة عمر .

فتقدم القعقاع ونادى بأعلى صوته فى أول المراد ، فأيقن أهل القادسية بالظفر على فارس ، وزال عنهم ما لحقهم بالأمس من الفشل والجراح .

وبرز القعقاع حين ورد أمام الصف ، ونادى بأعلى صوته ، هل من مبارز ؟

فبرز إليه عظيم منهم .

فقال له القعقاع : من أنت ؟

فقال : اسمى حادويه ، وهو المعروف بذى الحاجب .

فنادى القعقاع بالبراز ، إذ أبو عبيدة وسليط يوم الجسر ، وقد كان ذو الحاجب القاتل لهم على ما ذكرنا .

---

(١) أى وسط الجنود .

لجالا ، فقتله القعقاع .

ويقال : إن القعقاع قتل فى ذلك اليوم ثلاثين رجلا فى ثلاثين حملة ، فقتل فى كل حملة رجلا .

فكان أشرف من قتل من عظمائهم رجل يقال له : بزرجمهر .

واعتلّ سعد ، فتحصن فى حصن العذيب ، وقعد فى أعلاه ، وهو يشرف على الناس .

وتواقف الفريقان .

فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده فى أعلى القصر ، إن تمادى الناس فلا توقظونى فإنى أقوى على عددم ، وإن سكتوا فأيقظونى ، فإن ذلك شر .

وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر ، فسمع انتماء الناس إلى أناسهم وعشائرهم ، ووقع الحديد ، وشدة البأس ، فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف ، لجثا[1] حتى صعد إلى سعد، يستعفيه ، ويسأله أن يخلى عنه ليخرج[2] .

فزجره سعد ، وردّه .

فانزجر باكيا ، فنظر إلى سلمى بنت حفصة ، زوج المثنى بن حارثة الثانى ، وقد كان سعد خلّف[3] عليها بعده .

فقال : يا ابنة حفصة ، هل لك فى خير ؟

قالت : وما ذاك ؟

---

(١) جثا مثل دعا جثوا بالضم جلس على ركبتيه أوقام على أطراف أصابعه، والمراد زحف .

(٢) بعده فى الأصل ، فجثى حتى صعد إلى سعد يستعفيه ويستقبله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج ، وهو مكرر ، وقد أسقط لتكراره دون حاجة .

(٣) أى تزوجها من بعده .

قال : تحدّين عنى ، وتعيرينني البلقاء[١] ، ولله على إن سلمنى الله ، أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى .

فقالت : ما أنا وذاك .

فرجع يرسف[٢] فى قيده .

فقالت سلمى : إنى استخرت الله ، ورضيت بعهدك .

فأطلقته ، وقالت : شأنك وما أردت .

وبلغ سعد[٣] ، وأخرجها من باب القصر مما يلى الخندق ، فركبها، ثم دبّ عليها حتى إذا كان حيال الميمنة من المسلمين كبّر ، ثم حمل ميسرة القوم ، وجعل يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ، فأوقف ميسرتهم ، وقتل رجالا كثيرا ، وانكسر آخرون ، والفريقان يرمقونه[٤] بأبصارهم .

وقد تنوزع فى البلقاء ، فنهم من رأى أنه ركبها عرية ، ومنهم من رأى أنه ركبها لسرج .

ثم غاص فى المسلمين ، فخرج فى ميسرتهم ، وحمل على ميمنة القوم ، فأوقفهم ، وجعل يلعب برمحه وسلاحه ، لا يبرز إليه فارس إلا هتكه، فأوقفهم، وهابته الرجال.

ثم رجع وغاص فى قلب المسلمين ، ثم برز أمامهم بإزاء قلب المشركين ، ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة[٥] ، وأوقف القلب حتى لم يبرز إليه منهم فارس إلا اختطفه ، وحمل على المسلمين .

---

(١) فى الأصل ، البقاء ، والبلقاء فرس يجمع لونها بين السواد والبياض .

(٢) يمشى وهو مقيد .

(٣) كذا فى الأصل ، ولعل الجملة منفية بحرف ما ، وقد سقط ، حيث يكون معنى الكلام مستقيما .

(٤) رمقه أى لحظه لحظا خفيفا . (٥) فى الأصل ، المسيرة .

فتعجب الناس منه ، وقالوا : من هذا الفارس الذى نراه فى قومنا .

قال بعضهم : هو بعض من قدم علينا من إخوتنا بالشام من أصحاب المرقال .

وقال بعضهم : إن كان الخضر[1] يشهد الحرب فهذا هو الخضر ، قد منّ الله به علينا ، فهو علم نصرنا على عدونا ، وبه قال قائل منهم : لو أن الملائكة لا تباشر الحرب قلنا هو ملك .

وأبو محجن يرى كأنه الليث الضرغام ، قد هتك الرجال كالعقاب[2] يجول عليهم .

ومن حضر من فرسان المسلمين مثل: عمرو بن معدى كرب ، وطلحة بن خويلد ، والقعقاع بن عمرو ، والمرقال ، وسائر فتاك العرب وأبطالها ينظرون ، وقد حاروا فى أمره .

وجعل سعد يفكر ويقول ، وهو مشرف على الباب من فوق القصر : لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن ، وهذه البلقاء .

فلما انتصف النهار ، وتحاجز الناس ، وتراجعت الفرس على أعقابها ، وتراجع المسلمون على مواضعهم على تعبئتهم ومصافهم أقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ، فردّ البلقاء إلى مرابطها ، وعاد إلى محبسه ، ووضع رجله فى القيود .

فقيل له : يا أبا محجن ، فى أىّ شىء حبسك هذا الرجل ؟ يعنى سعدا .

فقال : والله ما حبسنى فى حرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب خمر فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، وأصف القهوة ، وتداخلنى

---

(١) الخضر هو صاحب أهل الكهف المذكور فى القرآن .

(٢) العقاب بالضم طائر ضخم وقوى .

(٣) فى الأصل ، ولا يعلم به من رد البلقاء . .

أريحية[١] فالتذ بمدحى إياها ، لذلك حبسنى إذ قلت شعرا :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّى إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عِظَامِى بَعْدَ مَوْتِى عُرُوقُهَا[٢]

ولا تَدْفِنَنِّى فى الفَلَاةِ فإننى ... أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوقَهَا[٣]

وهى من أبيات .

وقد كان بين سلمى وسعد كلام أوجب غضبه عليها لذكرها عند مختلف القنا ، فكانت مخاطبة له عشية أغواث ، وليلة الهرير ، وليلة السوداء ، حتى إذا أصبحت أتته فترضته ، وصالحته ، ثم أخبرته أمرها مع أبى محجن .

فدعا به ، فأطلقه . وقال له : اذهب ، فما أنا مؤاخذك لشىء تفعله .

قال : لا جرم[٤] ، والله ، لا أجبت لسانى إلى صفة قبيح أبدا .

وأصبح الناس فى اليوم الثانى ، وهم على مواقفهم ، وهو يوم عمواس[٥] .

وأصبحت بين الفريقين ، كالدجلة والفرات فى عرض بين الصفين .

وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة رجل ، وقتل من الأعاجم من[٦] لا يحصى عددهم غير الله .

فقال سعد :

ـ أيها الناس ! من شاء غسل الشهداء .

ويحملون الزيت إلينا فيعالجون المكلوم[٧] .

وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن المذيب .

---

(١) أى ميل ورغبة . (٢) الكرمة شجرة العنب (٣) الفلاة الصحراء

(٤) لاجرم ، أى لابد أو حقا ، أو لا محالة ، وهذا هو أصله ، ثم كثر استعماله حتى تحول إلى معنى القسم ، ولذلك يجاب عنه باللام ، فيقال ، لاجرم لآتينك .

(٥) عمواس كورة من أرض فلسطين بالقرب من بيت المقدس، وعلى بعد أربعة أميال من الرملة على طريق القدس ، وقد اشتد بها الطاعون ، ومات فيه بشر كثيرون ، وأصيب به جيش المسلمين ، والطاعون مرض فتاك ، شديد العدوى .

(٦) لفظ من زيادة من المحقق . (٧) المجروح .

فإذا حمل الجذع وفيه تميز [١] ونظر إلى تلك [٢] النخلة ، ولم يكن هناك يومئذ نخلة ، واليوم بها نخل كثير .

فقال لحامله : قد قربت من السواد فأريحونى تحت هذه الشجرة وهذه النخلة ، فيراح تحتها .

فسمع رجل من الجرحى ، يقال له : بحير بن على ، وهو يجود بنفسه ، يقول [٣] شعرا :

أَلَا يَا سُلَيْمِى نَخْلَةٌ بين فارسٍ   وبين عُذَيْبٍ لا يجاوِرُكِ النخلُ

وسمع آخر من تيم الله ، وقد أريح تحت نخلة ، وقد أشرف به جرحه على الهلاك ، وهو يقول :

أيَا نَخْلَةَ الجَرْحَى ويا حَرْجَةَ العِدَى   سقتكِ الغوادى والغُيُوثُ الهَوَاطِلُ [٤]

وأصبح الناس صبيحة ليلة القادسية ، وهى صبيحة ليلة الهـــرير [٥] ، وتسمى القادسية [٦] من تلك الأيام ، والناس حيارى لم يغمضوا ليلتهم كلها .

وعرض رؤساء العرب عشائرهم ، واشتد الجلاد [٧] إلى أن حان وقت الزوال ، فكانت أول من زال حين قائم الظهيرة ، ونما التقطع ، وهبت ريح عاصف ، فقطعت طيارة رستم ، فهوت فى بحر العتيق والريح دبور .

قال الأخيار إليهم ، وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير ، فعثروا به ، وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة إلى بغال قدمت عليه بمال يومئذ وهى واقفة ، فلاذ ببغل حذاءه حمل .

---

(١) كذا فى الأصل .   (٢) فى الأصل ذلك .

(٣) لفظ يقول زيادة من المحقق .   (٤) الهواطل أى الممطرة .

(٥) هره البرد إذا اشتد عليه فجعله يصوت .

(٦) كانت القادسية الباب إلى مملكة الفرس .   (٧) أى القتال .

فضرب هلال بن علقمة الجمل الذى رستم تحته، فقطعه، ووقع عليه أحد العِدْلَيْن[1] ، وهلال لا يراه ولا يشعر به ، فأزال فقاظهره ، وضربه هلال ضربة فنفحت مسكا ، فمضى رستم نحو نهر العتيق ، فرمى بنفسه فيه ، واقتحم عليه ، فتناوله برجله ، ثم خرج به إلى الخندق ، فضربه بالسيف حتى قتله .

ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ونادى ، قتلت رستما ورب الكعبة .

فولّى[2] المشركون وانهزموا ، فأخذهم السيف ، بمن قتل وغرق .

وقد كان منهم ثلاثون نفسا ، قربوا أنفسهم ، بعضهم إلى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور[3] وبيوت النيران ألا يبرحوا حتى يفتخروا أو يقتلوا .

فجثوا على الركب ، فقتلوا جميعا .

وقد تنوزع فيمن قتل رستما ، فذهب الأكثر أن قاتله هو هلال بن علقمة، ومنهم من رأى أنه قتله رجل من بنى أسد .

فأخذ ضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم السرية العظمى ، المقدم ذكرها ، أنها من جلود النمور ، المعروفة بدرفس ، وكانت مرصعة باليواقيت واللؤلؤ، وأنواع الجواهر.

فعوّض عنها بثلاثين ألفا ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتى ألف .

وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية غير ماذكرنا من المقربين وغيرهم عشرة آلاف .

وقد تنازع الناس ممن سلف وخلف فى عام القادسية .

فذهب كثير من الناس إلى أن ذلك كان فى سنة ست عشرة ، من قول الواقدى فى آخرين الناس .

---

(١) العدل بالكسر نصف الحمل . (٢) فى الأصل ، فولت المشركون .

(٣) أى أقسموا بآلهتهم التى يعبدونها ، وهى النار .

ومنهم من ذهب إلى أن ذلك كان فى سنة خمس عشرة ، وهو قول الواقدى ، كما ذكرنا .

ومنهم من ذهب إلى ذلك فى سنة خمس عشرة .

والذى قطع عليه محمد بن إسحق أيما كان فى سنة خمس عشرة ، والله أعلم .

وذهب كثير من الناس ، أن عمر بعث عقبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة إلى البصرة ، فنزلها ، ومصّرها .

وذهب كثير من أهل السير أنها مصرت فى سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها من المدائن ، بزايح سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء ، وتكريت ، وأن عتبة قدم البصرة وهى تدعى أرض الهند ، وفيها حجارة بيض ، فنزل موضع المدينة .

ومصّر[*] سعد بن أبى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ، ودلّهم على موضعها ابن نفيلة الغسانى ، وقال لسعد :

ـ أدلك على أرض ارتفعت على الأرض وانحدرت عن الفلاة[٦]

فدلّه على موضع الكوفة .

قال المسعودى : وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة .

وكتب إليه المغيرة ، أن عندى غلاما نجارا ، نقاشا حدادا ، فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيت أن تأذن لى فى إرساله إليك فعلت .

فقال أبو لؤلؤة[١] : والله لأضعن رحى تتحدث بها الناس ، ومضى .

فقال عمر : أما العبد فقد توعدنى آنفا .

---

(١) أى جعلها مصرا وبلدا .

(٢) الفلاة هى الأرض لانبات فيها ، أى الصحراء .

(٣) عود إلى مقتل عمر بن الخطاب .

فلما أزمع على الذى أزمع عليه أخذ خنجرا ، فاشتمل عليه ، ثم قعد فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس [١] .

وكان عمر يخرج إلى المسجد ، فيوقظ الناس إلى الصلاة ، فمر به ، فثار له ، فطعنه ثلاث طعنات : إحداهن تحت سرته ، وهى التى قتلته ، وطعن اثنى عشر رجلا من أهل المسجد ، فمات منهم ستة ، وبقى منهم ستة ، ونحر [٢] نفسه بخنجره ، فمات .

فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر ، وهو يجود بنفسه ، فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد ، فإنه لو جاءك راعى إبلك أو غنمك، وترك غنمه أو إبله لا راعى لها للمتّه ، وقلت : كيف تركت أمانتك ضائعة ، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد ، فاستخلف عليهم .

فقال :

ـ لئن استخلفت عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر ، وإن تركتهم فقد تركهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فيئس منه ولده عبد الله حين سمع ذلك منه .

وكان إسلام عمر قبل الشجرة بأربع سنين، وكان له من الولد عبد الله ، وحفصة ، ـ زوج النبى صلى الله عليه وسلم ـ وعبد الله وعاصم وفاطمة وزيد من أم ، وعبد الرحمن وفاطمة ، وعبد الرحمن الأصغر ، وهو المحدود [٣] فى الشراب المعروف بأبى شحمة ، من أم .

وذكر عبد الله بن عباس ، أن عمر أرسل إليه ، فقال :

ـ يا ابن عباس، إن عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل،

---

(١) الغلس ظلمة آخر الليل .

(٢) أى انتحر أبو لؤلؤة بذبح نفسه .

(٣) أى الذى أقيم عليه حد شرب الخمر .

وقد رجوت أن تكون منهم ، وهو فى نفسى منك شىء لم أرضك[1] ، وإحسان عليك ، فما رأيك فى العمل ؟ ..

فقال :

ـ لن أعمل حتى تخبرنى بما فى نفسك .

فقال :

ـ وما تريد فى ذلك ؟

قلت :

أريده ، ما الشىء أخاف منه على نفسى خشيت عليها الذى خشيت ، وإن كنت بريئا من مثله علمت أن ليس لى من أهله ، فإنى قلّ ما رأيتك ظننت شيئا إلا عاجلته .

قال :

يا ابن عباس ، إنى خشيت أن يأتى علىّ الذى هو آت ، وأنت فى عملك ، فتقول : هلمّ إلينا ، ولا هلمّ إليهم دون غيركم ، إنى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعمل الناس تتركم .

قال : قد رأيت ؟

قال : قد رأيت والله من ذلك ما رأيت ، أن يبايعوا لمنزلتكم منه ، فيقع العتاب ، ولا بد من عتاب ، وقد عرفت لك فما رأيك .

قال : قلت : الرأى لا أعمل لك .

قال : ولم . . ؟

قلت : إن عملت لك وفى نفسى ما فيها لم أبرح قذى[2] فى عينك .

---

(١) كذا فى الأصل

(٢) القذى هو مايقع فى العين .

قال : فأشر عليّ .

قلت : أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحان[١] .

وذكر علقمة بن عبد الله المدنى عن معقل بن سيار ، أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ شاور الهرمز فى فارس وأصبهان[٢] وأذربيجان[٣] فقال له :

ـ فارس الرأس ، وأذربيجان الجناحان ، فابدأ بالرأس .

فدخل المسجد ، فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى ، فقعد إلى جنبه ، فلما قضى صلاته قال :

ـ ما أرى إلا أن أستعملك جابيا أو غازيا .

قال : أما جابيا فلا ، ولكن غازيا .

قال : فإنك غاز .

فوجهه ، وكتب إلى أهل الكوفة يمدونه .

وبعث معه[٤] الزبير بن العوام ، وعمر بن معدى كرب ، وحذيفة وابن عمر ، وإلى شعث بن قيس .

فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم ، وهو يقال له ذو الجناحين .

فقيل لذى الجناحين : إن رسول العرب ها هنا .

فشاور أصحابه ، وقال : أقعد له فى بهجة الملك ، أو أقعد له فى بهجة الحرب ؟

قالوا : بل اقعد له فى بهجة الملك .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) اسمها القديم اسبدانا ، وتقع فى وسط إيران بين طهران وشيراز ، وقد فتحها المسلمون حوالى عام ٦٤٠ م

(٣) ولاية مشهورة من ولايات الدولة الفارسية . (٤) فى الأصل ، مع .

فقعد على سريره ، ووضع التاج على رأسه ، وأقعد أولاد الملوك شماله ، عليهم الأقراط[١] ، وأساور[٢] الذهب والديباج[٣] . وأذن للمغيرة ، فإذا يضمه رجلان ، ومعه رمحه وسيفه .

قال : فحمل المغيرة ، وجعل يطعن برمحه فى بسطهم ، ويخرقها ليغيظهم بذلك ، وجعل الترجمان يترجم بينهما ، فقال :

ـ إنكم معشر أصابكم جهد ، فإن شئتم مررنا كم ورجعتم .

فتكلم المغيرة ، وأثنى عليه ، ثم قال :

ـ إنا معشر العرب : كنا أذلة يطؤنا[٤] الناس ولا نطؤهم ، ونأكل الكلاب والجيف ، ثم إن الله بعث فينا نبيّاً فى شرف منا ، أوسطنا حسبا ، وأصدقنا حديثا ، وبعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعثه ، وأخبرنا بأشياء ، فوجدناها كما قال ، وأنه وعدنا فيما وعدنا بأمر ، أنا سنملك مما هاهنا ، ونغلب عليه، وإنى أراها رثة ، وهى مامن خلفى بتاركها حتى يصيبوها أو يموتوا .

قال : فقالت لى نفسى ، لو جمعت جراميزك[٥] ، ووثبت ، فقعدت مع العلج[٦] على سريره حتى ينظر ، فوثبت وثبة ، فإذا أنا معه على سريره .

فجعلوا يلكزوننى بأرجلهم ، وينخسوننى بأيديهم .

فقلت لهم : إليكم :

---

(١) الأقراط جمع قرط بالضم وهو ما يعلق فى شحمة الأذن .

(٢) فى الأصل أسرة ، والصواب أساور جمع سوار بالضم ، وهو الذهب الذى يتحلى به فى اليد . (٣) ملابس تنسج من خيوط الحرير .

(٤) وطئه بالكسر يطؤه داسه ، وفى الأصل يطؤنا الناس ولا نطأهم .

(٥) الجرامز قوائم الحيوان الوحشى وجسده وبدن الإنسان .

(٦) العلج هو الرجل من كفار العجم .

فقطعنا إليهم .

قال : فتسلسلوا كل خمسة ، وستة ، وسبعة حتى لا يفروا .

فعبرنا إليهم ، فصادفناهم ، واستووا فينا .

فقال المغيرة للنعمان :

ـ إنه قد أسرع ، وقد خرجوا ، فلو حملت .

فقال النعمان :

ـ إنك لذو مناقب ، وقد شهدت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس ، وتهب الرياح ، وينزل النصر .

ثم قال : إنى هازٌ لوائى ، ثلاث مرات ، أما أول مرة فليقض الرجل حاجته ، وأما الثانية فلينظر الرجل سيفه وسلاحه ، فإذا هززت الثالثة فاحملوا ، ولا يلوين أحد على أحد .

وإن قتل النعمان فإنى رائح إلى الله بدعوة فأقسمت على كل امرئ منكم لما أمره عليها .

ثم قال : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح على المسلمين .

فهز ثلاث مرات ، ثم ثنى درعه ، وحمل على الناس ، فكان أول صريع .

قال معقل : فأتيت عليه ، وذكرت عزمه ، لا أقف عليه ، وأعلمت من أعلمت لأتحرف مكانه ، وأمعنا[1] القتل فيهم ، ووقع ذو الجناحين على بغلة شهباء[2] ، فانفتق بطنه ، وفتح الله على المسلمين .

فأتيت إلى مكان النعمان ، فصادفته ، وبه رمق[3] فأتيته بأدواه ، فغسلت وجهه ، فقال :

(١) أمعن فى الأمر أبعد .
(٢) الشهب محركة بياض يتخلله سواد
(٣) الرمق محركة بقية الحياة .

ـ من هذا ؟

قلت : معقل بن سيار .

فقال : مافعل المسلمون ؟ .

فقلت : فتح الله لهم .

قال : الحمد لله كثيرا ، اكتبوا بذلك إلى عمر .

وفاضت روحه .

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس وأرسلوا إلى أم ولده ، هل عهد إليك النعمان أم عندك كتاب ؟ .

قالت : بل سقط منه كتاب ، وأخرجوه ، فإذا فيه ، إن قتل النعمان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان ، فامتثلوه ، وفتح الله للمسلمين .

قال المسعودى ، وهذه وقعة نهاوند [١] .

وقد كان للأعاجم فيها جمع كثير ، وقتل من المسلمين خلق كثير ، منهم النعمان ، وعمرو بن معدى كرب ، وغيرهم .

وقبورهم معروفة على فرسخ من نهاوند ، فيما بينها وبين الدينور [٢] .

وذكر مخنف بن لوط بن عيسى قال ، لما قدم عمرو بن معدى كرب من الكوفة على عمر بن الخطاب رحمه الله ـ فسأله عن سعد بن أبى وقاص ، فقال فيه ماقال من الثناء الحسن .

---

(١) مثلثة النون ، وهى بلد من بلاد الجبل جنوبى همذان ، ويقول الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ، إن أصل الكلمة نوح آوند ، لأنه هو الذى بناها ، والمسعودى واحد من مشاهير مؤرخى العرب .

(٢) مدينة من مدن الجبال (ميديا) فى العصور الوسطى ، وهى الآن أطلال ، وقد فتحها العرب سنة ٦٤٢ م بعد معركة نهاوند ، ومنها أبو حنيفة أحمد الدينورى المؤرخ العربى ، مؤلف كتاب الأخبار الطوال ، وكتاب النبات .

ثم سأله عن قومه ، فقال له :

ـ أخبرنى عن قولك مذحج[١] .

قال : سلنى عن أيهم شئت .

قال : أخبرنى عن على بن مجلد .

قال : هم فرسان أعراضنا ، وشفاة أمراضنا ، وهم أعتقنا وأنجبنا ، وأسرعنا طلبا ، وأقتلنا ضربا ، وهم أهل السلاح والرماح .

قال عمر : فما أتيت المراد .

قال : هم أوسعنا دارا ، وخيرنا قرارا ، وأبعدنا آثارا ، وهم الأتقياء البررة ، السارعون الفخرة .

قال : أخبرنى عن بنى زبيد .

قال : إنا عليهم راضون ، فلو سألت عنهم الناس لقالوا ، هم الرأس ، والناس الأذناب .

قال : فأخبرنى عن طىّ .

قال : خصوا بالجود ، وهم بعد جمرة العرب .

قال : فما تقولون فى بنى عبس ؟

قال : حجم عظيم ، وذنب أبتر[٢] .

قال : أخبرنى عن حمير .

قال : رعوا العفو وشربوا الصفو .

قال : فأخبرنى عن همذان .

قال : أبناء الليل ، وأهل النيل ، يمنعون الجار ، ويوصلون الذمار ، ويطلبون الثار .

(١) مذحج أكمة ، ولدت مالكا وطيئا أمهما عندها فسموها مذحج .

(٢) أى ذيل مقطوع .

قال : أخبرنى عن كندة .

قال : ساسوا العباد ، وتمكنوا فى البلاد .

قال : فأخبرنى عن الحارث بن كعب .

قال : هم العسكر المسكر ، تلقوا المنايا على أطراف رماحهم .

قال : أخبرنى عن لخم .

قال : أعزنا ملكا ، وأولنا ملكا .

قال : أخبرنى عن جذام .

قال : أولئك كالعجوز .

قال : أخبرنى عن الأوس والخزرج .

قال : هم الأنصار ، وهم أعزنا دارا ، وقد كفانا الله مدحهم ، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ[١] . الآية ﴾ .

قال : فأخبرنى عن خزاعة :

قال : أولئك مع كنانة سلبهم ، ولهم نصرتهم .

قال : فأى العرب أبغض إليك أن تلقاه ؟ .

قال : أما من قومى فوادعة من همدان ، وغطيف من نزار ، والحارث بن مذحج ، وأما من معد فمدىّ عن قرادة ، ومرة من ذبيان ، وكلب من عامر ، وشيبان من بكر بن وائل ، وشق من عبد القين ، والأراقم من تغلب بن وائل .

ثم لو قلت بعد بى على حياة معد ماخففت ، بفتح آخر ما لم يبلغنى حُـرّاها أو عَبْداها .

---

(١) الآية رقم ٩ من سورة الحشر .

قال : ومن حرّاها ومن عبداها ؟ .

قال : أما حراها فعامر بن الطفيل ، وعتبة بن الحارث بن شهاب التميمى ؛ وأما عبداها فعنبر من سليك المناقب .

فقال له عمر — رحمه الله — :

أبا ثور ، صف لى الحرب .

فضحك ، ثم قال ، سل عنها أخبر منى — والله — يا أمير المؤمنين ، مرّة المذاق إذا شمرت عن ساق ، من صبر فيها غرق ، ومن ضعف فيها تلف ، ولقد قال واصفها فأجاد ، شعرا :

الحربُ أولُ ما تكون فُتَيَّةً ... تُسْلِى بها الفِتيانُ كُلَّ مَهُولِ

حتّى إِذَا جنتْ وشَبَّ ضِرَامُهَا ... عَادَتْ عَجُوزًا لَمْ تَرُقْ لِخَلِيلِ

شَمْطَاء جزّتْ شَعْرَهَا وَتَنَكَّرَتْ ... مَكْرُوهةً لِلَّثمِ وَالتَّقْبِيلِ (١)

ثم سأله عن السلاح ، فأخبره بما عرف فيها حتى إذا بلغ هنالك قال : قارعتك أمك الشكلاء (٢) ياعمر ، فعلاه (٣) عمر بالدرّة ، وقال له :

— بل أمك قارعتك عن شكلها ، وها أنا (٤) ذا لأهم أن أقطع لسانك .

فخرج عنه ، وهو يقول شعرا :

أتضربُنِى كأنك ذو رُعيْن ... بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ أَوْ ذُو نُوَاسِ (٥)

---

(١) الشمطاء هى العجوز ، والشمط محركة بياض الرأس يخالطه سواد .

(٢) يقال للمؤنث ثكلى وثكلانة ، والثكل بالضم ثم السكون الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد .

(٣) أى ضرب رأسه . (٤) فى الأصل ، وها أنا .

(٥) ذو رعين هو ملك حمير ، ورعين كان حصنا له أو جبلا فيه الحصن ، وذو نواس بالضم هو زرعة بن حسان من أذواء اليمن ، لذؤابة كانت تنوس على ظهره ، والذؤابة شعر أعلى الرأس ، وتعنى الشرف والعز .

وَكَمْ قد كان قبلَكَ من مُلَيْكٍ   عظيمٍ ظاهِرِ الخيرات راسِى

فأصبحَ أهلُهُ بادُوا وأمْسَى   يُنقَّلُ من أناسٍ إلى أناسِ

فلا يغرُرْكَ مُلكٌ كلُّ ملكٍ   يصيرُ مُذَلَّلا بعد الشِّماسِ (١)

قال : واعتذر إليه عمر ، وقال :

ـ ما فعلت ذلك إلا لنعلم أن (٢) الإسلام أعزّ وأفضل من الجاهلية .

وقد كان عمر أسنَّ عُمْراً ، فأقبل يذاكره ويسأله الحروب وأخبارها فى الجاهلية .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما كنت لأنتحل الكذب فى الجاهلية ، فكيف انتحله فى الإسلام ، لأحدثك بحديث ماحدثت به أحدا قبلك .

خرجت من جزيرة جبل لبنى زبيد أريد بنى كنانة ، فأتينا قوما سُراة (٣) .

قال عمر : كيف علمتهم ، أنهم سراة ؟ .

قال : قد رأينا مذاود (٤) خيل ، وقدورا مكافات (٥) ، وقباب أدم (٦) ، حمرا ، رائعة كثيرا ، وشاء (٧) .

قال ، وإذا بامرأة فائقة الجمال على فرس لها ، فلما نظرت إليها وإلى الخيل استعبرت (٨) ، فقلت : ما يبكيك .

قالت : والله ما أبكى على نفسى ، ولكن أبكى على بنات عمى ، سُبِين (٩) ، وأيِست منهن .

---

(١) الشماس الامتناع . (٢) لفظ أن زيادة من المحقق .

(٣) فى الأصل ، سراتا ، والسراة اسم جمع ، وهم ذوو الشرف والمكانة .

(٤) جمع مذود وهو معتلف الدابة . (٥) جمع قدر وهو الإناء .

(٦) أى قباب من الجلد . (٧) الغنم .

(٨) سقطت من عينيها العبرات وهى الدموع .

(٩) أى وقعن فى السبى .

فظننت ، والله ، يا أمير أنها صادقة .

فقلت : وأين هن ؟

قالت : فى هذا الوادى .

فقلت لأصحابى : لاتحدثوا شيئا حتى آتيكم .

ثم غمزت فرسى حتى علوت كثيبا [١] ، فإذا بغلام أصهب [٢] الشعر ، هدب [٣] ، يخصف [٤] نعلا له ، وسيفه بين يديه وفرسه أمامه .

فلما نظر إلىّ شد النعل من يده ، ثم قام غير مكترث ، وأخذ سلاحه ، فأشرف على بيته ، فلما رأى الخيل محيطة به أقبل نحوى ، وهو يقول :

أَقُولُ لمــــا مَنَحَتْنِى فَاهَا ... وَأَلْبَسَتْنِى بُكْرَةً رِداهَا [٥]

لَلْحربُ لِى إن أجهرت وَغَاهَا ... أىُّ شَاهِد اليَوْمَ الّذِى رَمَاهَا [٦]

فحملت عليه فإذا هو أروغ من هرّ [٧] ، ثم حمل علىّ فضربنى بسيفه ضربة جرحتنى .

فلما أفقت من ضربتى جلت عليه ، فراغ ، ثم حمل علىّ فصرعنى ، ثم استاق ما بأيدينا ، فاستويت على فرسى ، فلما رآنى أقبل ، وهو يقول :

أَنَا عُبَيْدُ اللهِ مَحْمُودُ الشِّيَمْ ... وَخَيْرُ مَنْ يَمْشِى بِسَاقٍ وَقَدَمْ [٨]

---

(١) الكثيب هو التل من الرمل .

(٢) الصهب حمرة الشعر .

(٣) أى طويل شعر الهدب . (٤) خصف نعله أى خرزها .

(٥) رداها أى رداءها ، وهو الثوب .

(٦) الوغى شدة القتال .

(٧) راغ الرجل والثعلب مال وحاد عن الشىء ، والمراوغة المصارعة ، والهر هو القط .

(٨) الشيم جمع شيمة ، وهى الطبيعة والخلق .

قَوْلِي نَعَم لِصَاحِبِي كلَّ النِّعَمْ أفديه بالآلاءِ مِنْ كلِّ النِّقَمْ(١)

فحملت عليه حملة صادقة ، وأنا أقول شعرا :

أنا ابنُ ذِي الإقْلِيل في الشَّهر الأَمِيم أنا ابنُ ذِي الإكْلِيل قَيَّادِ البُهَم(٢)

مَنْ يلقني بُودِي كما أوْدَت إرَم أتركه لحما وهوفى ظهر الوَصَم(٣)

فحملت عليه، فراغ عنى، ثم حمل على فضربنى أخرى، ثم صرخ صرخة ، فرأيت الموت ، والله ، يا أمير المؤمنين ، ليس دونه شىء ، وخفته خوفا لم أخف أحدا مثله قط إلا عامر بن الطفيل ، فقلت : ثكلتك أمك ، من أنت ؟ .

قال : بل ، أنت من ، أخبرنى ، وإلا قتلتك .

قلت : أنا عمرو بن معدى كرب .

قال : وأنا ربيعة بن مكرم ، اختر فىّ ثلاث خصال ، إن شئت اجتلدنا حتى يعجز الأعجز منا ، وإن شئت اصطرعنا ، وإن شئت السلم ، وأنت يابن أخى حدث ، ولقومك إليك حاجة .

قلت : اخترت السلم .

قال : انزل عن فرسك .

قلت : يابن أخى ، قد جرحتنى جراحتين ، ولا نزول إلىّ .

فو الله ما كف عنى حتى نزلت .

فأخذ بعنان خيلى ، ثم أخذ يدى بيده ، وانصرفنا إلى الحىّ ، وأنا أجرّ رجلى حتى طلعنا على الجبل .

---

(١) الآلاء هى المطايا ، والنقم جمع نقمة .

(٢) ذو الإقليل أى صاحب العون، والشهر الأميم هو شهر المحرم ، والبهم جمع بهمة وهى أولاد الضأن والمعز والبقر ، أما البهيمة فجمعها بهائم ، وهى كل ذات أربعة قوائم .

(٣) يودى أى يموت ويهلك ، وأرم هى قبور قوم عاد ، والوصم هو العار .

فلما رأونى أقبلوا بخيولهم نحوى ، فناديتهم ، إليكم ، إليكم .

وأرادوا ربيعة فقط .

فأقبل عليهم كأنه ليث حتى سفّهم [١] :

ثم أقبل علىّ ، وقال :

ـ يا عمرو ، كأن أصحابك يريدون غير الذى تريد .

فصمت ـ والله ـ القوم ، فما نطق واحد فيهم ، وأعظموا ما رأوا منه .

فقلت : يا ربيعة ، ما يريدون إلا خيراً ، وإنما سميته ليعرفه القوم .

فقال : ما تريدون ؟

قالوا : وما نريد وقد جرحت فارس العرب ، وقد أخذت سيفه وفرسه .

ومضينا معه حتى نزل .

فقامت إليه صاحبته ، وهى ضاحكة ، تمسح وجهه .

ثم أمر بإبل ، فنحرت ، وضرب عليها قباب .

فلما أمسينا جاء الرعاة ، ومعهم [٢] أفراس لربيعة لم أر مثلها قط .

فلما رآنى أنظر إليها قال :

ـ كيف ترى هذه الخيل ؟

قلت : لم أر مثلها .

فقال : أما إنه لو كان عندى بعضها ما لبثت فى الدنيا إلا قليلا .

فضحكت ، وما ينطق أحد من أصحابى .

فأقمنا عنده يومين ، ثم انصرفنا .

قال : وكان عمرو بن معدى كرب بعد ذلك اليومين أغار على كنانة فى

(١) أى هربوا منه خوفا من بطشه بهم .   (٢) فى الأصل ، ومعها .

صناديد[1] قومه ، فأخذ غنائمهم ، وأخذ امرأة ربيعة بن مكرم .

فبلغ ذلك ربيعة ، وكان بعيدا .

فطلب القوم على فرس عربى ، ومعه رمح بلا سنان ، فلما لحقهم قال :

ـ يا عمرو ، خلّ الظعينة[2] وما معك .

فلم يلتفت إليه أحد .

فقال : يا عمرو ! إما أن تقف لى ، وإما أن أقف لك .

فوقف عمرو ، وقال : قد أنصف القارة[3] من راماها ، قف لى يا ابن أخى ، فوقف ربيعة ، فحمل عليه عمرو ، وهو يقول شعرا :

أنا أبو ثَوْر ووقّاف الزَّلَق ... لستُ بعرّاد ولا فتى خَرَقْ[4]

أسدُّ القوم إذا احمرّ الحَدَق ... إذا الرجال عضّهم خوفُ الخَرَق[5]

وجدتَنى بالسّيف قطّاع الحَلَق ... وَقَانِعِى فى مَنْ عَتَا على نَسَقْ[6]

وحمل عليه حتى ظن أنه خالطه السنان ، فمرّ السنان على ظهر الفرس .

ثم حمل عليه ربيعة وهو يقول شعرا :

أنا الكِنانِىّ الغلامُ لا قَدَحْ ... كَمْ من عَدٍ وَخَزْتُه حين نَزَحْ[7]

فقرع بالرمح رأسه ، ثم قال : خذها ، إليك يا عمرو ، ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك .

---

(١) أى الشجعان . (٢) الظعينة المرأة مادامت فى الهودج .

(٣) أى القوس .

(٤) وقاف الزلق أى أقف حيث لايستطيع الناس الوقوف ، والعرد بفتح العين وسكون الراء الصلب الشديد ، والخرق والأخرق هو الأحمق أو من لايحسن الصنعة .

(٥) الحدق جمع حدقة بالتحريك وهى سواد العين .

(٦) الحلق جمع حلقة وهى الدروع ، والنسق هو ما كان على نظام واحد .

(٧) القدح هو الشتم ، والنزح هو البعد .

فقال عمرو : فلا ينصرف أحدنا ، قف .

فوقف له .

فحمل عليه حتى إذا ظن أنه خالطه السنان ، فإذا هو حزام فرسه .

ومر السنان على ظهر الفرس .

ثم حمل عليه ربيعة فقرع رأسه بالرمح ، وقال : العفو مرتان .

وصاحت به امرأته ، السنان ، لك درّك .

فأخرج سنانا من منّ [1] إزاره كأنه شعلة نار ، فركبه على رمحه .

فلما نظر إليه عمرو ذكر ، طعنة بلا سنان .

فقال له : يا ربيعة ، خذ الظعينة .

قال : دعها ، وانج .

فقالت بنو زبيد : أنترك غنيمتنا لهذا الغلام .

فقال عمرو : يا بنى زبيد ، والله لقد رأيت الموت الأحمر فى سنانه ، وسمعت بصريره فى تركيبه .

فقالت بنو زبيد : لا تتحدث بنا العرب ، بأنا قوم من بنى زبيد ، فيهم عمرو ابن معدى كرب ، تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام .

قال عمرو : لا طاقة لى به ، ولكم به ، وما رأيت شجاعا مثله قط ، وأنتم مثلى.

فانصرفوا عنه .

وأخذ ربيعة امرأته ، وعاد إلى قومه .

قال المسعودى فى مروج الذهب :

ـ ولعمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ أخبار كثيرة وأشعار فى الجاهلية والإسلام ،

---

(١) المن هو الجراب .

إلى الشام وإلى العراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسائر بلاد[1] الإسلام ، وسياسات حسان ، وما كان فى أيامه من الكوابن[2] وفتوح مصر والعراق ، وغير ذلك من الأمصار .

وبهذه الكفاية ، انتهى قوله .

* * *

رجعنا إلى القصيدة وشرحها :

قوله :

فَمَاتَ مُشَيَّعًا حَمْدًا عَلَيْهِ دُمُوعُ الشَّهْمِ تَنْسَكِبُ انْسِكَابَا

يقول: فمات الإمام ناصر بن مرشد ـ رحمه الله ـ مشيعا حمدا ، أى شيع بالحمد ، وهو المدح ، وحصول المعنى الكلى ، أنه لا أحد من أهل الفضل تكلم بذمه فى محياه ومماته .

وعليه لما مات دموع كل شهم تنسكب انسكابا على فراقه ، اكتئابا .

ومراده بالشهم كل شهم ، فلفظة الواحد أراد بها الجملة المخصصة لمن له شهامة ، إذ الاعتبار بأهل الاعتبار لا بأهل غير الاعتبار، فإن موت الأخيار ترح[3] للأخيار، فرح للأشرار .

قوله :

بَكُوا أَهْلُ الهُدَى طُرًّا عَلَيْهِ وَمَنْ ضَلُّوا أَضَلُّوا الاكْتِرَابَا[4]

---

(١) كلمة بلاد غير مذكورة فى الأصل . (٢) الحادثات الكائنة .

(٣) الترح هو الحزن والأخيار جمع خير .

(٤) كذا فى الأصل بكوا أهل الهدى والصواب حذف واو الجماعة لولا ضرورة الشعر ، وطرا أى جميعا ، وفى الأصل ، أضلوا الاكتئابا ، وفى شرح البيت استعمل ابن رزيق لفظ الاكتراب بدل الاكتئاب مكررا ، مما يدل على أنه يريده .

هذا البيت لا يخفى على البصير الخبير ، أنه التفات لمعنى البيت الأول ، وتقرير لبيانه ، فإنه يقول فى البيت الأول :

فـات مشيعا حمـدا عليه دموع الشهم تسكب انسكابا

وفى هذا البيت يقول ، بكى أهل الهدى طرا عليه . . إلى تمامه .

أى لما مات هذا الإمام بكى أهل الهدى كلهم عليه ، بقوله طرّا ، فاقتضى قوله الكناية المخصصة ، كما ذكرنا أولا ، أهل التخصص بالهدى ، بقوله ، بكى أهل الهدى طرّا عليه ، وأخبر عن الذين سرهم موته فيه، وهم أهل الضلال ، فحصلت له المقابلة[1] بالأضداد فى البيت ، إذ الهدى ضدّه الضلال .

وقوله ، أضلوا الاكتراب ،أى،أن أهل الضلال الذين سرهم موت هذا الإمام غيبوا الاكتراب ، أى لم يحضروه لقلوبهم التى استحوذ عليها الشيطان الرجيم ، وتكاثف عليها الرين[2] الرّميم ، والاكتراب مصدر اكترب[3] ، والواو واو الاستئناف بقوله ، ومن ضلوا .

والمعنى الكلى لهذا البيت ، بكى أهل الهدى كلهم على هذا الإمام ، المسقى كأس الحمام ، ومن ضلوا عن الهدى أضلوا الاكتراب ، أى غيبوه عن قلوبهم ، لفرحهم الذى لهم حلا بترح أهل الهدى على فقد الإمام ، الحامى من الدين والإسلام .

القصـــة :

اتفق أهل العلم بالسير والتواريخ من أهل عمان ، فاختلفوا لفظا ، وائتلفوا معنى على أنه لما كثر فى عمان من جورتها الظلم والطغيان ، والبغى والعدوان ، وبلغت

---

(١) ويعنى بها الطباق ، وهو نوع من أنواع المحسنات البلاغية .

(٢) فى الأصل الران ، والصواب الرين بفتح الراء وهو الطبع .

(٣) اكترب وكرب بمعنى ، وهو الحزن يأخذ بالنفس .

جبابرتها غاية النهاية فى سلب أموال من ضعفوا من منازعتهم ومدافعتهم، فاصطلموا[١] أموالهم ظلما، وسفكوا دماءهم إثما، وفشت منهم الفواحش فى المخدّرات[٢]، ونما منهم سلب الأموال المحضورات، اجتمع أكابر الرستاق وعلماؤهم الحذاق[٣]:

فتشاوروا فى نصب الإمامة لمن يستحقها .

وكان قدوة أهل الرستاق[٤] يومئذ على الإطلاق الشيخ خميس بن سعيد الشقصى .

فانتظمت آراؤهم فى نصب الإمامة لناصر بن مرشد، فضوا إليه، وطلبوا منه ذلك، ورغبوه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فأجابهم بعد ما اعتذر عذرا طويلا .

فعقدوا له الإمامة فى عام أربع وثلاثين بعد الألف[٥] .

وكان مسكنه يومئذ بقصرى من الرستاق، والمالك لحصن الرستاق وقلعتها يومئذ مالك بن أبى العرب اليعربى .

فمضى إليه الإمام ناصر المذكور، ومن معه من رجال اليحمد وغيرهم .

فأخرجه من الحصن، واستولى عليه الإمام الأشد، ناصر بن مرشد .

ثم توجه إلى قرية نخل، وكان المالك يومئذ لنخل عمه سلطان بن أبى العرب، فحاصره أياما، ثم أخرجه من الحصن .

وصارت نخل فى طاعة الإمام .

---

(١) اصطلم بمعنى استأصل، والمعنى المراد نهبوا وأخذوا أموالهم .

(٢) المخدرات هن النساء المستورات، ويعنى بهن الحرائر من النساء، والخدر بالكسر ستر يمد فى ناحية من البيت .

(٣) جمع حاذق .

(٤) إحدى مدن منطقة الحجر الغربى .

(٥) أى عام ١٦٢٤ م

فلما رجع إلى الرستاق أتاه آت من خاصته ، فأخبره باستنكاف أهل نخل عنه ، وأنهم قد حصروا حصنها .

فمضى إليهم سريعا ، وقد اشتملت [1] عليه رجال المعاول وغيرهم ، فأذعن [2] له أهل نخل ، وعفا عنهم عما كان منهم من الاستنكاف [3] عليه .

فلما رجع إلى الرستاق أتاه الشيخ سليمان بن أحمد الرواحى فى جماعة من قومه [4] ، ورجال من أصحاب مانع بن سنان العميرى يدعونه إلى ملك سمايل .

فسار برجال من اليحمد وغيرهم .

فلما وصل إلى سمايل خلص له حصنها ، واتفق هو ومانع بمسيره إلى نزوى .

فترك بعض قومه عند مانع بن سنان العميرى المذكور ، ومضى ببقية القوم إلى نزوى ، ومعه الشيخ خميس بن سعيد الشقصى .

فلما وصل إلى وادى بنى رواحة اشتمل عليه الشيخ سليمان بن أحمد الرواحى ، ومن معه من رجال بنى رواحة .

فلما وصل إلى أزكى فتح حصنها بغير حرب ، وصحبه [5] رجال أزكى : يمن ، ونزار .

فمضى بالقوم إلى نزوى .

فلما وصلها التقاه [6] أهلها بالطاعة والكرامة ، وأدخلوه حجرة العقر ، فأقام العدل والإنصاف فى نزوى .

---

(١) أى أحاطوا به وناصروه وتبعوه
(٢) فى الأصل ، فأذعنوا له أهـــل نخل ؛ والإذعان هو الخضوع والانقياد .
(٣) الاستنكاف : الاستكبار
(٤) هم بنو رواحة .
(٥) فى الأصل ، وصحبته .
(٦) فى الأصل ، التقته .

ثم اجتمعت آراء رجال من بنى سعيد، وهم رؤساء العقر على إخراجه من العقر، والاستنكاف عن طاعته، فأخبر عنهم.

فلما تحقق معه ذلك، نفى من اجتمع على إخراجه منهم، ونهى عن قتلهم والبطش بهم.

فتفرقوا فى البلدان والتجأ جمهورهم إلى مانع بن سنان.

وقد كان مانع قد عاهد الإمام على اتباع الحق والإنصاف، فنقض العهد.

وفرقة منهم التجأت إلى بنى هناه، القابضين ببهلا، وكان رئيسهم يومئذ سيف بن محمد الهنائى، فأمر الإمام بتأسيس [1] حصن فى عقر نزوى، وكان قديما، قد بناه الإمام الصلت بن مالك، فانهدم.

فلما تم بنيانه أتاه أهل منح، يدعونه إلى إقامة العدل.

فمضى إليهم، وخلص له حصنها، وأظهر العدل فيها.

ثم رجع إلى نزوى.

فأتاه أهل سمد الشان، وكان المالك لها يومئذ على بن قطن الهلالى، فوجّه الإمام لها جيشا، أميره الشيخ مسعود بن رمضان، فافتتحها، وصار حصنها للإمام.

ثم أتاه أهل إبرا [2]، وكان المالك لها يومئذ محمد بن جفير بن جبر الجبرى، فبعث إليها بواعث، فافتتحوها له، ودانت له سائر الشرقية، وجعلان.

وأما صور وقريات، وما اعتلق عليهما من القرى الساحلية فهما يومئذ بيد برتكيس النصارى.

وكذلك مسقط والمطرح.

---

(١) فى الأصل بتسيس.

(٢) أكبر مدن المنطقة الشرقية.

ثم إن الإمام جهز جيشا إلى بهلا ، فلما وصل جيشه إلى قاع المرخ وحّش بكثرة القوم الذين اجتمعوا ببهلا عند سيف بن محمد الهنائى ، وكانوا جيشا عظيما ، كثير العدد ، من بنى هناه ، وحلفائهم ، ومن اعتلق [1] عليهم وشايعهم على حرب الإمام .

فرجع جيش الإمام إلى نزوى

ثم إن الإمام جمع رجالا كثيرة من الشرقية وجعلان وأزكى ونزوى ، فاجتمع معه جيش خضرم [2] ، وجعل الأمير عليه خميس بن رويشد الضنكى ، وأمره بالمسير إلى الظاهرة .

فلما وصلها فتح قرية فدى [3] ، فبنى حصنها القديم ، وانضاف [4] إليه أهل ضنك [5] ، ورجال القيالين والوحاشا .

فلما رجع خميس بن رويشد بوجود المطلوب إلى الإمام جعل الإمام يطوف على البلدان التى ملكها حتى وصل إلى سمد الشان ، ثم رجع إلى الرستاق ، ومعه رجال عدة من بنى ريام وغيرهم .

فلما مكث بالرستاق دلف محمد بن جفير الجبرى إلى قرية نخل ، ومعه من شايعه على حرب الإمام .

فحصر حصن نخل .

فلما سمع به الإمام مضى إليه ، وانضافت إليه رجال اليحمد والمعاول .

---

(١) اعتلق وتعلق بمعنى .

(٢) الخضرم الكثير من كل شىء ، وهو بكسر الخاء وسكون الضاد .

(٣) إحدى قرى وادى فدى ، وهو أحد أودية منطقة الظاهرة .

(٤) فى الأصل ، وانضافت .

(٥) واحدة من مدن منطقة الظاهرة ، وعندها وادفيه ماء وحوله الزراعات ، وبهاسمى أحد أودية الحجر .

فلما سمع محمد بن جفير بقدوم الإمام عليه انهزم وتفرق جمعه أيادي سبأ[1] .

فدخل الإمام نخل ، وفاته محمد بن جفير بانهزامه قبل وصوله إليه ، ولم ير الإمام من أهل نخل إلا الطاعة والإذعان إليه .

فلما رجع إلى الرستاق أتاه الشيخ خميس بن رويشد الضنكي ، فأشار عليه بالمسير إلى الظاهرة .

فجهز الإمام جيشا أميره أخوه جاعد بن مرشد .

فلما وصل جاعد إلى الصخبرى من الظاهرة انضاف إليه رجال من أهل السر والضحاحكة .

فلما أتى إلى الغبى ، وفيها يومئذ جمهور آل هلال ، ومعهم من الحضر والبدو خلق كثير ، فاستقامت الحرب بينهم على ساق .

فقتل جاعد بن مرشد أخو الإمام ، ورجع جيش الإمام بعد ما قتل جاعد إلى الرستاق .

ثم إن الإمام جمع جيشا كثير العدد ، ومضى بالجيش بنفسه ، ففتح عبرى[2] والغبى ، ورجع إلى نزوى .

وقيل : إن الإمام قد صحبه أخوه جاعد إلى الغبى ، فواقع بنى هلال ، وكانت بينهم ملحمة شديدة ، فقتل من قوم الإمام أخوه جاعد المذكور ، ومن سائر قومه بعض الرجال .

وقتل من بنى هلال وشيعتهم كثير .

فتحصن من بقى من الفئة الباغية فى حصن الغبى .

فمضى الإمام إلى عبرى ، فافتتحها ، ثم رجع إلى الصخبرى فأطاعه كل من عصاه ، ثم رجع إلى الغبى ، فحصر قابضى حصنها ، وهم آل هلال كما ذكرنا .

---

(١) أى تفرقة كبيرة

(٢) عبرى إحدى مدن منطقة الظاهرة .

فلما يئسوا من الانتصار طلبوا الصلح منه على خروجهم من الحصن، وما بأيديهم من السلاح ، فأنعم لهم بذلك .

فلما خرجوا من الحصن جعل واليا فيه من قبله الشيخ خميس بن رويشد .

وهذا الخبر أصح من الأول على ماسمعته من غير واحد من المشايخ المسنة من أهل عمان ، والله أعلم .

ثم إن الإمام مضى إلى بات[1] ، ففتحها ، وولى عليها الشيخ محمد بن أحمد الرستاق ، وجعل معه محمد بن سيف الحوقاني .

وأمر الإمام الوالى محمد بن أحمد أن يشاور الشيخ محمد بن سيف في أمور الحرب وسياساتها ، ورجع هو إلى نزوى .

ثم إن آل هلال أكثروا المغازى على القرى التي صارت فى حكم الإمام ، وكان مقامهم يومئذ بناحية الأفلاج من ضنك .

فسار إليهم خميس بن رويشد ومحمد بن سيف فالتقوا بالدير ، فانفض حزب آل هلال ، وأخذ الواليان إبل قطن بن قطن لينتصرا بها عليهم .

وحاصرا حصن قطن بن قطن ، وهو حصن شاهق ، بناه فى الأفلاج .

فركب قطن بن قطن إلى الإمام ناصر ناقته ، ففدى إبله بتسليم حصنه .

فأجابه الإمام على ذلك .

وسلم الحصن فأقام الإمام فيه واليا من طرفه .

ثم توجه خميس بن رويشد وحميد بن سيف إلى حصن مقنيات[2] بمن معهما من القوم ، وكان به وزير من قبل الجبور[3] .

---

(١) قرية من قرى منطقة الظاهرة ، وفيها آثار قديمة .

(٢) مقنيات إحدى مدن منطقة الظاهرة .

(٣) إحدى القبائل المدنية ، ومقرها سفالة سمايل وأزكى .

فلما حصروه جيشت الجيوش من بنى هلال ، البدو والحضر ، واشتملت عليهم أولاد الريّس ، فقصدوا مقنيات ، فأخبروا بكثرة قوم الإمام المحاصرى حصنها ، فمالوا إلى بات .

فخاف الواليان المذكوران عليهما ، فتركوا الحصار ، وقصدوا باتاً ، ولم يشعر بهم الجبور وأحزابهم إلا بهما ومن معهما قد هجموا عليهم .

فوقع القتال بينهم من صلاة الفجر إلى نصف النهار .

ثم انكشف جيش الجبور وكثر القتل فى أحزابهم .

فعن غير واحد : أنهم عجزوا عن دفن قتلاهم ، فكانوا يلقون السبعة والثمانية من قتلاهم فى حفرة واحدة ، وثبت الله المسلمين الاستقاميين .

فلما بلغ الإمام ذلك جهز جيشا ، ومضى به إلى بهلا ، فكان دخوله فيها ليلة عيد الحج ، فحاصرها شهرين إلا ثلاثة أيام .

ثم أقبل جمع للجبور نجدة لسيف بن محمد الهنائى .

فالتقاهم الإمام بمن معه من القوم ، فاقتتلوا قتالا شديدا .

فقتل من رؤساء الجبور قاسم بن مذكور الدهمشى ، وقتل معه من قومه خلق كثير .

فرجع من سلم منهم هزيما إلى الظاهرة ، وبقى سيف بن محمد الهنائى ومن معه فى الحصن محصورين .

فلما طال عليهم الحصر سلم سيف الحصن إلى الإمام ، فأقام الإمام واليا فيه من[1] طرفه ، ورجع هو إلى نزوى ، ثم هبط إلى سمايل لمحاربة مانع بن سنان العميرى .

فلما سمع مانع بتوجهه إليه خافه الامتناع .

---

(١) لفظ من زيادة من المحقق .

فصالحه على ألا يخرجه من حصنه ، بل يكون فيه تابعا للحق .

فأجابه الإمام على ذلك .

ثم إن الإمام أمر ببناء حصن سمايل القديم ، فلما تمم بنيانه ولّى فيه الشيخ محمد بن إبراهيم .

ورجع نزوى ، فلما وصلها جهز جيشا إلى مقنيات ، وسار بالجيش بنفسه .

فلما وصلها وقعت بينه وبين البغاة المستولية على حصن مقنيات حروب شديدة ، فنصره الله عليهم فما لبثوا فى حصنهم إلا ثلاثة ايام .

فلما فتحه جعل واليا فيه من قبله محمد بن على بن محمد .

ولم يزل سعيد الخيّالى وجماعته مسرين البغضاء والعداوة للإمام ، ويكاتبون الجبور حتى أدخلوهم قرية الصخبرى ، فقتلوا رجالا من الضحاحكة ، وناساً من شراة الإمام .

فلما بلغ الوالى محمد بن سعيد ما فعلوه وثب عليهم من مقنيات بمن معه من القوم ، فدخل الغبى من غير علم من الفئة الباغية به .

فوضع فيهم السيف ، وأكثر فيهم القتل ، فتفرق هزيمهم فى الفيافى [1] ، ومنهم من قصد ينقل [2] ، وحصنها يومئذ بيد ناصر بن قطن الجبرى .

ورجع الوالى محمد بن سعيد إلى مقنيات .

ثم إن ناصر بن قطن جعل يكاتب سيف بن محمد الهنائى سرا على نكث العهد بينه وبين الإمام فأجابه سيف على ذلك .

فجمع أقواما كثيرة من البغاة فدخل بهم نزوى .

---

(١) الفيافى جمع فيف بسكون الياء ، وهى الصحارى .

(٢) إحدى مدن منطقة الظاهرة .

ولم يخل من بعض أهل نزوى الدخول فى شأن سيف بن محمد للاستنكاف عن الإمام .

فاحتووا العقر وحصروا الإمام فى حصنها ، وأحاطوا بالحصن من كل جانب ، وعزموا أن ينقبوا جدار الحصن ليدخلوا على الإمام ومن معه .

فبينما هم على ذلك إذ جاءت رجال من أزكى وبهلا وبنى ريام ، أهل الجبل الأخضر ، نصرة للإمام .

فنازل بهم الإمام الفئة الباغية ، فنصره الله عليهم ، فقتل من قتل منهم ، وهرب من سلم من القتل على وجهه ، طائش قلبه وعقله .

فاشتدت شوكة الإمام ، وسرت هيبته فى عمان فوق الهيبة الأولى ، شرقا وغربا فى عمان وغيرها .

وأشار عليه[١] أهل العلم والحلم بهدم حصن مانع بن سنان العميرى .

فجهز جيشاً كثير العدد فمضى به إلى سمايل .

فلما علم مانع بذلك ترك حصنه خاليا ، وانهزم إلى فنجا[٢] .

فلما وصل الإمام إلى سمايل هدم ذلك الحصن .

فلما علم مانع بذلك هرب من فنجا إلى مسقط .

فلاذ بالنصارى القابضين معاقل مسقط .

ثم إنه فارقهم ، فهرب إلى لوى[٣] صحار ، فلاذ بمحمد بن جفير

فلما رجع الإمام إلى نزوى جهز جيشاً كثير العدد لبلاد سيت[٤] من قرى بنى

---

(١) فى الأصل ، وأشارت إليه أهل العلم .

(٢) بلدة فى وادى سمايل ، تقع إلى الجنوب من السيب .

(٣) بلدة تقع على الساحل شمالى صحار .

(٤) سيت قرية تقع فى الناحية الشمالية بين تنوف ونجد البرك .

هناه السيفيمة ، وجعل أميراً على ذلك الجيش الشيخ عبد الله بن محمد بن غسان ، مؤلف كتاب « خزانه الأخيار فى بيع الخيار » .

فلما وصل جيش الإمام بلادسيت خرج سيف الهنائى من الحصن هاربا على وجهه.

وأمر الشيخ عبد الله بن محمد بهدمه .

وأتى سيف الهنائى إلى الإمام يستقيله[1] من جنايته ، فأقاله بغير معاقبة .

فلما رجع الشيخ عبد الله بن محمد إلى الإمام جهز الإمام جيشاً لمحاربة ناصر ابن قطن ، وكان ناصر يومئذ بينقل وفى يده جلّ[2] البلاد وعقدها .

فمضى إليه ومعه الشيخ العالم خميس بن سعيد الرستاقى الشقصى .

فلما وصل إلى ينقل حصر حصنها أياما يسيرة ، ثم فتحه ، فجعل فيه والياً من قبله الشيخ بجاد بن محمام العبرى ، وأمره بالعدل والإحسان للرعية ، ورجع إلى نزوى، وقيل إلى الرستاق .

ثم جمع أقواما ، وجعل عليهم الأمير الشيخ عبد الله بن محمد بن غسان الكندى النزوى ، المقدم ذكره ، وأمره بالمسير إلى توام الجوف ، المعروفة بالبريمى .

فلما وصل بجيشه إلى ضنك صحبه الشيخ خميس بن رويشد الضنكى ، وحافظ ابن جمعة الهنوى ، ومحمد بن سيف ومحمد بن على ، ومن معهم من القوم .

فلما وصلوا إلى توام[3] وقع بينهم وبين الفئة الباغية قتال شديد ، فنصر الله أهل الاستقامة عليهم ، وصارت توام فى طاعة الإمام بعد طاعة الله العلام .

وولى الشيخ عبد الله بن محمد أحمد بن خلف ، وملكه زمام حصنهـا ، وأمره بالعدل والإنصاف بين الرعية .

---

(١) أى يطلب منه الإقالة ويسأله الصفح والعفو والمراد بالجناية الذنب .

(٢) جل البلاد أى أكثرها . (٣) اسم قصبة عمان مما يلى الساحل وصحار .

فلما رجع الشيخ عبد الله بن محمد إلى الإمام وقع شقاق بين الجبور لما قتل محمد ابن جفير ، فأقوى بذلك قوى بنى هلال ، وأشرف نظام عقدهم إلى الانحلال .

وقال لسان الحال ، مع الزيال أنقرضت دولة البغى والشماس[1] ، وتلك الأيام نداولها بين الناس .

وكان المالك منهم يومئذ لحصن لوى سيف بن محمد بن جفير .

فكتب الوالى محمد بن على إلى الإمام بما جرى بين الجبور من النفور .

فلما بلغ كتابه الإمام كتب الإمام إليه ، أن أحرب حصن لوى ، وشدد الحصر عليه .

فلما وصل كتابه إليه جمع رجالا كثيرين[2] ومضى بهم إلى لوى ،فأحاط بسيف ابن محمد بن جفير ، وحصره فى حصنه أشد حصرا .

وأما أخوه سيف المذكور ووزراؤه ، لعـــدم الانتصار ، لجأوا إلى النصارى بصحار ، فكانوا هم ومانـع بن سنان العميرى يغزون أصحاب الإمام الحاصرين حصن لوى .

وجعل أبناء محمد بن جفير يسعون فى الصلح غدرا ، ويمدّون شيعتهم المحصورين فى حصن لوى بالطعام وآلة[3] الحرب .

فلما علم بذلك الوالى محمد بن على بعث جواسيسه ليلا ، فوجدهم مجتمعين بالمنقل مما يلى جنوب الحصن على ساحل البحر .

فلما أخبروا محمد بن على عن شأنهم ، وماسمعوه من لسانهم ركض عليهم برجال

---

(١) أى الامتناع .　　　(٢) فى الأصل ، رجالا كثيرة .

(٣) من الزاد والسلاح .

الجلاد ، وضياغم [١] الجهاد ، فناجزهم بالبيض والسمرّ الصعاد [٢] ، فقتل منهم جملة ، وتفرق من سلم منهم من القتل أيادى سبأ .

فلما رجع إلى المعسكر شدد الحصار على الحصن ، والنف معه على الفئة الباغية ناصر ابن قطن ، ورجال العمور .

فلما طال على سيف بن محمد الحصار ، وتعذر إليه الانتصار سلم الحصن لوالى الإمام ، محمد بن على .

فكتب محمد على للإمام بفتح الحصن ، ثم مضى إليه .

فشكر الإمام صنيعه ، وأمره بالرجوع إلى لوى ، وبشدة الحرص ، لئلا يغفل عن مكر الفئة الباغية .

فلما رجع امتثالا للإمام حشد الإمام جيشا كثيرا ، وجعل عليه أميرا ، مسعود ابن رمضان ، وأمره أن يقصد بالجيش إلى مسقط لمحاربة النصارى .

فلما مضى به أقام ببئر الرّولة [٣] من بلدة المطرح .

فدارت رحى الحرب بين المسلمين وبين النصارى ، فنصر الله جيش الإمام ، فهدموا من المطرح ومسقط بروجا باذخة ومبانى شامخة ، وقتل من المشركين خلق كثير .

ثم إن النصارى طلبوا الصلح ، فصالحهم مسعود بن رمضان على فك ما بأيديهم من أموال العمور والشيعة الساكنى صحار .

فأذعنوا بالطاعة وآمنهم على ذلك ، وأخذ منهم العهود على الوفاء .

---

(١) جمع ضيغم وهو الأسد ، والمراد الشجعان . (٢) أى السيوف والرماح .

(٣) الرولة شجرة معروفة .

ورجع إلى الإمام ، فأخبره الخبر كله ، فشكر صنيعه .

ولم يزل مانع بن سنان العميرى كامنا العداوة للإمام ، قادحا [١] فى ملكه ، وفساد دولته .

فاستأذن مداد بن هلوان الإمام فى قتل مانع بن سنان بالخديعة ، فأذن له .

فجعل مدّاد يكاتب مانع بتسليم حصن لوى إليه ، وأطمعه بلطف كلامه فى ذلك .

وكان الوالى بحصن لوى من قبل الإمام يومئذ حافظ بن سيف ، ومداد هو المتقدم على عسكر الوالى حافظ كلهم .

وفى كل كتاب يبعثه لمانع فيه تلطف ، وإظهار مودة منه له ، وأيمان [٢] مكررة .

ففرح بذلك مانع فرحا شديدا ، وكان مسكنه فى ذلك الزمان فى قرية دبا [٣] .

فأتى إلى صحار ، فمكث بها أياما ينتظر ماوعده به مداد .

وجعل مداد يجدد له على الوعد المعهود ، ووقت له إنجاز الوعد فى ليلة معلومة .

فأجابه مانع على ذلك .

فلما كانت تلك الليلة أخبر مداد الوالى الخبر على التمام .

ففرق الوالى العسكر فى تلك الليلة يدورون فى البلاد لقبض مانع وقتاله إذا قاتلهم ، وكمنوا له فى مشرق البلاد وغربها ، وسهيلها [٤] ونعشها .

فبينما هم بذلك إذ أقبل مانع ومن معه من الرجال ، فتصايحوا [٥] عليه ، وثارت

---

(١) القدح هو الذم والسب .

(٢) جمع يمين ، وهو القسم الذى يحلف به لتوكيد الكلام .

(٣) قرية تقع على الساحل عند نهاية وادى القلدى .

(٤) فى الأصل ، سهيليها ، ولعل المراد ، سهلها ، والنعش والنفش بمعنى المنع ، والمراد الأرض الصحراوية التى تمتنع عن سالكها .

(٥) أى تنادوا .

عليه الكوامن [١] ، فأحاطوا به، وأوقعوا السيف فى شيعته، فقتلوا منهم رجالا عدة، وأخذوه هو أسيرا .

فلما كان حذاء[٢] الحصن قتل صبرا[٣]

فكتب الوالى حافظ بن سيف للإمام عما جرى على مانع بن سنان وشيعته من الشأن .

فلما وصله كتابه شكر صنيعه .

ثم إن الإمام جمع جيشا لحرب جلفار[٤] ، المعروفة بالصير ، وجعل أميره على ابن أحمد ، ومعه عدة رجال من بنى يعرب .

وكان ملك جلفار الصير يومئذ ناصر الدين العجمى ، وعنده عدة من عساكر العجم .

فلما وفد عليهم على بن محمد بالأجناد جالدهم بالسيوف وطاعنهم بالرماح ، وتفاقم بينهم الضراب والطعان، فثبت الله قدم المسلمين الاستقاميين ، ونصرهم على أهل الخلاف.

فحصروهم فى حصن جلفار وسائر بروجه .

وكان لهذا الحصن المذكور برج خارجة ، جدرة من جدره العليا ، وبه فئة من عسكر ناصر الدين ، وللنصارى سفن تدافع بمدافعها المسلمين ، وتذودهم برصاصها عن الحصن الحصين .

فلما كانت ذات ليلة حالكة الجلباب [٥] ركض[٦] المسلمون على البرج المذكور ،

---

(١) جمع كامنة ، والمراد القدم الذين يكمنون له . (٢) أى قبالته .

(٣) أى حبس ورمى بالحجر حتى مات .

(٤) جلفار الصير هى رأس الخيمة ، الإمارة المعروفة .

(٥) الجلباب هو الثوب ، والمراد شديدة السواد والظلمة .

(٦) فى الأصل ، ركضت المسلمون .

دخلوه، ومن وجدوه فيه قتلوه ، ثم مالوا على الحصن المشيد بالجبال الحديد ، فاصطلموه بعون القادر الحميد .

فلما خلص الحصن للإمام جعل الشيخ على بن محمد والياً فيه من قبل الإمام العنبورى عبد الله بن محمد .

وكان بجلفار حصن ثان[1] للنصارى على ساحل البحر ، فشب أهله نار الحرب على المسلمين .

وأقبل خميس بن مخزوم الدهشى بعدة وعدد ، نصرة للإمام .

فلما انضافوا إلى عبد الله بن محمد العنبورى سر قدومهم قلب على بن محمد ، فأمر ببناء حصن مقابل حصن النصارى .

فلما تم جنح[2] النصارى إلى السلم .

فسلموا حصنهم إلى الوالى على بن محمد ، فترك فيه بعض رجاله ، ومضى هو إلى نزوى .

فشكر الإمام أفعاله ، وأمره بالرجوع إلى جلفار بالعدل والإنصاف بين الرعية .

فامتثل أمره ، ورجع إلى جلفار ، ووضع ميزان العدل بين الرعية .

ثم إن الإمام كتب إلى حافظ بن سنان والى لوى ، أن يمضى إلى صحار ، ويبنى بها حصنا شديدا .

فلما وصله الكتاب شرع فى جمع جيش لهام[3] .

فاشتملت عليه من بنى خالد والعمور وبنى لام جنود كثيرة ، وكان قبل ذلك

---

(١) فى الأصل حصن ثانى ، والصواب حذف ياء الاسم المنقوص فى حالة الرفع .

(٢) فى الأصل ، جنحت النصارى ، والمعنى مالوا إليه .

(٣) اللهام بضم اللام هو الجيش المعظم .

من أهل صحار رجال جمة يكاتبون الإمام على حرب المشركين،وأنهم إليه كالسيف والكف اليمين .

فلما مضى إليها حافظ بات بالعق [١] ، وانحدر إلى صحار فى أول النهار ، وكان ذلك الشأن آخر شهر المحرم سنة ثلاث وأربعين بعد الألف [٢] .

فأقام بالبدعة ، فاشتدت الحرب بين المسلمين والمشركين ، وتواترت بينهم الحملات والدلفات حتى تفرقت المرافق بالبوارق ، وتخرقت الصدور بالعواسل [٣] والبنادق .

فجعل [٤] المشركون يضربون [٥] المسلمين من الحصن برصاص المدافع حتى تأخروا من المكان الذى أقاموا به إلى مكان ثان غير بعيد من الحصن .

وجاءت رصاصة من مدفع حصنهم فأصابت الشيخ راشد بن عباد ، فمات شهيدا ، رحمه الله .

ثم إن الشيخ حافظ بن سنان شرع فى بنيان الحصن حتى أتمه ، ولم يزل يزلزل النصارى بوقائعه ، ويقطع أصولهم وفروعهم بقواطعه .

وقد بعث الإمام الشيخ خميس بن سعيد الرستاقى إلى حرب من بمسقط من النصارى .

فلما وصل إلى قرية بوشر [٧] أتاه [٨] رسل نصارى مسقط تريد منه الأمان .

فسار بقومه حتى أناخ بأرض المطرح .

---

(١) فى الأصل ، بات بالممق ، والصواب العق ، وهو أحد أودية المنطقة الشرقية .

(٢) الموافق ٨ أغسطس سنه ١٦٣٣ م (٣) العواسل جمع عاسل ، هو الرمح .

(٤) فى الأصل ، فجعلت المشركون . (٥) فى الأصل تضرب .

(٦) فى الأصل ثانى ، وصوابه الحذف لياء المنقوص فى حالة الجر .

(٧) إحدى قرى منطقه مسقط . (٨) فى الأصل ، أتته رسل . . .

فأتاه[1] أكابر نصارى مسقط بالطاعة والإذعان .

فصالحهم على فكّ ما قبضت يدهم من مسقط والمطرح من المعاقل الخارجة من السور ، وعلى رفع السيف عنهم من فئة الإمام ، وعلى السياق لسوقهم ما يشتهونه من الأمتعة المحلل بيعها .

فلما تم[2] بينهم العقد على ذلك رجع إلى الإمام ، فشكر سعيه .

ثم إن الإمام أنفذ إلى صور جيشا كثير العدد ، والأمير على ذلك الجيش الشيخ مسعود بن رمضان الرمضانى[3] . فلما وصلها حصر حصنها حصرا شديدا أياما ، ثم فتحه .

وسار بالجيش إلى قريات[4] ، وكان بها حصن للنصارى ، فبنى مسعود حوله حصنا ، فانحصر[5] النصارى حصرا . فلما تجرّعوا مرّ المرام سلموا الحصن إلى أمير جيش الإمام ، الشيخ مسعود بن رمضان .

وما أبقى مسعود للنصارى معقلا إلا أخذه ، ما خلا مسقط والمطرح .

فلما رجع إلى الإمام شكر سعيه ، وأثنى عليه .

ولم يزل ناصر بن قطن يغزو أطراف عمان ، ويدلف إليها من الحساء[6]

---

(١) فى الأصل ، فأتته .   (٢) الفعل تم زيادة من المحقق .

(٣) يروى ابن رزيق فى كتابه الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيدين ، أن الأمير على هذا الجيش هو سلطان بن سيف بن مالك اليعربى ، ابن عم الإمام .

(٤) مدينة ساحلية فى منطقة الحجر الشرقى .   (٥) فى الأصل ، فانحصروا النصارى .

(٦) الحساء والأحساء بالقصر والمد مقاطعة شمال شرق المملكة العربية السعودية ، تعرف بالمنطقة الشرقية وتشرف على الخليج العربى فى الشرق ، وتلتقى بالربع الخالى فى الجنوب وتمتد إلى نجد فى الغرب ، وتقع على حدودها الشمالية دولة الكويت ، وتشتهر الحساء بعيونها المائية الكثيرة ، وبعضها ساخن المياه ، وكانت قاعدتها الهفوف ، ثم نقلت إلى الدمام بعد اكتشاف النفط ، وسكانها بدو وحضر ، وأشهر قبائلها العجمان وآل مرة وبنو خالد .

بالركائب والركبان ، يسلب من بواديها كرائم العيس[1] ، ويقتل من قدر عليه ، رئيسا كان أو غير رئيس .

ثم يرجع إلى الحسا .

فلما تواترت منه الغارات ، وتفاقمت منه الهلفات كتب الإمام إلى محمد بن سيف الحوقانى بالتجسس عنه ، فإذا علم بقدومه إلى عمان فليسعل دونها بالأبطال والشجعان.

فلما وصله كتاب الإمام بعث جواسيسه إليه .

فلما أخبرته بقدومه سار إليه بجيش جرّار ، من بدوى وحضرى .

فلما علم ناصر بذلك انحصر فى حصن الظفرة ، وقد حماه[2] رجال من بنى ياس[3] ، فحصره محمد بن سيف فى حصن الظفرة حصرا شديدا .

فجعل ناصر يبعث رسله إلى محمد بن سيف يطلب منه الأمان ، وليرجع ما أخذه من عمان إلى ربعه .

فصالحه محمد بن سيف على ذلك لعدم الزاد ، وابتعاد البلاد

فلما رجع إلى نزوى ، وأخبر الإمام عما كان بينه وبين ناصر بن قطن فقال له :

ـ الخير فيما وقع ، ارجع بسلام ، وضع ميزان العدل بين الرعية ، ولا تستعمل للفئة الباغية التقية .

فامتثل أمره ، ورجع إلى ولايته .

ثم تواترت عن ناصر بن قطن أخبار صحاح ، على أنه جمع رجالا من الظفرة ليصطلم بهم حصن الجوف من توام[4] .

---

(١) العيس هى الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . .

(٢) فى الأصل ، وقد حمته .

(٣) بنوياس قبيلة عدنانية النسب مقرها منطقة لوى ومراعى الظفرة وأبوظبى ودبى والعين.

(٤) هى المعروفة بالبوريمى .

وكان والى حصنها يومئذ من قبل الإمام أحمد بن خلف الجشمى [١]

ولما دلف ناصر إلى توام أعانه [٢] بغاة [٣] توام على حرب والى الإمام، فأطاعوا شيطانهم المريد [٤]، وأعانوا ناصر العنيد، فحصروا الوالى بكثرة العدة والعديد فى الحصن المشيد.

ثم أتت والى الإمام جنود من الباطنة والظاهرة نصرة للإمام.

فركض بهم الوالى أحمد بن خلف على الفئة الباغية، فنصر الله المسلمين على الناكثين [٥].

فقتلوا منهم رجالا جمة، وانهزم من سلم منهم من القتل هاربا على وجهه.

ثم أتى الشيخ عبد الله بن محمد الكندى والى الإمام بنزوى بجيش خضرم.

فلما فاته جلاد جيش الناكثين هدم حصون الجوف كلها، ولم يبق بتوام حصن ما خلا حصن الإمام.

وكان عبد الله بن محمد المذكور كبير ولاة الإمام كلهم على المشهور.

ولما نأت [٦] فئة الطغاة عن توام، ورجع عبد الله بن محمد إلى الإمام تفرقت شيع ناصر بن قطن فى البلاد، فلجأ هو مع النصارى بصحار، والتأم به عمير بن محمد.

وذهبت طائفة منهم بالفرار إلى عقبة جلفار، فكانوا يقطعون السبيل، ويكثرون من السلوبة والمسلوب العويل.

وجعل يغازيهم الوالى محمد بن خلف [٧].

---

(١) يذكر ابن رزيق فى كتاب الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين، أن الوالى يومئذ هو محمد بن خلف الشقصى.

(٢) فى الأصل، أعانته. (٣) جمع باغ. (٤) المتمرد العاتى.

(٥) جمع ناكث، وهو الناقض لعهده. (٦) أى بعدت.

(٧) سبق أن ذكر المؤلف اسم المؤلف أحمد بن خلف، ولعل فيما ذكره وأولا تحريفا، كما سبق التنويه عنه.

وغزا ذات مرة ناصر بن قطن الباطنة، فأخذ جملة من إبل بنى خالد و بنى لام[١]، وسلب كثيرا من الحلى والكساء من النساء .

ثم رجع إلى الحساء .

وغزا ثانية عمان ، فقصد طريق ساحلها .

فلما شاع خبره إلى الإمام أنفذ إليه جيشا أميره على بن أحمد العبرى[٢] ، ومعه أحمد بن بلحسن البوشرى ، ومحمد بن الصلت الريامى ، ومراد بن راشد .

فصادف جيشهم جيشه بأرض لوى ، فكشفوه .

ثم مال بجيشه إلى مجيس ، فكشفه على بن أحمد العبرى .

فلما تنضّد[٣] جيشه من اليمين[٤] والشمال قصد ببقية قومه أرض الخروص[٥] من ناحية الشمال ، فلحقه أحمد بن بلحسن ومراد بن راشد ، ومن معهما من القوم .

فوقع بينهم القتال فى أرض الخروص ، فوقع القتل فى المسلمين ، ولم يسلم منهم أحد .

فلما وصل جيش الإمام ، ورأوا أصحابهم صرعى ، وقد فاتهم العدوّ دفنوا أصحابهم ، وصلوا عليهم ، ورجعوا إلى الإمام .

فأخبروه بما جرى على قومه من الفئة الباغية .

ثم إن محمد بن عثمان ، ويسمى حميد بن عثمان غزا بلاد السرّ ، والوالى يومئذ عليها محمد بن سيف الحوقانى ، وبها يومئذ سعيد بن خلفان .

---

(١) كلمة بنى زيادة من المحقق .

(٢) ذكر المؤلف الاسم فيما رواه عن هذا الجيش فى كتابه الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ، أنه على بن محمد العبرى ، وأن الأمير على هذا الجيش هو على بن أحمد العلوى، وكان على بن محمد العبرى أحد معضديه ومعاونيه .

(٣) أى جمعه . (٤) فى الأصل اليمن . (٥) فى الأصل ، الحروس بالسين .

فطلب من محمد بن عثمان المواجهة[1] ، فتواجها بمسجد الشريعة ، فأسر . وسأله الوالى محمد بن سيف أن يرد ما أخذه ، فأبى ، فأمر عليه بالقيد ، فقيد فى حصن الغبى .

وقيل : إنه لما غزا أرض السر بعث إليه الوالى محمد بن سيف رجالا على نياق سباق .

فلما صادفوه أحاطوا به عن يمين وشمال ، فأسروه ، وأتوا به إلى الشيخ محمد ابن سيف ، فسأله أن يرد ما كسبه ظلما .

فأبى .

فأمر بقيده .

فقيد فى حصن الغبى .

ومضى محمد بن سيف إلى الإمام ، فوجده فى الرستاق ، وهذا الخبر أصح من الأول ، والله أعلم .

فلما أخبر محمد بن سيف الإمام عن الموضوع والمحمول ، والفروع والأصول من قبل محمد بن عثمان المكبول[2] أمر الإمام بالمامه إليه .

فلما حضر لديه أمر بحبسه فى سجن حصن الرستاق .

فلبث فيه شهرا ، ثم توفى .

ثم إن الإمام جهز جيشاً كثير العدد ، وجعل الأمير عليه سعيد بن خلفان ، وعضده بعمير بن محمد بن جنير ، وأمره أن يمضى بالجيش إلى الظفرة لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالى .

فلما مضى التقاه[3] بنو ياس برجال كثيرة بموضع يسمى ، الشعب ، قريب من

---

(١) فى الأصل ، المواجه ، والمواجهة اللقاء والمقابلة .

(٢) أى المقيد . (٣) فى الأصل ، التقته .

الظفرة ، فتصافحوا بالصِّفاح[١] ، وتخاطبوا بالرماح ، فسجدت حينئذ الجباه بالمشرفية[٢] ، وخرّت الأذقان بالسمهرية[٣] .

وكان لبنى ياسر يومئذ الرئيس سقير بن عيسى ، وأخوه محمد بن عيسى ، ومن قومهما جملة رجال .

وقد فاتهم إبل ناصر بن قطن ، فلم يروا لها أثرا .

فرجعوا إلى الإمام ، وأخبروه الخبر كله .

فحمد سعيهم ، وشكر صنيعهم .

ثم أمر الإمام سعيد بن خلفان أن يمضى بمن معه من الرجال على نياق سباق ، لأخذ إبل ناصر بن قطن المذكور ، وقال له الإمام : التمسها بدعقس ، وهو مورد بالظفرة .

فلما مضى إليها وجدها سعيد بن خلف سائمة فى ذلك المكان .

فلما اخذها سعيد تركها عند عمير بن محمد أمانة ، وحذّره الخيانة .

فلما رجع سعيد ترك عمير الإبل التى استأمنها عند أخيه على بن محمد .

فخان الأمانة وأرسل الإبل إلى ناصر بن قطن .

فمازال ناصر يغزو بها أطراف الظاهرة .

فأوحشها بآفاته ودلفاته .

ثم دلف دلفة أخرى ، فأقام بقليب دعقس ، فبعث الغارات على الظاهرة .

---

(١) أى تقاتلوا بالسيوف العريضة .

(٢) هى السيوف ، ومنها ماكان يصنع فى قرى على مشارف الشام من أرض العرب تدنو من الريف ولذا سميت مشرفية .

(٣) هى الرماح الصلبة ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى سمهر زوج ردينة ، وكانا من المثقفين للرماح ، أو نسبة إلى بلدة بالحبشة .

فلما شاع خبره للإمام بعث عليه جيشا ، أميره سيف بن مالك اليعربى ، ومعه من مشاهير جماهير العرب حزام بن قمقام ، وسيف بن أبى العرب .

فهجم عليه أول الرؤساء حزام بن قمقام فتفلّقت من أحزاب ابن قطن الجماجم ، وتخرقت بالطعان منهم الأكباد ، والغلاصم [١] .

فنصر الله أحزاب الإمام على القوم الباغين .

فقتل ناصر بن قطن مع أحزابه أجمعين ، وما سلم منهم أحد ، وقيل ، بُعداً للقوم الظالمين .

فلما قتل ناصر بن قطن ومن معه رجعت أحزاب الإمام إلى أوطانها ، ونما بعد الخوف أمانها ، وانطفأت من البغاة النائرة [٢] والشرور ، ونما لعمان السرور .

وقد خلص بعد ذلك للإمام حصن صحار ، من يد النصارى بالحصار .

ولم يبق بعمان وأطراف عمان لأهل الضلال أفياء [٣] ظلال ، ولا لأخذ يمينهم والشمال أرقال [٤] مُشمعلّة [٥] شملال [٦] حتى قال الشكور لله الغفور ، لما عم عمان من أمان الإمام الذى له النور ، بلدة طيبة ورب غفور ، ولم يبق من المقطبين بوجه عبوس ، المستنكفين عن طاعة الإمام ، المؤيد بالناموس [٧] ، بقلع مسقط والمطرح غير النصارى الطموس [٨] .

---

(١) جمع غلصمة بفتح الأول وسكون الثانى ، وهى اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الحلقوم .
(٢) النائرة والنايرة الشر .
(٣) الأفياء جمع فىء كفيىء ، وهو الأصل أو الأثر .
(٤) الأرقال جمع رقلة جمع تكسير ، والرقلة هى النخلة فاتت اليد .
(٥) اشمعل أى أشرف ، والمشمعلة الطويلة .
(٦) الشملال بالكسر كالشمال ضد اليمين .
(٧) الناموس هو صاحب السر المطلع على باطن الأمر ، أو صاحب سر الخير .
(٨) طمس الشىء إذا استؤصل أثره .

فإنهم ما برحوا فى الحصرة فى حسرة ، وبالفكرة فى فترة ، يلوكون ضريع[١] النكال ، بأسنان كلال[٢] ، ويرتشفون سم صِلال[٣] الزئال[٤]، بالغدو والآصال[٥]، وكل واحد منهم بسم حيات الجباة تكاد نفسه تغيظ ، ويأتيه الموت من كل جانب، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ .

يلقون السمع إلى الذعر الدالف إليهم ، يحسبون كل صيحة عليهم ، يخاطبهم لسان الحال فى الغدو والآصال ، إذا تملوا بالعديد والآلات المُعدّدة ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة .

ألا إنما الشرك شرك ، لا يرى الكافر له به النجاة والمفورة ، قتل الإنسان ما أكفره ، فهم إذا نظروا راداً أو أصيلا لم يروه إلا ظلاما مستحيلا .

يقول لسان حالهم إذا أخذت أضواء أعينهم الطامورة[٦] الهمّ التى بظلماتها تمور ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

فهم إذا اضطجعوا على الديباج استحال شوك القتاد[٧] ، فأنّى لهم بالرقاد ، وإذا قضموا سكّر الأهواز[٨] استحال هبيدَ حنظل الأقوار[٩]،فأنى لهم بمرىّ المراد.

(١) الضريع والضرع بمعنى ، وهو ثدى الحيوان ، وناقة ضريع غطيمة الضرع ، ويلوكون أى يمضغون فى شدة .

(٢) الأسنان الكلال الضعيفة التى لا تقطع .

(٣) الصلال جمع صل بالكسر والتضعيف ، وهو الحية الصفراء .

(٤) فى الأصل ، الزبال ، والزئال هو ميل الشمس عن كبد السماء .

(٥) الآصال جمع أصل بضمتين وهى العشى .

(٦) الطامورة أى المرتخية .

(٧) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبر ، والديباج الحرير .

(٨) الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منهم اسم ، ويجمعها الأهواز ، لا مفرد لها .

(٩) الهبيد هو الحنظل والأقوار شجر مر .

وبالجملة لو دبّت على أحدهم رجل نملة على اليسار أو اليمين توهمها من الذعر كركدنّ[1] الصين .

وأما عمان بأمان الإمام المؤيد ، ناصر بن مرشد تجرّ وشائعها[2] الشائعة بالأنوار ، وتسرى دقائق أسرارها بأنواع أنوارها ، إلى الدانية والشاسعة[3] من القرى والأمصار .

يقول لسان حالها ، والحديث ذو شجون[4] ، لمثل هذا فليعمل العاملون .

فلله دره[5] من إمام عادل ناسك ، له فى ملاحب[6] الفضل مشاعر ومناسك ، وناهيك مِن ولىّ قد أحيا الهدى بصالح الأعمال ، وأمات بعدله جرثومة البغى والضلال .

يقول الناسك إذا نأى أو دنا منه ، رضى الله عنه ، وكفى عما فى الصدور من حمده فى السطور .

كيف لا ، ونخره بعد وفاته كفخره أيام حياته شعرا :

إنّمـــا الأولياء يَشْرُقُ فى المحْيَا … لَكَ اللّهُ ، نُورُهُم والمماتِ[7]
عمرُوا الشرقَ والمغارِبَ بالعَدْ … لِ فأضفَوا البلادَ بالبركاتِ
إنّما ناصرُ بنُ مُرْشِدٍ قد حَا … زَ ثناء فى موْتِهِ والحيـــاةِ
فى صُدُورٍ فى سطُورٍ لهُ حَمْـــدٌ … أنارَتْ بِهِ ثُغُورُ الثّقَاتِ[8]

---

(١) الكركدن حيوان عظيم ، وفى القاموس المحيط ، الكركدن دابة تحمل الفيل على قرنها .

(٢) الوشائع جمع وشيعة وهى كل لفيفة . (٣) أى القريبة والبعيدة .

(٤) كلمة ذو زيادة من المحقق ، والحديث ذو شجون أى فنون وأنواع .

(٥) الدر هو اللبن ، ولله دره ، أى عمله .

(٦) الملاحب جمع ملحب وهو الطريق الواضح .

(٧) أى أن أولياء الله يشرق نورهم فى الحياة وفى الموت ، فلهم الله .

(٨) الثغور جمع ثغر وهو الفم ، أو البلد .

فلله دره ، عاش تقيًا ، ومات وليًا ، فعنه أهل الاستقامة راضون ، وله موالون مثولون .

وكانت وفاته بنزوى يوم الجمعة لعشر خلون من ربيع الآخر سنة تسع وخمسين بعد الألف[1] .

ومدة أيام دولته ست وعشرون سنة .

وقد رثاه[2] شعراء عصره بعدة قصائد فائقات ، مطولات ، ومختصرات .

ورثيته أنا بهذه القصيدة الدالية[3] ، المشرقة اللألائية[4] ، وقلت شعرا :

حَوَى مَحْضَ وَمْضِ النورِ قبرُ ابنِ مُرشدِ
خَلَا وَلَهُ لَمْ يَخْلُ حَمْدٌ بِمَشْهَدِ[5]

فللهِ مِنْ نَدْبٍ تَأَلَّقَ سَعْيُهُ
بِنُورِ هُدًى يَسْعَى بِهِ كلُّ مُهْتَدِ

إمامٌ له يُعْزَى لِوَاءُ وِلَايَةٍ
فَمِنْ نَشْرِهِ نشرُ الألوّة يَجْتَدِى[6]

فكمْ قائلٍ مِثْلِي ألا هَلْ سَمِعْتُمُ
ثَوَى قَبْلُ أنْ أَوْدَى خِضَمٌّ بِمَلْحَدِ[7]

وهلْ قبلَه شاهدتمُ أيها الورَى
بِشَمْسٍ توارَتْ تحت تُرْبٍ وَجَلْمَدِ[8]

لك اللهُ قُلْ فَلْيَبْكِهِ كل فاضلٍ
بِدمعِ الحيا فى كلِّ رَبْعٍ وَمَعْهَدِ

بكَى النصرُ لما مات ناصرُ وَالهُدَى
وَأَضْحَى يُبَاكِى الغِمْدَ كلُّ مُهَنَّدِ[9]

---

(١) الموافق ٢٤ من إبريل سنة ١٦٤٩ م (٢) فى الأصل ، رثته شعراء . .

(٣) قافيتها حرف الدال . (٤) أى اللامعة .

(٥) فى الأصل ، لم يخلو ، بإثبات حرف العلة الجازم ، والصواب الحذف .

(٦) الألوة جمع لوة بالضم ، وهى العود الذى يتبخر به ، واجتداه أى سأله حاجة .

(٧) ثوى أى أقام ونزل ، وأودى هلك ، والخضم السيد الحمول المعطاء ، والملحد من ألحده أى قبره .

(٨) الورى الناس ، وتوارت غربت واختفت ، والجلمد هو الصخر .

(٩) الغمد جراب السيف ، والمهند هو السيف .

وقال لسانُ السُّمْرِ هل كفُّ طاعنٍ — أُسِلُّ بها مِنْ بعده قَلْبَ مُعْتَدِي[١]

لقدْ ماتَ حرُّ الضربِ والطعنِ بعدَهُ — أمَا مِنْ جهادٍ بعدَه لِمُؤَيَّدِ

عَلَى ناصِرٍ يَبْكِى دَمًا كلُّ مِنْبَرٍ — على ناصرٍ يبكى جوًى كلُّ مسجدِ

له اللهُ مِنْ نَدْبٍ ولىٍّ يُجِلُّهُ — وَيُثْنِى عليه كلُّ عَقْلٍ مُجَرَّدِ[٢]

لَقَدْ كانَ عَدْلًا ناصرَ الدِّينِ بالظُّبَا — ولم يصطَحِبْه كلُّ ذِى صارمٍ صَدِى[٣]

إذا ما تَحَلَّى لِلكِفاحِ بعزْمِهِ — أشارَتْ بِهِ أهلُ البَسالَةِ باليَدِ

لقد باع فى سوقِ الجهادِ حشاشَةً — ولم يكُ مقصورًا بِقَصْرٍ مُشَيَّدِ[٤]

وَلِىٌّ عنِ الأعداءِ لمْ يَلْوِ عَزْمَهُ — تَصَمْصامُه عن هامِهِمْ غيرُ مُغْمَدِ[٥]

قَلاَ صُرَّةَ الدينار إذ لا جَنانُهُ — إليه ودادٌ فى لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ[٦]

له ومضُ نورٍ فى نِدىٍّ وَمَسْجِدٍ — فَسَلْ كرةَ المحرابِ عنهُ أوِ النَّدِى[٧]

براهينهُ تُرْوَى ، فسلْ كلَّ ناطقٍ — أريبٍ ، وسَلْ عنهن كلَّ مُجَلَّدِ

فَفِى وَجْهِهِ الوضَّاحِ للنورِ مَبْزَغٌ — فإنَّ الضِّيامِنْ وَجْهِهِ المتوقِّدِ

يكاد عليه الغصن يَنْثَنِى إذا انثنَى — وَيَتْلُو إليه الحمدَ كلُّ مُغَرِّدِ

---

(١) أسل بها أى انتزع بها القلب وأخرجه .

(٢) الندب الرجل الخفيف فى الحاجة لظريف النجيب ، والمراد بالعقل المجرد الخالى من الحقد .

(٣) الظبا جمع ظبة وهى حد السيف أو السنان ونحوه ، وصدى صفة مشبهة من صدأ ، والصدأ هو الوسخ فى المعادن .

(٤) الحشاشة بالضم بقية الروح .

(٥) الصمصام هو السيف الذى لاينثنى ، والهام جمع هامة رأس كل شىء ، والمراد الرءوس .

(٦) قلا أى كره ، وصرة الدينار المراد بها المال ، والجنان القلب ، واللجين : الفضة ، والمسجد : الذهب .

(٧) الندى هو النادى الذى يجتمع فيه الناس والمحراب القبلة من المسجد .

مُقِلٌّ من الدينارِ مُثْرٍ من الهُدَى ... يَبِيدُ الأعادِى فى رُبُوعٍ وَفَدْفَدِ(١)

مهيبٌ له بين الصِّحابِ بشاشَةٌ ... لها فى العِدا وَخْزٌ بِنَحْرٍ وَأكبُدِ(٢)

سَمَا بِفَخَارٍ دونه كلُّ سيِّدٍ ... فَمَا سيّدٌ يحكيه فى فَخرٍ سُؤْدَدِ

مَحَا بِضِياء الدِّين كلَّ ضَلَالَةٍ ... فأصبحَ منه أبيضًا كلُّ أسْوَدِ

يرى عَسَلًا طعْنَ العَوَاسِلِ فى الوَغَى ... وَرِيقَ الحسامِ العضبِ رِيقَةَ خُرَّدِ(٣)

إذا ذُكِرَتْ يومًا إمامَتُه انبرَى ... إلى ذِكْرِها نورٌ كثيرُ التوقُّدِ

لقد فاق فى حِلمٍ وعِلمٍ وهيْبَةٍ ... وعدلٍ وَإحْسانٍ وَنُسْكٍ وَمَحْتِدِ(٤)

إمامٌ لقد أَوْلَى عُمَانًا أمانَهُ ... فخافَ به السِّرحانُ سُخْطَ الخَفَيْدَدِ(٥)

يبيتُ يُنَاجِى السيفَ عنْ ضَرْبِه بِهِ ... رءوسَ العِدَا أو فى مكان المُقَلَّدِ

وإن أمَّ مِحرابًا تألَّقَ وَجْهُهُ ... إلى مَنْ تَدَانَى شَخْصُه والمُبْعَدِ

تَفَرَّدَ فى نُسْكٍ وعدلٍ وهيبةٍ ... وجدٌّ بمجدٍ سامِكٍ مُتفرِّدِ

لقد كان فى التقوَى وفى الدين قُدْوَةً ... به كلُّ من يرضَى به الدينُ يَقْتدِى

إذَا فَازِعَاتُ الدَّهرِ هَبَّتْ بِنَكْبَةٍ ... تَمَاسَكَ عن مَيْلٍ ولم يَتأَوَّدِ

ألا إنَّ رَضْوَى فى الشدائِدِ دُونَه ... ويخشاه إن جاشَ الوغَى كلُّ مُزْبِدِ(٦)

فلم يُبْقِ فخرًا فى الثوابِ لِنَاسِكٍ ... ولم يُبْقِ مَجْدًا فى العُلَا لِمُمَجَّدِ

غَدَا الدينُ طَلْقًا باسِمًا فى حياتِهِ ... ولم يمشِ بالإنصافِ مَشْىَ المُقيَّدِ

---

(١) فى الأصل ، مثرى بإثبات الياء ، والصواب الحذف ، والفدفد الصحراء .

(٢) النحر هو الرقبة والأكبد جمع كبد .

(٣) العواسل هى الرماح ، الخرد هن الحسان .

(٤) المحتد هو الأصل .

(٥) السرحان هو الذئب ، والخفيدد هو الظليم ، الذكر من النعام .

(٦) رضوى جبل بالمدينة المنورة ، والزبد هو المتشدق بالكلام .

لقد فقدَتْه الناسُ والباسُ والوَغَى وكلٌّ عليـــه وجدَه لم يُصَرَّدِ[1]
وقالوا : عليهِ رحمةُ اللهِ ، إنَّهُ لقد كان طُهْرًا قُدْوَةَ المُتَعَبِّدِ
بِهِ تورقُ البِيْدَاء وهو سُمَيْدَعٌ إذا غَرَّدَ الهِندِيُّ لا بمُعَرِّدِ[2]
له الحمدُ من ثغرِ الوَرَى فمُحَمَّدٌ بسيرته يَرْضَى وربٌّ محمَّدِ

وكان قبره بنزوى عند مساجد العباد ، عليه رحمة رب العباد .

* * *

---

(١) الوجد هو الحزن ، ويصرد أي يضعف .

(٢) البيداء هي الصحراء ، والسميذع بفتح السين واللام هو السيد الكريم الشريف ، كما يقول صاحب القاموس ، ويقول الجوهري وابن سيده والصاغاني السميدع بالدال لا بالذال ، وبعض اللغويين يرى أن إعجام الذال خطأ . والهندي هو السيف ، والمراد بتغريد السيف صوت الضرب به ، وعرد الرجل تعريدا إذا هرب ، أو ترك الطريق .

[الإمام سلطان بن سيف][1]

رجعنا إلى القصيدة :

قوله :

وسُلطانُ بنُ سَيْفٍ مُذْ حَوَاها به مَنْ أَشْرَكُوا أَلِفُوا الذَّهَابَا

سلطان هــذا ، ابن سيف بن سلطان بن مالك بن أبى العرب بن محمد بن يعرب ابن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك بن أبى العرب .

وقوله : مذ حواها ، أى مذ حوى الإمامة به من أشركوا ، يعنى النصارى ، القابضين[2] بلدة مسقط .

وقوله : ألفوا الذهاب ، أى ألفوا فى دولته الذهاب بمجاهدته لهم فى سبيل الله .

وقوله :

فَرَوَّى للإِمَامَةِ سَيْفَ عَدْلٍ ودَكَّ لِعُصْبَةِ الشِّرْكِ العِقَابَا

أى ، فروى لإمامته سيف عدله بدم عصبة الشرك ، وهم النصارى المذكورون ، ودك بعدله عقابهم ، جمع عقبة ، الكامن[3] فيها جنودهم ، إذ هم قد جعلوا فى كل عقبة من عقاب مسقط كمينا بعــد الإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله ، خوفاً من الإمام سلطان بن سيف المذكور لما سمعوا عنه أنه صار بعد الإمام ناصر ، هو إمام أهل عمان ، وانقادت له قبائل عمان ، فما استنكف عليه أحد منهم .

---

(١) العنوان زيادة من المحقق .

(٢) فى الأصل ، القابضى .

(٣) فى الأصل ، الكامنين فيها جنودهم .

قوله :

وَزَلْزَلَهُم فَلَمْ تَقِهِمْ بُرُوجٌ يُطَاوِلُ سُمْكُها السُّحْبَ الرَّبابَا

أى وزلزلهم سلطان بن سيف بحروبه ، فلم تقهم ، أى فلم تمنعهم عنه بروج ، يعنى معاقل مسقط والمطرح .

وقوله : يطاول سمكها ، أى يناظر علوها وارتفاعها، يعنى البروج المقدم ذكرها، والسحب والرباب بمعنى ، وقيـــل : الرباب السحب البيض الأدنى إلى الأرض من سائر السحب .

قال الضبعى شعرا :

دَانِى الرَّبَابُ يَكَادُ البَرْقُ مِنْهُ إِذَا مَا عَنَّ فى الجوِّ لِلأَبْصَارِ يَصْطَلِمُ

يقال : شمت برق ربابة، أى نظرت برق سحابة بيضاء دانية من سائر السحب .

وقال الغزى :

مَنَازِلُ أُنسٍ من رَبَارِبِ مَازِنٍ أَلَتْ رِبابُ المُزْنِ فِيهِنَّ سَاكِبَا

قوله :

وَمَنْ سَقَطُوا بِمَسْقَطَ مِنْهُ صَارُوا كَضَأْنٍ فِى الفَلَاةِ رَأَتْ ذِئَابَا

من ها هنا اسمية ، وسقط الشىء يسقط إذا وقع من الأعلى على الأسفل ، ومسقط معروفة ، والعامة تسميها مسكد غلطا ، وهى بالطاء المهملة ، لا بالدال ، التى لم تنقط .

عمرتها بعض عرب عمان ، وهم يمن الأنساب ، فغرسوا فيها نخلا وأشجارا تسقيها آبار ، وآثار هذه الآبار باقية إلى هذه الغاية ، سنة الخمس والسبعين والمائتين والألف .

ثم اشتراها[١] النصارى البرتكيسية منهم ، فسوّروها[٢] من حدّ جبل المكلا إلى جبل السمالى ، وأحدثوا فيها حصنين كبيرين ، شرقيا وغربيا .

فلما اصطلمها[٣] العرب منهم سموا حصنها الشرقى الجلالىّ ، وسموا الحصن الغربى الميرانى .

وأحدث[٤] النصارى أيضا فيها صيرتين ، على وجه البحر الذى يقع به الحصنان المذكوران .

وأحدثوا[٤] فيها بروجا على السور ، وأبنية على رءوس جبالها ، وخمس عقبات: الأولى ، من أول المطرح إلى أول ريام ، والثانية ، من آخر ريام إلى أول مسقط ، والثالثة من آخر كلبوه إلى أول مسقط ، والرابعة من آخر سداب إلى أول مسقط من جانب سهيل ، والخامسة من آخر جبال مسقط إلى أول الوادى الذى يفضى إلى دار سيت .

والضأن معروفة ، وكذلك الفلاة ، كالفلا ، ورأت ، أى نظرت ، والذئاب واحدها[٥] ذئب ، وهى[٦] كلاب البر .

والمعنى : أن النصارى الذين سقطوا بمسقط بهظهم[٧] الإمام سلطان بن سيف خوفا وارتعابا ، فصاروا كالضأن التى رأت فى الفلاة[٨] الذئاب .

---

(١) فى الأصل اشترتها ، والنصارى البرتكيسية هم البرتغاليون .

(٢) فى الأصل ، فسورتها .

(٣) اصطلم أى استأصل ، والمراد طردوهم واستولوا عليها .

(٤) فى الأصل ، وأحدثت . (٥) فى الأصل ، واحدهن .

(٦) فى الأصل ، وهن كلاب ، ويعنى بكلاب البر أن شكل الذئاب مثل شكل الكلاب غير أنها متوحشة لاتستأنس ، وهى تخاف من الكلاب .

(٧) بهظه الأمر ثقل عليه وبلغ به مشقة .

(٨) فى الأصل ، الفلات بالتاء المفتوحة .

قوله :

وَمَا هُوَ لِلْمَلَاحِمِ غَيْرُ لَيْثٍ يَرَى ضِيقَ الصِّعَابِ لَهُ رِحَابَا

هاء هو راجع ضميرها للإمام سلطان بن سيف المذكور ، والملاحم جمع ملحمة ، وقد مضى فيها الكلام ، والليث الأسد ، ويرى ، أى ونظر ، والصعاب واحدها[١] صعب ، ومع التأنيث واحدها[١] صعبة ، وهو ضد السهل ، والرحاب المتسعات .

والمعنى ، أن الإمام سلطان بن سيف ما هو إلا أسد حرب ، يرى ضيق صعاب الأمور ، يوم مثار المورمتسعات[٢] للمرور خلاف ما يراها[٣] غيره .

ولله درّ المتنبي حيث يقول شعرا :

وتَعظُمُ فى عينِ الصغيرِ صِغارُها وتصغُر فى عين العظيمِ العَظائِمُ

قوله :

أَبَادَ الْمُشْرِكِينَ وَزَلْزَلَتْهُمْ زَلَازِلُه وَطِفْلَهُمُ أَشَابَا

أباد فعل لازم[٤] ، والمشركين ، يعنى النصارى المذكورين ، وزلزلتهم زلازله ، أى لما ركض عليهم بالأحزاب ، وسلّ عليهم حدّالسيف القِرضاب أتاح لهم التباب[٥] ، وطفلهم أشابه[٦] بالارتعاب .

وفى هذا البيت ، يعنى النصارى الذين زلزلهم بمسقط وغيرها ، وهم المعروفون بالبرتكيس ، وغيرهم من النصارى ، الذين هم شيعة وحزب لهم .

قوله :

فَكَمْ دَارٍ لَهُمْ لَمَّا غَزَاهَا بِهِمْ أَقْرَى القَشَاعِمَ والعِقَابَا

كم هاهنا عددية ، وهى تأتى على ثلاثة وجوه ، استفهامية ، وعددية ، وخبرية .

---

(١) فى الأصل ، واحدهن. (٢) المور بفتح أوله وسكون الثانى الموج والاضطراب .

(٣) فى الأصل ، خلاف مايرهن غيره .

(٤) يعنى المؤلف أن فعله المجرد لازم ، ولكنه يتعدى بالهمزة .

(٥) التباب الخسار والهلاك . (٦) أى ابيض شعره من الخوف والرعب .

أما العددية فتخفض [١] ما بعدها ، والاستفهامية تنصب ، مابعدها ، والخبرية ترفع .

وفى المنطق [٢] الكمّ عرض ، وهو عبارة عن المعنى المفيد ، الذى يقبل التجزّى المساواة ، ويقبلها لذاتها ، فالمساواة مع المناظرة ، والتفاوت والتجزى من لواحق الكم ، فإن لحق غيره فبواسطته ، لا من حيث ذات ذلك الغير .

وهو ينقسم إلى الكمّ المتصل إلى الملائم والمنفصل .

أما المتصل فهو كل مقدار يوجد لأجزائه حدّ ، وهو مشترك، يتلاقى عند طرفيه، كالنقط للخط ، والخط للسطح البسيط ، والآن الواصل إلى الزمان الماضى والمستقبل ، ينقسم إلى ماذى الوضع ، وإلى ما ليس بذى وضع ، وذو الوضع الذى يوجد لأجزائه اتصال وثبات ، وتساو [٣] فى الوجود معنى ، بحيث يمكن أن يشار إلى كل واحد منهما ، أين هو من الآخر .

فن ذلك ما يقبل القسمة فى جهة واحدة فقط كالخط ، ومنه ما يقبل إلى جهتين متقاطعتين على قوائم ، وهو السطح ، ومنه ما يقبل إلى ثلاث جهات ، قائم بعضها على بعض ، وهو الجسم ، والمكان أيضا ذو وضع ، لأنه السطح الباطن من الحاوى ، فإنه يحيط بالمحوى ، وهو مكانه .

وفريق يقولون ، مكان الماء من الإناء الفضاء الذى فى الإناء الذى يقدر خلاصه .

قالوا ، فارقه الماء ، ولم يخلفه غيره .

وهو أيضا عند القائل به من جملة الكمّ المتصل لأنه ذو مقدار مايقبل الانقسام

---

(١) أى يكون مابعدها مجرورا ، والفاء فى جواب أما زيادة من المحقق .

(٢) علم المنطق .

(٣) فى الأصل ، وتساوى .

والمساواة والتفاوت ، وأما الزمان ، وهو مقدار الحركة إلا أنه ليس له وضع ، إذ لا وجود لأجزائه معا فإنه لا ثبات له ، وإن كان له اتصال ، إذ ماضيه ومستقبله يتحادان بطرف الآن .

وأما المنفصل فهو الذى لا وجود لأجزائه لا بالقوة ولا بالفعل ، شىء مشترك يتلاقى[1] عنده طرفاه ، كالعدد والقول .

فإن العشرة مثلا لا اتصال لبعض أجزائها لبعض ، فلو جعلت خمسة من جانب وخمسة من جانب لم يكن بينهما حدّ مشترك يجرى مجرى النقطة من الخط ، والآن من الزمان . وإلا فأولئك أيضا من جملة ما يتعلق بالكمية ، فإن كل[2] ما يمكن أن يُقدر ببعض أجزائه فهو ذو قدر ، إذ العشرة يقدرها الواحد بعشر مرات ، والإثبات بخمس ، وما من عدد إلا ويقدر ببعض أجزائه .

وكذلك الزمان ، فإن الساعة تقدر بالليل والنهار ، والنهار والليل ، ويقدر بهما الشهر ، وبالشهر السنة ، فهذه أمور تجرى مجرى الأذرع فى الأطوال .

وكذلك الأقاويل يقدر بعض أجزائها كما يقدر فى العروض ، إذ به تعرف الموازنة والمساواة ، والمزدحف ، والمتفاوت .

فهذه أقسام الكلية للكمية مما قال أبو حامد فى الخيار[3] .

انتهى .

وغزا يغزو ، وغزا يغزى لافرق فى التصريف .

وقوله : بهم أقرى[4] القشاعم والمقابا ، هاء به راجع ضميرها إلى الإمام سلطان

---

(١) فى الأصل ، يتلاقيا .

(٢) فى الأصل ، فإن كلما يمكن .

(٣) أى بيع الخيار ، وأبو حامد هو الغزالى المعروف .

(٤) فى الأصل ، أقرا القشاعم .

ابن سيف[١]، أى بضرب السيف ضيّف بهم القشاعم والعقاب .

فالقرى بكسر القاف الضيافة ، أى ضيّف الإمام القشاعم والعقاب النصارى الذين حاربهم ، والقشاعم واحدها قشم ، وهو هاهنا الذئب[٢] ، إذ العقاب كذلك[٣] يقال لها قشم .

قال الشاعر :

لو أن جعفرَ خافَ أسبابَ الرّدى لَنَجَا بِهِ يوْمًا طِمِرٌ مُلْجَمُ[٤]
ولكانَ من حَذَرِ المنيَّةِ خَيْتَلًا يرجُو اللحاقَ له العُقابُ القشم[٥]
لكنه لما أتاهُ يومُـــهُ لم يدفعِ الحدثانِ عنه مُنَجِّمُ[٦]

وهو يرثى بهذه الأبيات جعفر بن يحيى البرمكى[٧] .

والعقاب طير معروف سريع الطيران .

وقال المتنبي أحمد بن الحسين شعرا :

تمرُّ عليه الشمسُ وهى ضَعِيفَةٌ تطالِعُهُ من بين رِيشِ القَشَاعِمِ

---

(١) كذا فى الأصل ، وفيه لبس وقع فيه المؤلف ابن رزيق ، حيث إنه لايوجد فى البيت ضمير الهاء حتى يمكن إرجاعه إلى الإمام سلطان بن سيف ، وإنما الضمير الموجود فى البيت هو هم ، وضميرهم يرجع إلى المشركين فى البيت قبله ، ولذا لزم التنويه مع ترك ما ذكره ابن رزيق على حاله .

(٢) القشعم هو النسر ، وهو المراد .

(٣) العقاب طائر ضخم أكبر من النسر ، ولا يقال له قشعم كما يذكر ابن رزيق .

(٤) الطمر هو الفرس الجواد .

(٥) الخيتل ولد الظبي ، ولبس هذا الشعر مما يحتج به فضلا عن عدم دلالته ، فالعقاب أقوى من القشعم ، والصفة توضح الموصوف أو تزيده وصفا ، وليس الحال فى البيت مايفيده .

(٦) الحدثان من الدهر نوبه كحوادثه ، والمنجم هو قارئ النجوم ومستطلعها .

(٧) وزير هرون الرشيد ، وقد أمر الخليفة العباسى هرون الرشيد بقتله ، لما بدر منه مما لامجال لذكره .

قوله :

وَكَمْ فُلْكٍ لَهُم أَضْحَى إِلَيْهِ   غَدَاةَ تَوَهَّمُوا النَّقْعَ الضَّبَابَا

لقد مضى الكلام فى كم ، والفلك السفينة العظيمة ، أى ، وكم سفينة للنصارى صارت للإمام سلطان بن سيف ، وأضحى نقيض أمسى ، والغداة وغد سيان فى المعنى يطلقان على الماضى من الزمان ، كأمس . والوهم الظن .

وفى المنطق الوهميات الصرفة هى قضايا [١] يقضى بها الوهم الإنسانى قضاء جزميًا بريئا عن مقارنة ريب وشك لحكمه فى ابتداء فطرته باستحالة موجود الإشارة إلى جهته ، وإن موجودا قائما بنفسه لايتصل بالعالم ولا ينفصل عنه ، ولا يكون داخل العالم ولا خارجه محال .

وهذه القضايا تشبه العقلية مثل القضاء بأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين ، والواحد أقل من الاثنين ، وهو أقوى من المشهورات التى تقال بأن العدل جميل ، والجور قبيح ، وهى مع هذه القوة كاذبة ، أى القضايا الوهمية باستحالة الموجود ، وهو موجود الإشارة إلى جهته ، لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه [٢] .

---

(١) جمع قضية ، والقضية فى علم المنطق هى القول المفيد الذى يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وهى مايسميه النحاة جملة . ولكل قضية ثلاثة أجزاء ، الموضوع والمحمول والرابطة ، أى المحكوم عليه والمحكوم به واللفظ الدال على الصلة بينهما .

(٢) يلاحظ فى هذا الاستطراد الذى لاتربطه بالمجريات التاريخية السابقة روابط تتطلبه أن ابن رزيق يعمد فى مؤلفاته إلى ذكر بعض من معارفه فى شق العلوم ، إظهارا لقدراته ومدركاته ، وأن مانقله من الغزالى هو سرد يحتاج إلى كثير من الإبانة والتوضيح ليستفيد القارئ منه ، وليس هذا مجاله .

وهى ـ لا محالة ـ قضية كاذبة[1] ، مع أنها تشبه الأوليات فى القوة مهما كانت فى أمور متقدمة على المحسوسات منها ، لأن[2] الوهم أنس بالمحسوسات ، فيقفى دأبه غير المحسوس بمثل ما ألفه فى المحسوس ، وعُرف كونه كاذبا بلزوم الكذب عن المقدمات الأولية ، التى تصدق الوهم بآحادها ، ولكن لايذعن للنتيجة ، إذ ليس فى قوة الوهم إدراك مثلها ، إذ هى أقوى المقدمات الكاذبة ، فإن الفطرة الأولية تحكم بها بحسب حكمها فى الأوليات العقلية .

وكذلك إذا كانت الوهميات فى المحسوسات فهى صادقة يقينية ، والاعتماد عليها كالاعتماد على العقليات المحضة .

والثانى ما يشبه المظنونات ، وإذا بحث عنه محا الظن ، كقول القائل ، ينبغى أن تنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، وهذا يشبه المشهورات والمظنونات .

وما يتوافق عليه الخصمان فى المناظرة من المسلمات ، إما على سبيل الوضع ، وإما على سبيل الاعتقاد ، ولكن إذا تكرر تسليمها ، وتكرر على أسماع الحاضرين فإنهم يأنسون بها ، وتميل أنفسهم إلى الإذعان إليها أكثر من الميل إلى التكذيب، فيعتقد أن ذلك الميل . لأن معنى الظن ميل فى الاعتقاد ، ولكنه ميل السبب ، ولو تكرر على سمع جماعة ، وأن الأزرق الأشقر مثلا لا يكون إلا خائنا خبيثا ، فإذا أوردوه كان ميل نفوسهم إلى اعتقاد الخيانة أكثر من الميل إلى الصيانة ، وذلك من غير سبب محقق ، بل خيال محض بسبب السماع .

---

(١) القضية الكاذبة هى التى يكون فيها الموضوع أعم من المحمول مثل ، كل المعدن ذهب ، ولا شىء من المعدن بذهب؛ لأن المعادن منها الذهب وغيره ، ولأن بعض المعادن ذهب ، وهو ما يسمى فى علم المنطق بالتضاد .

(٢) فى الأصل لئن

ولذلك قيل ، من سمع بخل ، أى من سمع شرا يُظَنُّ به ، والمثل للعرب .

وأخذه البحترى ونظمه .

فقال : بين هذا وبين المظنون المحقق فرق .

ويقرب هذا من المخيّلات ، وهى تشبيه الشىء بالشىء المستقبح ، أو المستحسن لمشاركته إياه فى وصف ليس هو سبب القبح والحسن ، فتميل النفس بسببه ميلا .

وليس ذلك من الظن فى شىء ، وهو هذا ، مع أنه أخسّ الرَّبت[1] ، فهو يحرك النفس إلى أكثر الأفعال ، وعنه يصدر أكثر تصرف الخلق إقداما وإحجاما

وهى المقدمات الشعرية ، ولا نرى عاقلا عن التأثير بها حتى إن المرأة التى يخطبها الرجل إذا ذكر اسمها بعض الهنود أو السودان المستقبحين نفر الطمع عنها لقبح الاسم ، فيقاوم هذا الجمال الموجود ، ويورث نفرة ، حتى إن علم الحساب والمنطق الذى يعرض للمذاهب بالنفى والإثبات إذا قيل له من علوم الفلاسفة الملحدين نفرت طبائع أهل الملحدين عنه .

وهذا الميل والنفرة الصادران عن هذا الجنس ليس بظن ولا علم ، فلا يصلح أن يجعل مقدمة فى الفقهيات .

الثالث الأغاليط الواقعة ، إما عن اللفظ المغلّط ، وإما عن المعنى الواقع من اللفظ ، كما يحصل عن مقدمات صادقة فى مسمى ، باسم مشترك ، فينقله الذهن من المسمى بذلك الذهن إلى وجه آخر يدق درك وجه الاشتراك ، كالنور إذا وجد ، تارة بمعنى الضوء المبصر ، وأخرى لمعنى الذى هو المراد بقوله تعالى : ﴿ اللهُ نُورُ السَّموَاتِ

---

(١) الربت بالفتح هو الاستغلاق ، وفى الأصل بضم الراء ، والصواب الفتح .

وَالأَرْضِ[١] ﴾ ، وكذلك قد يكون من الذهول عن موضع وقف الوقف على الكلام كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ[٢] ﴾ فإذا أهمل معنى الوقف على الله انعطف قوله ، والراسخون فى العلم ، وحصلت مقدمة كاذبة .

وقد يكون بالذهول عن الإعراب ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[٣] ، فبالغفلة عن لام رسوله من الرفع إلى الكسر تحصل مقدمة كاذبة .

ونظائر ذلك من حيث اللفظ كثيرة .

وأما من حيث المعنى ، فمنه ما يحصل من تخيل العكس ، فإذا قيل كل قَوَدٍ[٤] فسببه عمد ، فيظن كل عمد فهو سبب قود ، فإن العمد أرى ملازما للقود ، وهذا الجنس مساق إلى الفهم .

ولا يزال الإنسان مع الشبه لأهله ينخدع ، ويسبق إلى تخيله من حيث لايدرى أن ينتبه بشركته .

ومنها ما بسببه تنزيل لازم الشىء منزلة الشىء حتى إذا حكم على شىء بحكم ظن أنه يقبح على لازمه ، فإذا قيل : الصلاة طاعة ، وكل صلاة تفتقر إلى نية ، فتظن أن كل طاعة تفتقر إلى النية ، من حيث أن النية الطاعة لازمة لها ، وليس كذلك ، فإن أصل الإيمان ومعرفة الله تعالى طاعة ، ويستحيل افتقارها إلى النية ، لأن النية زائدة فى التقرب إلى المعبود ، لا تتقدم على معرفة المعبود .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة النور . (٢) من الآية رقم ٧ من سورة آل عمران .
(٣) الآية رقم ٣ من سورة التوبة . (٤) القود هو القصاص .

وهذا أيضا كثير التغليط فى الفقهيات والعقليات ، وأسباب الأغاليط مما يعسر إحصاؤها .

فإن قيل : فى ماذا تخالف العقليات الفقهيات ؟

قيل : لا مخالفة بينهما فى صورة القياس[1] ، وإنما تخالفهما فى المادة ، ولا فى كل مادة ، بل ما يصلح أن يكون مقـدمة فى العقليات فيصلح أيضا فى الفقهيات ، ولكن قد يصح للفقهيات ما لا يصلح للعقليات ، كالظنّيات .

وقد يوجد ما لا يصلح لهما جميعا كالمشبهات والمغلطات ، ويخالفهما فى كيفية ما تصير به المقدمة كلية ، فإن المقدمات الجزئية فى الفقه يتسامح بجعلها كلية .

وإنما يدرك ذلك من أقوال صاحب الشرع وأفعاله ، وأقوال أهل الإجماع ، وأقوال آحاد الصحابة ، إن رأى ذلك حجة على مايستقصى ذلك فى أصول الفقه .

والجارى منها مجرى الأوليات من العقليات ما هو صريح فى لفظه ، بين فى طريقه كاللفظ الصريح المسموع من الشارع ، والمتواتر كالمسموع .

فقوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾[2] صريح فى لفظه ، أى فى إفهام كونه عشرة ، بيّن فى طريقه على أن القرآن متواتر ، وقد يكون بينا فى طريقه ظاهرا فى لفظه ، غير بيّن فى طريقه ، كالنص الذى ينقله الآحاد من لفظ صاحب الشرع ، وقد يكون عادما للقول بينا كالظاهر الذى ينقله الآحاد .

وجملة الألفاظ الشرعية كقولك : كل مسكر حرام .

الثانى جزئية أريد بها جزئية ، كقولك ، فى الذهب والإبريسم[3] : هذان محرمان على ذكور أمتى ، فإنه نى مختص بالذكور ، ولم يتعد إلى الإناث .

---

(١) القياس هو القول المركب من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر مثل الحديد معدن ، وكل معدن عنصر ، فيكون الحديد عنصرا ، فهو عبارة عن الموازنة بين شيئين بتوسط أمر ثالث .

(٢) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .

(٣) هو الذهب .

الثالث كلية أريد بها جزئية ، كقوله تعالى : ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾[1] أراد به بعض السارقين ، فإذا أريد أن تحول هذه كلية ضم الأوصاف التى بان اعتبارها فيه .

وقيل مثلا : كل من سرق نصابا كاملا من حرز مثله ، لا شبهة له فيه ، وهو بالغ عاقل ، ملتزم لأحكام الشريعية الإسلام ، وطالب المسروق منه بذلك فيقطع ، مثلا فى الذى سرق الأشياء الرطبة مثلا بهذه الصفة ، فيقطع ، هذا هو العادة ، والصواب فى رسم الحد فى الفقه .

والأولى أن يترك اللفظ العام[2] على عمومه ، ولا يخصص منه شىء[3] إلا بدليل يرجح على العموم ، من أن الخصوص قد يتطرق إلى العموم ، فليس مانعا من التمسك بالعموم على اصطلاح الفقهاء ، وإذا اصطلحوا على هذا فالتمسك به أولى .

ومن إيراده فى شكل قياس لأنهم يقولون بتخصيص العلة .

ومهما قلت ، من سرق نصابا كاملا من حرز مثله قطع منه الخصم ، وقد أهملت وصفا ، وهو ألا يكون المسروق رطبا ، فما الذى عرفك ، أن هذا غير معتبر ، فلا يبقى لك ألا أن تعود إلى العموم ، وتقول : هو الأصل ، ومن زاد وصفا فعليه الدليل ، فإذا التمسك بالعموم أولى إذا وجدته .

الرابع هو الجزىء الذى أريد به الكلى ، فكما يعبر عن الخاص بالعام ، كقولك ليس فى الأصدقاء خير ، وتريد به بعضهم ، فقد يطلق الخاص ، ويراد به العام ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾[4] .

فإنه يريد به سائر أنواع ماله .

---

(١) الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة .
(٢) فى الأصل ، العالم .
(٣) فى الأصل ، شيئا .
(٤) الآية رقم ٧٥ من سورة آل عمران .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[1] .

فتعبر بالقليل عن الكثير .

وكقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾[2] .

وكقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموال اليتامى)[3] ـ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[4] .

أراد به الإتلاف الذى هو أعم من الأكل ، ولكن يعبر بالأكل عنه .

فالمعنى الكلى المراد به كل تبرم بالوالدين فهو حرام وكل إتلاف لمال اليتامى فهو حرام .

فتحصل منه مقدمة كلية .

فإن قيل : فالمعلوم بواقعة مخصوصة ، هل كلية يفتقر مخصصها إلى دليل ، أم هى جزئية يفتقر فى تعميمها إلى دليل .

ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأعرابى أعتق رقبة ، لما قال : جامعت أهلى فى نهار رمضان ، وكرجمه ماعزا[5] لما زنا ، فهل ينزل ذلك منزلة قوله : « كل من زنا فارجموه ، وكل من جامع زوجته فى شهر رمضان فليعتق رقبة » .

قيل له ، هو كقوله : كل ما هو موصوف بصفة الأعرابى إذا هلك وأهلك ، فجامع أهله فى نهار رمضان : أعتق رقبة .

ثم صفة الجماع الذى هو وصفه السائل فى رمضان ، والمعتبر من صفات الأعرابى ما عرفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ينزل ترك الاستفصار مع إمكان

---

(١) الآية رقم ٨ من سورة الزلزلة ، وفى الأصل ، فمن يعمل . . .

(٢) الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء ، وفى الأصل ، ولاتقل بالواو بدل الفاء .

(٣) هذا التركيب ليس من آيات القرآن الكريم ، كما وهم المؤلف .

(٤) الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة .

(٥) هو ماعز بن مالك .

الإشكال ، كعموم المقال ، حتى إذا لم يعرف أنه كان حرا أو عبدا . كان هذا كالعموم فى حق الحر فالعبد ، وإن عرف كونه حرا فالعبد ينبغى أن يتكلف إلحاقه بأن يظهر أنه لا يؤثر الرق فى دفع موجبات العبادات .

وإنما أنزل هذا منزلة العام لأنه قد كان ، قال عليه السلام : حكمى فى الواحد كحكمى فى الجماعة ، ولو عرف من عاداته أن يخص من كل شخص بحكم مخالف للآخر لما أقيم هذا مقام العام .

وفى هذا مزيد لا يحتمله كتاب .

وقد بين عند النظر فى صورة القياس ، أن الحكم الخاص إنما يجعل كليا بست طرق ، وهى بيان ، أن ما به[١] الافتراق ليس بمؤثر ، وإن ما فيه الاجتماع هو المؤثر المناسب ، ليكون مناطا ، وهو بالغ فى الكشف عن الغرض .

وذلك لأن من الجزئيات ما يعلم المراد منها كليا[٢] ، ومنها ما لا يعلم[٣] ، ذلك كمن لم يعلم من أصحاب الظواهر المراد بالجزئيات الستة المذكورة فى الربويات أمرا أعم منها ، وعرف كافة النظار أن المراد بالبر ليس هو البر ، بل لمعنى أعم منه ، إذ أبقى البر ربويا بعد الطحن ، وصار دقيقا ، وفارقه اسم البر ، فعلم أن المراد به وصف عام كلى ، اشترك[٤] فيه الدقيق والبر ، ولكن الكلى العام قد يعرف بالبديهة من غير تأمل ، كمعرفتنا بأن المحرم هو التزام العام دون الباقى والخاص ، وقد يشك فيه كالبر والدقيق ، فإن الدقيق والبر مشتركان فى كليات ، مثل الطعم ، والاقتيات

---

(١) فى الأصل ، إنما ، متصلة .

(٢) فى الأصل ، كلى ، ولا يعلم المراد الكلى من الجزئيات إلا إذا كانت الجزئيات جميعها مشتركة فى صفة عامة هى مفهوم الكلى ، وهذا هو أساس الاستنباط .

(٣) لأن الجزئيات وإن كانت متحدة فى الصفات المشتركة ، ولكنها مختلفة فى الصفات المفارقة .

(٤) فى الأصل اشتركا فيه الدقيق والبر .

والكيل والمالية ، فإذا وقع الشك فيه لم يكن إثباته إلا بأحد الطرق الستة التي ذكرناها.

هكذا قال أبو حامد[1] فى المعيار .

انتهى .

والنقع الغبار كالعجاج والقسطل[2] ، وقد مضى الكلام فيه ، والضباب بفتح الضاد المعجمة سحاب أبيض رقيق كالدخان لا مطر فيه .

وحصول المعنى الكلى من هذا البيت :

وكم سفينة للنصارى صارت إلى الإمام سلطان بن سيف بالسيف اغتناما غداة توهموا النقع الذى أثاره لجلادهم فى بلادهم ضبابا غماما .

قوله :

فَقَلْعَتُهُ الَّتِي فِي عُقْرِ نَزْوَى فَمِنْهُمْ بَعْضُ مَا غَنِمَ اسْتِلَاباَ

يقول : فقلعته التى بناها بعقر نزوى عمان ، يعنى سلطان بن سيف الإمام ، فمن بعض ما غنمه منهم ، يعنى النصارى، استلابا بالسيف الحسام ، لعز دولة الإسلام.

قوله :

يُحَيِّرُ سُمْكُهاَ البَازِى إِذَا مَا عَلَيْهاَ حَامَ مِنْ عَطَشٍ وَلَاباَ

حيره يحيره إذا تركه حيران[3] ضالا ، قصده ومراده معدّى . وحار هو يحور لازم ، والسمك العلق والارتفاع ، والبازى طير معروف ، وهو أقوى الطير نشاطا

(١) هو أبو حامد الغزالى (١٠٥٩ – ١١١١) الفقيه المتكلم ، والفيلسوف الصوفى ، والمصلح الدينى والاجتماعى ، وصاحب رسالة روحية ، كان لها أثرها فى الحياة الإسلامية ، وله مصنفات كثيرة ، أهمها كتاب إحياء علوم الدين .

(٢) القسطل والقسطال والقسطلان بمعنى ، وهو الغبار .

(٣) فى الأصل حيرانا بالتنوين ، والصواب عدم الصرف .

فى الطيران ، وأسرعها انحدارا إلى الأرض ، فهو فى القوة والإغرار فى سائر الطير كقوة الأسد وإغراره فى سائر الحيوان غير[1] الناطق .

قال المتنبي شعرا :

لَيْسَ كُلُّ البُزَاةِ بِالرَّوْدِ بَازِى ... وَلا كلُّ مَا يطيرُ بِبَازِى

جمع بزاة ، وحام الطائر إذا طاف فى الهواء على الشىء ولم يجاوزه كى يقع عليه ، ولاب للشرب إذا بعد حومته وقع[2] عليه ، أو دنا منه ، ليقع عليه .

قال جرير :

فَحَامَ عَلَى شَرَائِعِهِ وَلَابَا

والمعنى : أن علوّ هذه القلعة يحيّر البازى إذا حام عليها ولاب من عطش على الموارد المقتربة إليها ، فلا يدرى هى فى الحقائق غمامة أم رأس جبل شاهق .

قوله :

وَأَجْدَى البُرْكَةَ الْخَضْرَاءَ نَهرًا ... فَنَاجَى عَذْبُهُ القُضُبَ الرِّطَابَا[3]

أجداه يجدى إذا أنعم عليه وأعانه وأعطاه ، والبركة بضم الباء وسكن الراء بلدة صغيرة أمام أزكى ، وهى أقرب من أزكى إلى نزوى ، أكثر ساكنيها بنو[4] ريام ، والخضراء نقيض اليابسة ، والنهر الفلج الكبير على الأشهر ، والمناجاة المحادثة سرا ، والعذب السائغ من ماء وغيره ، والقضب جمع قضيب وقضبان ، والرطاب الخضرات نقيض اليابسات .

---

(١) فى الأصل الغير الناطق ، والصواب عدم تعريف كلمة غير لاكتسابها التعريف بالإضافة إلى المعرفة .

(٢) ترتيب الجملة يقتضى تقديم الفعل وقع ، فتكون الجملة ، لابد للشرب إذا وقع عليه أو دنا منه بعد حومته ليقع عليه ، فاللوب هو استدارة الطائر حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه .

(٣) فى الأصل ، فناجا .

(٤) فى الأصل بنى ريام .

والمعنى الكلى من هذا البيت ، أن الإمام سلطان بن سيف جاد على البركة الخضراء بنهر عذب ، فناجى منها ، لما انساب ، الغصون الرطاب .

قوله :

نَفَى الْجَبَرُوتَ فَهْوَ إِلَيْهِ لُطْفٌ   بِمَنْ سَكَنُوا الْمَرَابِعَ وَالشِّعَابَا

نفاه ينفيه إذا أبعده عنه ، وهو ضد الإثبات ، والجبروت الكبرياء ، واللطف الرحمة واللين والرقة وضد الشدة ، والسكون هنا المكث فى المواطن والمرابع ، والحلول بها . والمرابع جمع مربع ، يطلق على الديار المأهولة المعمورة ، والشعاب جمع شعب ، وهى الأماكن الضيقة الضنكة المتفرقة من جبال ورمال غائرة .

والمعنى الكلى من هذا البيت ، أن الإمام سلطان بن سيف بكرم الناسوتية نفى شكاسة الجبروتية .

فهو له لطف بمن سكنوا المرابع التى تتوق والشعاب التى لا تروق .

* * *

[الإمام بلعرب بن سلطان(١)]

قوله :

فَمَاتَ وَبَعْدَهُ أَضْحَى إمَامًا بَلَعْرَبُهُ فَنَافَى مَا أَرَابَا

حصول المعنى الكلى لهذا البيت ، فمات الإمام سلطان وبعده أضحى ابنه بلعرب إمام عمان ، فنافى بلعرب بالعدل فى إمامته ما أراب ، وما رأت الرعية منه عابا .

والنفى كما ذكرنا أولا نقيض الإثبات ، وحروفه ، لا ولن ، وما ، ﴿لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ(٢) ـ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ(٣) ـ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ(٤)﴾ .

والريب ما يريب القلوب ، وفى المثل : دع ما يريبك إلى مالا يريبك .

وفى الكتاب الكريم : ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾(٥) .

القصـة :

أخبرنى غير واحد من المشايخ المسنة ، منهم الشيخ معروف بن سالم الصائغى ، والشيخ خاطر بن حميد البداعى وغيرهما عما سمعوه من آبائهم المسنة ، فاختلفت رواياتهم لفظا ، وائتلفت معنى .

قالوا :

لما مات الإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله ، نصب المسلمون سلطان بن سيف فى اليوم الذى مات فيه الإمام ناصر بن مرشد .

---

(١) العنوان زيادة من المحقق .

(٢) الآية رقم ٢٠ سورة الحشر ، وفى الأصل ، لايستوى أصحاب الجنة ، والآية « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة . . . » .

(٣) من الآية رقم ١٧٢ من سورة المائدة . (٤) من الآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة .

(٥) من الآية رقم ٤٥ من سورة التوبة .

قالوا :

وكان سلطان بن سيف أيام دولة الإمام ناصر بن مرشد للإمام ناصر بن مرشد سيفا وكفا ، يبيد به الأعداء .

قالوا :

وقد بعثه الإمام ناصر بن مرشد أيام دولته لحرب النصارى الذى بمسقط والمطرح مرارا ، فزلزلهم بمن معه من القوم الاستقامية زلزالا شديدا ، وهدم لهم مبانى فى رءوس[1] جبال المطرح ، ومسقط ، وصرّع بغاراته عليهم ودلافته إليهم رجالا كثيرة ، وأخذ منهم الجزية للإمام ناصر بن مرشد مرارا .

فلما مات الإمام ناصر بن مرشد نكث[2] النصارى العهد وقطعوا[2] الجزية ، ومنعوا[2] المسلمين عن الوصول إلى مسقط ، وعتوا عتوا كبيرا .

فلما صارت الإمامة بعد موت الإمام ناصر بن مرشد لسلطان بن سيف أقام العدل ، وشمّر ، وجاهد فى الله ، ونصب الحرب على النصارى ، أهل مسقط والمطرح ، وهم المعروفون بالبرتكيس .

وسار إليهم بنفسه بجمع كثير ، فأقام بطوى الرولة من المطرح ، وبلغ معسكره إلى سيح الحرمل[3] .

فجعل عسكره تارة يغزون مسقط ، وتارة يضربون من رءوس الجبال النصارى القابضين حصن المطرح .

وجعل[4] النصارى على رأس كل جبل بمسقط أشد رجالهم ، أهل التفق[5]

---

(١) فى الأصل ، وهدم لهم مبانيا فى روس .

(٢) فى الأصل ، نكثت . . . وقطعت . . : ومنعت .

(٣) موضع بقرية روى بمنطقة مسقط . (٤) فى الأصل ، وجعلت .

(٥) أهل البنادق .

فما قدر المسلمون على دخولهم مسقط، واقتحامهم لخندق سورها من كثرة جنود المشركين، ورميهم للمسلمين بالمدافع والبنادق، وقد نصبوا سلسلة حديد فى رأس الجبل المشرف على ميابين، وعلى الوادى الذى يمر على بئر زنجى إلى الجبل الذى الآن به البرج المربع، وهو الجبل المشرف على حلة الأوغان، وجعلوا على هذه السلسلة سررا من حديد، وأكنوا فيها[1] رجالا من قومهم، ليصدوا المسلمين عن الركضة للسور، وقد أترعوا[2] الخندق بماء البحر الصغير الذى هو شرقى الباب الصغير، وأكنوا على السور عساكر زحمة من قومهم.

وكان للنصارى وكيلان من البانيان، أحدهما يسمى شك بيله، والثانى يسمى نروتم[3].

فخطب أمير النصارى القابض فى الحصن الشرقى من مسقط بنتا من بنات سكبيله، لما سمع أن له بنتا ذات جمال فائق، وبذل له من المهر مالا كثيرا من الذهب والفضة وسائر الجواهر.

فكان جوابه له: لستم فى القديم ولا فى الحديث، أنتم تتزوجون بناتنا، ولا نحن، فهذا شىء لا يمكن كونه.

فلما أغلظ عليه النصرانى الكلام، وعلم أنه إن لم يطاوعه على مراده ليأخذ ابنته منه كرها.

قال له: أمهلنى إلى كذا وكذا من الزمان حتى أصوغ للابنة حليًا يصاغ لكل عرس من بناتنا الأبكار خاصة، فإذا خلص، ووصلنى دفعت إليك الابنة.

فأذعن النصرانى له بذلك، ورفع منزلته فوق المنزلة الأولى عنده.

فكان لا يحدث شأن إلا يشاوره فيه.

---

(١) فى الأصل فيهن. (٢) ملأوا.

(٣) فى الأصل نرونم، ونروتم البانيانى هو واحد من كبار الجالية الهندية.

فلما تمكن منه سكبيله كلية التمكين قال له :

ـ إن الماء الذى فى برك الحصنين قديم، وقد اشتمل عليه الدود، والحصر إخاله[1] ليطول علينا من المسلمين فالرأى المرىء[2] أن نخلوا الماء من البرك، وندخل عوضه فيها[3] ماء جديدا، وكذلك البارود[4]، لننزله منها[5] ليدق ثانية، فإنه قد أظهر الفساد عن حاله الأول بطول المدة .

فأنعم له بذلك .

فلما بلغ مراده منه، وفعل كما قال له، بخلو الماء والبارود من الحصنين كتب للإمام سلطان بن سيف بسرعة الوثبة على مسقط، وأخبره عما كان من النصرانى، وعما كان منه له تفصيلا وجملة، ووقت له الوقت الذى يركض[6] فيه على مسقط بمن معه من المسلمين .

وذلك فى يوم الأحد عند طلوع الشمس فى يوم العاشر من شهر رجب سنة تسع وخمسين بعد الألف .

وكان عيد النصارى فى يوم الأحد، يشربون فيه الخمور، ويضعون فيه السلاح، ويشتغلون بطربهم وملاهيهم .

فركض عليهم سلطان بن سيف ومن معه من المسلمين .

فدخلوا السور، وركضوا على الحصنين، فأخذوهما فى ساعة واحدة، وقتلوا من فيهما من النصارى .

---

(١) أى أحسبه .

(٢) أى السديد الصائب .

(٣) فى الأصل، فيهن .

(٤) فى الأصل، الباروت .

(٥) فى الأصل، منهن .

(٦) فى الأصل، ليركض .

فأخبرنى غير واحد ، أن الإمام سلطان بن سيف ضرب واحـدا من النصارى حذاء الجزيرة ، وهو قد لاذ بعمود مدفع حديد ، فقطع السيف الذى ضرب النصرانى عصفور المدفع وفخذى النصرانى .

فجعل يقول لمن يمر عليه من المسلمين ، والله ما هو إلا ضربة واحدة قطعت العصفور والفخذين منه ، وما فتر[1] عن ذلك حتى مات .

وما بقى للإمام محارب من النصارى إلا كبريته ، وهو شجاع من شجعانهم ، قابض للبرج المسمى باسمه إلى الآن « برج كبريته » .

فجعل كبريته يحارب المسلمين كل يوم حتى قتلوه فى سوق البز[2] ، هو ومن معه كافة .

وما بقى للإمام محارب من النصارى غير الـكامنين فى حصن المطرح ، وأهـل مركبين من مراكبهم .

ثم ركض[3] عليهم المسلمون فى خشاب[4] صغار ، فنصرهم الله عليهم ، فقتلوا من المشركين كثيرا ، وما سلم منهم من القتل إلا قليل .

ثم سلم[5] القابضون منهم حصن المطرح للإمام الحصن ، فعبّرهم ومن بقى منهم إلى جاوة .

ورفع الإمام الجزية عن سكبيله وبزوتم ، وعيالها الجزية[6] ، لمناصحتهما له وللمسلمين .

---

(١) أى ظل يردد هذا الـكلام حتى مات .
(٢) البز الثياب ، أو متاع البيت من الثياب وغيرها .
(٣) فى الأصل ، ركضت .
(٤) سفن من الخشب .
(٥) فى الأصل ، سلمت .
(٦) كذا فى الأصل ، وهى زيادة .

ولم يزل الإمام يجاهد النصارى البرتكيسية بحرا وبرا .

فاستفتح من أملاكهم الدبّول[١] ودمره[٢] ، وغيرهما ، وملك كثيرا من مراكبهم ، وغنم كثيرا من أموالهم .

فالتقت الرواة ، أن الإمام سلطان بن سيف بنى القلعة التي بعقر نزوى من غنيمة الدير ، ولبث بنيانه لها إلى أن تمّ اثنتي[٣] عشرة سنة .

وأحدث فلج البركة الذى بين أزكى ونزوى ، وجعل فى كل بلاد لغيره ، شهيرة بوجود التحف ، رجلا من ثقات المسلمين ، يشترى له التحف الثمينة من خيل وأعنة[٥] وسلاح ، إعزازا لدولة المسلمين على ذلّ المشركين ، وعلى الطاغين الباغين من أهل النقلة .

وربما تكلم متكلم فى إمامته ، ولكنه غير ثقة فى الحديث ، ولا يعد من جهابذة[٤] المسلمين ، فقال :

ـ إنه قد صرف همته إلى أسباب التجارات .

والصحيح ما ذكرناه .

واعتمرت عمان فى دولته وزهرت ، واستراحت[٦] الرعية فى عصره ، وربح[٧] أهل التجارات فى دولته ، ونمت الثمار ، ورخصت الأسعار .

وكان متواضعا للرعية ، غير محتجب عنهم ، سائلا عن فقيرهم وغنيهم ، ويخرج إلى الطريق بغير عسكر ، ويحدث الرعية ، ويسلم على كبيرهم وصغيرهم ، واضعا ميزان العدل والإنصاف بينهم .

---

(١) قرية من قرى الباطنة . (٢) قرية من قرى وادى كلبوة .

(٣) فى الأصل ، اثنى عشر سنة والصواب تأنيث العدد .

(٤) جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة .

(٥) جمع جهبذ بالكسر ، وهو النقاد الخبير .

(٦) فى الأصل ، واسترحت. (٧) فى الأصل ، وربحت

أخبرنى غير واحد من المشايخ المسنة عن آبائهم المشرفين على دولة الإمام سلطان ابن سيف ، أنه بعث رجلا إلى مُخا [١] اليمن ، يشترى له ما يستحسن من التحف الثمينة التى يحصل بها إعزاز المسلمين على ذل المشركين ، وأنفذ له مالا جزيلا .

فلما وصل المخا رأى دلّالا ينادى على عنان خيل وسرج ، وذلك العنان والسرج مرصّعان بالدرّ ، وأنواع الجوهر ، فأقام عليه الزبون .

فلما بلغ عشرة لكوك [٢] طابت نفسه على الدلال ، وقال له ، بعه على ما بلغك هذا الثمن ، فأنا لالى وطرٌ فيه [٣] .

فلما رجع ذلك الرجل إلى الإمام سلطان به سيف ، وأخبره عن العنان والسرج ، وما بلغا من القيمة ، وتركه لها .

قال له : ما صنعت خيرا ، ارجع إلى المخا ، واشتر من التجار الذين اشتروهما ، لأجل الجواهر للتجارة .

فرجع ذلك الرجل إلى المخا ، واشترى العنان والسرج من التاجر الذى اشتراهما ، وضاعف له الثمن .

فقيل : إنه قد أمره الإمام لما رجعه إلى المخا بعد ما يشتريهما أن يخرج الجواهر منهما ، ويدق الجواهر فى سوق المخا حتى تصير كالزجاج المكسر ، ثم يرميها فى البحر. ففعل كما أمره به .

وقيل : إنه أمره أن يأتى بها إليه ، فأتى بها إليه بعد ما ضاعف الثمن للتاجر ، كما ذكرنا .

وهذا أصح عن جملة أشياخ ، فحدثهم على نسق واحد فى هذه الرواية .

---

(١) بلدة ساحلية باليمن . (٢) جمع لك ، عملة نقدية من الفضة .

(٣) أى ليس لى رغبة وحاجة .

ولم يزل الإمام سلطان بن سيف قائما، مشمّرا للاجتهاد والجهاد في سبيل رب العباد، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى مات رحمه الله.

وكانت وفاته ضحى يوم الجمعة وثاني عشر من شهر شوال سنة التسع والسبعين بعد الألف، على أصح الروايات [١] . وقبر حيث قبر الإمام ناصر بن مرشد حول مساجد العباد من نزوى.

وكان الإمام سلطان بن سيف يقال له: صاحب الكاف.

فنهم من ذهب أنه سمى بذلك لمعرفته بالكيمياء، لما كثر معه المال، ومنهم من ذهب، أنه سمى بذلك لأجل سمة ركابه، فإن سمتها كاف.

وهذا عندى أصح، والله أعلم.

[عود إلى سيرة
الإمام بلعرب بن سلطان][٢]

قوله :

وَمِنْهُ العَدْلُ شَاعَ لَهُ شُعَاعٌ وَمِنْهُ الْجُودُ مَا أَلِفَ انْتِضَابَا

العدل معروف، وقد مضى فيه الكلام، وشاع الشىء إذا ظهر، والشعاع النور الذى تظهره الشمس عند طلوعها إلى وقت غروبها، ولذلك سميت الغزالة لما تظهره من النور فيخال كأنها تغزله، والجود الكرم، ونضب الماء وغيره إذا جف، فهو على الحقيقة جفافه، وجفاف غيره على المجاز.

---

(١) وفى كتاب الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين يذكر ابن رزيق أن وفاة الإمام سلطان بن سيف كانت ضحى يوم الجمعة وسادس عشر من شهر ذى القعدة سنة تسع وخمسين وألف سنة، أى ٢٢ نوفمبر ١٦٤٩ م.

(٢) زيادة من المحقق

والمعنى الكلى ، أن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف لما بويع له بالإمامة ، وصار مشهورا بها عند الخاصة والعامة شاع نور عدله فى البلاد ، وما جف جوده المنهل عن العباد .

قوله :

بَنَى[١] حِصْنًا بِيَبْرِينٍ وَفِيهِ   قَدِ ارْتَحَبَتْ مَدَارِسُهُ ارْتِحَابَا

يقول : ولما تمكن الإمام بلعرب فى الإمامة بنى حصنا بيبرين[٢] ، وهى بلدة صغيرة مقتربة من بهلا ، وقوله : وفيه ، أى وفى ذلك الحصن أقام مدرسة للعلم ، فارتحبت تلك المدرسة ، أى فاتسعت اتساعا بجوده ولطفه لطلبة العلم الشريف .

وبالجملة ، إن حصن يبرين لم يحكه بعمان حصن ، حسنا ، قط ، ولو قلت : لم يحكه بعمان ولا بغيرها من البلدان حسنا وقوة لم يشرف قولى على هتر[٣] .

والعامة تسمى يبرين جبرين بالجيم ، والصواب ، أنها يبرين بالياء والباء والراء والياء والنون .

ومما أفرغ الإمام بلعرب على بنيانه أعظم مما أفرغ أبوه على قلعة نزوى من المال ، وأكثر مما أفرغ على بنيان حصن الحزم ، بعدما أنفق ماورثه من أبيه سيف بن سلطان من أموال المساجد والوقوفات لكوكا والإمام بلعرب لم يقترض من أحد فلسا ، فضلا عن المائة والألف ، من أحد ، ولا أحد تكلم أنه ظلم الناس فلسا واحدا ، فضلا عن المئين[٤] والكوك ، وهذا الشأن شائع من الإمام بلعرب عند الجماهير ، والعلماء النحارير من أهل عمان وغيرهم ، أنه ما اقترض لبنائه حصن يبرين فلسا ولا درهما ولا دينارا .

---

(١) فى الأصل بنا بالألف .

(٢) بلدة معروفة باسم جبرين على بعد أربعة أميال إلى الجنوب الغربى من بهلا .

(٣) الهتر بالكسر الكذب أو السقط من الكلام .   (٤) فى الأصل ، المايين .

قوله :

فَأَكْرَمَ مَنْ لِعِلْمٍ سَاقَ عِيسًا ... وَمَنْ حَمَلَ الْهَرَاوَةَ وَالْجِرَابَا

الكرم معروف ، ومن هاهنا اسمية ، والعلم بحر لا يستقصى .

وفى فضله[1] قال النبى – صلى الله عليه وسلم – « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

وسئل النبى – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس ، رحمه الله ، فقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن .

وفى بعض الروايات : اللهم فقّه فى الدين ، وعلّمه التأويل .

وفى حديث آخر : اللهم زده فقها وعلما .

وهى كلها أحاديث صحاح .

وقال مجاهد عن ابن عباس ، رأيت جبريل – عليه السلام – عند النبى – صلى الله عليه وسلم – ودعا لى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحكمة مرتين .

وكان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقول : ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سود[2] ، وقلب عقول .

وروى مسروق عن ابن مسعود قال : ترجمان القرآن ابن عباس ، لو أدرك إساءتنا ما عاش منا رجل .

وقال عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، ما سمعت فُتيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

وقال طاوس[3] ، وإذا تكلم قلت أفصح الناس ، وإذا تحدث قلت أعلم الناس.

---

(١) استطراد من المؤلف حول العلم ، وهذا عادته .

(٢) على وزن فعل بفتح الأول وسكون الثانى ، صفة مشبهة من السؤدد ، وهو العظمة والإجلال ، وفى الأصل ، له لسان سودا .

(٣) هو طاوس بن كيسان اليمانى ، تابعى .

وذكر الحلوانى قال ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق بن وائل قال ، خطبنا ابن عباس ، وهو بالموسم ، فافتتح بسورة النور ، فجعل يقرأ ويفسّر ، وجعلت أقول ، لا رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس لأسلمت .

وقال طاوس : أدركت خمسمائة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا ذكروا ابن عباس تخلفوه ، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى ابن عباس .

وروى سعيد عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق أنه قال ، إذا كنت رأيت عبد الله بن عباس قلت ، أجمل الناس ، وإذا تكلم قلت ، أفصح الناس ، وإذا تحدث قلت ، أعلم الناس .

وعن الأعمش قال ، قال حدثنا يحيى بن آدم قال ، حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم عن شقيق مثله .

وقال عمرو بن دينار ، مارأيت أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس فى الحلال والحرام ، والعربية ، وأحسبه قال ، والشعر .

ولقد كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يعدّه للمعضلات ، مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين .

وقال القاسم بن محمد ، ما رأيت فى مجلس ابن عباس باطلاقطّ ، وما رأيت ولا سمعت فتوى أشبه بالسنّة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه البحر ، ويسمونه الحبر .

وعن الربيع بن حبيب قال أبو عبيدة ، كان ابن عباس فقيها عالما فى زمانه ، وكانوا يسمونه من كثرة العلم ، العالم الربانى .

وقيل : قعد ذات يوم مع أصحابه ، فقال : اسألونى عما دون السماء السابعة والأرضين السفلى أخبركم ـ إن شاء الله تعالى .

وفضائل عبد الله بن عباس فى العلم كثيرة ، تركت أكثرها طلب الاختصار .

وفى المنطق قال أبو حامد فى المعيار :

العلم ينقسم إلى علم بذوات الأشياء ، كعلمك بالإنسان والشجر والسماء ، وغير ذلك ، ويسمى هذا العلم تصورا ، وإلى العلم بنسبة هذه الذوات المتصورة بعضها على بعض ، إما بالسلب أو الإيجاب ، كقولك : الإنسان حيوان ، والإنسان ليس بحجر ، فإنك تفهم الإنسان والحجر فهماً تصوريا لذواتهما ، ثم تحكم بأن أحدهما مسلوب[1] عن الآخر وثابت له ، ويسمى هذا تصديقا ، فإنه يتطرق[2] إليه الصدق والتكذيب .

فالبحث النظرى للطالب ، إما آت بنتيجة إلى تصور أو إلى التصديق ، فالموصول إلى التصور يسمى قولا شارحا ، فمنه حدّ ، ومنه رسم ، والموصول إلى التصديق يسمى حجّة ، فمنه قياس أو منه استقراء وتمثيل وغيره .

قال : فإن قيل لك كيف يجهل الإنسان العلم التصورى حتى يفتقر إلى الحدّ .

قلت : بأن يسمع اسما لا يفهم معناه ، كمن قال : ما الخلا ، وما الملا ، وما الشيطان وما العقار ؟ فيقال : العقار هو الخمر ، فإن لم يفهمه باسمه المعروف فُهِّم بالحد ، وقيل : هو الخمر شراب مسكر ، معتصر من العنب ، فتحصل له علما تصوريا بذات الخمر .

وأما العلم التصديقى فإنه ، يجهل الإنسان مثلا ، أن للعالم صانعا أم لا ؟ فسئل هذا ، هل للعالم صانع ؟ فيقال : نعم ، وتعرفه بالحجة والبرهان .

انتهى .

* * *

---

(١) فى الأصل ، مسلوبا ، وصوابه بالرفع خبر أن .

(٢) أى يحتمل الصدق والكذب .

وقول الناظم : ساق عيسا ، ومن حمل المراوة والجرابا ، أى وأكرم الإمام بلعرب بن الإمام سلطان بن سيف من لطلب العلم ساق عيسا ، وهى الإبل البيض ، ومن حمل المراوة ، الحمل ضد الوضع ، والمراوة بكسر الماء العصا ، والجراب الإهاب الذى يتأبطه الراجل المسافر فى سفره ، ويضع فيه زاده .

قال الحريرى [1] : فلما أزمعت للاغتراب وأعددت له العصا والجراب .

وقوله أيضا : أتظننى أرضاك إماما لمحرابى ، أو بوابا لبابى ؟ لا ، والله ، ولا عصا لجرابى .

والعامة تسمى باللغة الاصطلاحية الجراب الظرف الذى يوضع [2] فيه التمر .

والمراد بالجراب هنا بما ذكرناه الإهاب الذى يتأبطه المسافر فى سفره ، ويضع فيه زاده .

قوله :

فَمَا فِي الْجُودِ مَاثَلَهُ كَرِيمٌ   وَعَنْهُ الوَفْدُ مَا شَهِدُوا احْتِجَابَا

معنى جملة هذا البيت ، الإمام بلعرب بن الإمام سلطان بن سيف ما ماثله فى الجود ، أى ما حاكاه فى الجود كريم ، وعنه الوفد الناضون [3] إليه الركاب ماشهدوا احتجاجا .

[الإمام بلعرب وأخوه سيف [4]]

قوله :

فَلازَمَ عَدْله وأَخُوه سَيْفٌ   أَحَالَ الشَّرَّ مِنْهُ لَهُ الشَّرَابَا

يقول : فلازم الإمام بلعرب عدله فى الإمامة ، وأخوه سيف بن سلطان بن سيف

---

(١) هو صاحب المقامات المعروفة بمقامات الحريرى .

(٢) فى الأصل ، يضع .   (٣) نضى البلاد قطعها سفرا .

(٤) العنوان زيادة من المحقق .

أحال الشر منه له الشهب ، أى بحر به إليه وتعدّيه عليه ، والواو للاستئناف بقوله : وأخوه سيف ، وفيه تقديم وتأخير ، أى ، وأخوه سيف أحال الشرب منا له الشر .

قوله :

وَشَبَّ عَلَيْهِ نَارَ الْحَرْبِ حَتَّى أَحَالَ إِلَيْهِ أَقْسَى الصَّخْرِ لَابَا

قوله : وشب عليه ، أى وأجّج عليه نار الحرب ، ونار الحرب هنا استعارة . وفى الكتاب العزيز : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ[1] ﴾ .

وقوله : حتى ، أى أن أحال أخوه سيف إليه أقسى الحجر لابا ، وهو الطين الذى يصب فى القالب ليبنى به البيوت ، أى أحال إليه من كان معه فى الحرب أقسى من الصخر كاللاب الذى يكسره المرء برجله إذا ركضه بها .

قوله :

فَلَازَمَ حِصْنَ يَبْرِينٍ بِحَصْرٍ وَبِالْإِحْجَامِ فِيهِ الظَّنُّ خَابَا

يقول : فلازم أخوه بلعرب حصن يبرين بحصر من أخيه سيف إليه ، وبإحجامه والحصر ، وتقلصه عن مقاتلته خاب الظن فيه .

فإن الناس كانوا يظنونه[2] ، هو أقوى من أخيه سيف ، فصار ظنهم بالضد فيه ، لما أحجم عن منازلته وملاحمته .

والإحجام التقلص والسكون والكفاف .

قال المتنبي شعرا :

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إذا الخيلُ أحجَمت وكان قليلًا مَنْ يقولُ لها اقدِمِي[3]

* * *

---

(١) الآية رقم ٦٤ من سورة المائدة . (٢) فى الأصل ، فإن الناس كانت تظنه .

(٣) يعنى كافور الإخشيدى ، وكان واليا على مصر زمن الدولة الإخشيدية .

[الإمام سيف بن سلطان[١]]

قوله :

فَبُويِـعَ سَيْفُ وَانقَادَتْ إِلَيْهِ جُنُودُ عُمَانَ كُلُّهُمُ طِرَابَا

المعنى الكلى لهذا البيت : فلما عجز بلعرب عن منازلته لأخيه بويع أخوه سيف بالإمامة ، فانقادت إليه جنود عمان كلهم طرباً وإذعانا .

وكل ها هنا جزئية ، والانقياد معروف ، وكذلك الجنود جمع جند .

قوله :

وَمَاتَ بِلَعْرَبُ فِى ضِيقِ حَصْرٍ وَعَنْهُ الصَّحْبُ مَا فَرُّوا هِرَابَا

المعنى الكلى لهذا البيت ، ومات بلعرب بن سلطان بن سيف فى ضيق حصر بعدم النصر ، وعنه صحبه المحصورون معه فى الحصن ما فروا هرابا أيام الحصر فى القصر ، بل لبثوا معه حتى مات .

هكذا فى الروايات .

القصـة :

قد انتهت الروايات عن الثقات من أهل عمان على أنه ، لما عقدت الإمامة لبلعرب بن الإمام سلطان بن سيف اليعربى وطأ أثر السلف الصالحين ، وأظهر العدل والتواضع للرعية ، ولم يستعمل فى أحكامه مناديح[٢] التقية .

وكان الإمام بلعرب المذكور جوادا كريما ، شفيقا بالمسلمين ، رحيما .

---

(١) العنوان زيادة من المحقق .

(٢) جمع مندح ، والمراد به المكان الذى يلزمه الإنسان طلبا للتقية والحفاظ على النفس .

وعمر يبرين ، وبنى فيها حصنا شاهقا بالجص[١] والحجر ، وأفرغ[٢] على بنيانه لكوكا ، ولم يقترض من أحد شيئا من البيضاء والصفرى[٣] .

وانتقل من نزوى إليها ، وأقام بحصنها مدرسة شريفة لطلبة العلم ، فدرّس[٤] العلماء الذين أقرهم فيها الطلبة على مراتبهم[٥] ، وأفاض عليهم بإحسانه .

فمنهم من يدرس فى علم النحو والصرف ، ومنهم من يدرس فى علم المعانى والبيان والبديع ، ومنهم من يدرس فى علم الأدب واللغة العربية ، ومنهم من يدرس فى علم الفقه .

فمن الدارسين فى علم الفقه ابن عبيدان ، والشيخ خلف بن سنان الغافرى وغيرهما .

ومن المدرسين فى علم الأدب راشد الجيسى ، والعزرى ، وغيرهما .

وكان ابن عبيدان رجلا أكولا ، ففرض له فى كل يوم جديا ، ومورة أرز زبرة[٦] ، ليأكل ما يقدر عليه من اللحم والأرز ، ويرفع ما يبقيه لسائر المتعلمين ، فوق ما تأتى إليهم من قبله من المآكل اللذيذة .

وكان ابن عبيدان المذكور رجلا أعمى كالجيسى ، فروى عنه ، أنه بعد ما انفصل عنه إلى نزوى ، وهو كامل فى علم الفقه .

فجعل يدرس الناس فى نزوى .

فزار الإمام بلعرب ذات مرة ، فأدخله فى غرفته ، وأكرمه ، فجعل ابن عبيدان يجسّ بيده بسط[٧] تلك الغرفة ، فوقعت يده فى بساط من صوف ، وهو الذى تسميه العامة ، الزولية ، بلسان الاصطلاحية .

---

(١) جص البناء طلاه بالجص . (٢) أى أنفق .

(٣) أى من الفضة والذهب ، المحمدية ، والمشخص . (٤) فى الأصل ، فدرسة .

(٥) أى درجاتهم . (٦) الزبرة والزبر بمعنى واحد .

(٧) جمع بساط ، وهوماتفترش به الأرض ، من صوف ونحوه .

فقال للإمام : ما أحلى هذا البساط وما أعجبه . . ! !

فظن الإمام بلعرب ، أنه يعرض بأخذه منه .

فسكت ، ولم يرد عليه جوابا .

فلما أراد أن يرجع إلى نزوى أمر الإمام بلعرب بطئ ذلك البساط ، وأن يركض به على ناقة إلى نزوى . ويعطى أهل ابن عبيدان قبل أن يصل إليهم .

ففعل به كما أمر .

فلما وصل أخبره [1] أهله الخبر .

فقال : والله ، ما طلبت منه ، ولكن كرمه يربو على إكرام أهل زمانه ، وشكر صنيعه ، وزاره ثانية من نزوى إلى يبرين .

فقال له : منذ أكلت الطعام إلى هذا اليوم ما أكلت ثمرة من تمر الباطنة .

فظن بلعرب ، أنه يعرض له بذلك .

فكتب إلى عامله بالدّبل ، أن يحصى التمر الذى يحصل من زكاة الديل ، ويقوّم ثمنه ، فينفذ الثمن إلى فقراء الديل وصحار ، ويرسل التمر إلى نزوى لابن عبيدان ، وأن يقول [2] لحاملى التمر ، يأتونه [3] إلى يبرين ، ليعطيهم [4] الكراء [5] ، ولا يأخذوا من ابن عبيدان فلسا واحدا ، فضلا عن الكثير .

ففعل العامل بما أمر به .

وروى عنه ، أن رجلا من أهل البصرة كان ذا ثروة ومال جزيل ، فاستغرقه [6] الدين ، فمضى من البصرة إلى مسقط ، ثم ارتفع إلى يبرين ، فصادف الإمام فيها ، ووجده مشتغلا بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

---

(١) فى الأصل ، فأخبروه أهله .

(٢) فى الأصل ، وأن يقل .

(٣) فى الأصل ، يأتوه .

(٤) فى الأصل ، ليعطهم .

(٥) الكراء بالكسر أجرة المستأجر .

(٦) أى أخذ كل أمواله .

فلبث بعض الأيام بيبرين ، ثم رجع إلى مسقط بغير علم من الإمام بلعرب .

فلما وصل إلى مسقط ركب سفينة إلى البصرة .

وبعد انفصاله عن الإمام بلعرب سأل الإمام بلعرب عنه .

فقيل له : رجع إلى البصرة ، ومن حاله كذا وكذا .

فكتب إلى واليه الذى بمسقط ؛ أن يجهز مركبا إلى البصرة ، ويحمل لكًّا من الدراهم على يد من يثق به ذلك الوالى .

فإذا وصل إلى البصرة فليسأل عن الرجل الذى زاره من البصرة إلى يبرين ، فإن وجده حيا فليدفع له المال المذكور ، وإذا قيل له ، إنه مات فليدفع المال إلى ورثته .

فلما وصل صاحب الوكيل إلى البصرة سأل عن الرجل المذكور ، فقيل له ، مات .

فدفع المال الذى حمله إلى ورثته ، وأخذ منهم كتبا للإمام بوصول المال .

فلما وصل إلى مسقط ، وأخبر الوالى عن التفصيل والجملة أمره أن يمضى إلى الإمام ، وينفذ إليه كتب ورثة الرجل المذكور ، ويخبره الخبر كله .

فلما وصله وأخبره بما كان ، وقرأ الكتب ، وعرف ما فيها من الشأن شكر الإمام صنيعه .

وأخبار الإمام بلعرب فى الكرم كثيرة ، وكانت الكرام لمكرمه تسميه [١] أبا العرب .

ولما جرى بينه وبين أخيه من التنافر والحروب والحصار سمته لئام عمان بلاء العرب .

فلم يزل الإمام بلعرب فى العدل والكرم تضرب به الأمثال حتى وقعت بينه

---

(١) زيادة من المحقق ، إذ لا توجد فى الأصل .

وبين أخيه سيف فتن شديدة ، وأصاب [1] كثيرا من فقهاء أهل عمان وأكابرها وأهل الورع والزهد عقوبات من سيف .

وشدد سيف على أخيه بلعرب الحرب .

فخرج بلعرب من نزوى ، وقصد ناحية الشمال ، ثم رجع إلى نزوى ، فمنعه [2] أهلها دخولها ، فسار إلى يبرين ، فحصره أخوه سيف فى حصن يبرين .

فلما عجز بلعرب عن ملاحمته اجتمع أكابر عمان ، فعقدوا الإمامة لأخيه سيف .

وكثير من أهل عمان دخل فى البيعة تقية .

فعاقبهم سيف بعدم الرضا منهم بإمامته .

وخرج سيف على أخيه ، فأخذ حصون عمان كافة ، ولم يبق فى حكمه من حصون عمان إلا يبرين ، فحصره فيه ، وجعل يضرب الحصن بالمدافع .

وكان عند بلعرب رجال مشهورون بالشجاعة ، فكلما اقترب جيش سيف إلى الحصن خرجوا له وكشفوه .

فقتل فى تلك الحرب من قوم سيف كثير [3] .

ثم تعاهد [4] قوم سيف وبلعرب على الكفاف عن الحرب ، وقالوا :

ـ الرأى السديد أن نغمد السيف عن بعضنا بعضا ، فإذا اقتتل سيف وأخوه بلعرب ، وقتل أحدهما أخاه [5] صرنا له رعية وتبعا ، فإن أبيا عن ذلك فيمكث كل واحد منا فى المعسكر ، فإذا طالت على ذلك المدة فليرجع كل واحد منا على وطنه .

---

(١) فى الأصل ، وأصابت .

(٢) فى الأصل ، فمنعته أهلها .

(٣) فى الأصل ، كثيرة .

(٤) فى الأصل ، ثم تعاهدوا قوم سيف .

(٥) فى الأصل ، أخوه .

فلما بلغ بلعرب ما عوّل القوم عليه توضأ وصلى ، نفلًا لله[1] ، ركعتين ، وسأل الله ـ عز وجل ـ أن يميته . فما فرغ من دعائه إلا وخر[2] على البساط الذى صلى فيه ميتا .

فعند ذلك خرج بعض خدامه من الحصن ، وأخبروا أخاه سيفا بوفاته .

فانهمهم ، وقال :

ـ أقتلتموه ؟ قتلكم الله .

فحلفوا له ، أنه مات حتف أنفه .

ثم خرج[3] أصحابه من الحصن كافة ، ومضوا إلى أخيه سيف ، فأخبروه عن أخيه بلعرب ، كما أخبره[4] عبيده الذين أخبروه بوفاته .

فمضى سيف إلى الحصن ، وغسل أخاه بلعرب ، وكفّنه ، وصلى عليه .

ودفنه قريبا من الحصن ، وقبره مشهور .

وخلصت عمان إلى سيف ، ولم ينازعه فيها منازع .

وكان كثير من أهل عمان المشهورين بالعلم متمسكين بإمامة بلعرب وولايته ، ويرون أن أخاه سيفا باغ عليه .

قوله :

وَسَيْفٌ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ بِسُوءٍ غَدَاةَ الْحِصْنُ صارَ لَهُ اجْتِلَابَا

يعنى ، أصحاب الحصن الذين حصروا معه فى الحصن لم يعاقبهم سيف بعد ما مات أخوه بلعرب ، وصار الحصن بيده اجتلابا ، أى اجتلبه اجتلابا من أخيه بلعرب لما مات .

---

(١) النفل هو الصلاة غير المفروضة .
(٢) وقع وسقط
(٣) فى الأصل ، خرجوا .
(٤) فى الأصل ، كما أخبرته عبيده .

قوله :

وَجَرَّدَ سَيْفُ سَيْفَ العَدْلِ لَمَّا غَدَا مَنْ كالْحَدِيدِ لَهُ مُذَابَاً

يقول ، وجرد الإمام سيف بن سلطان بن سيف سيف العدل ، أى لما خلصت له الإمامة من الخاصة والعامة، وغدا من قلبه كالحديد قاسٍ عليه من أهل عمان مذابا، أى بالهيبة والإذعان والحديد والمذاب داخلان بغير استتارة فى التشبيه وباب الاستعارة.

قوله :

وَحَارَبَ مَنْ هُمُو صَارُوا نَصَارَى وَمَنْ يَسْعَى لِنَصْرِهِمُ اغْتِصَابَاً

يقول وحارب الإمام سيف بن سلطان بن سيف من صاروا نصارى ، يعنى البرتكيس ، ومن مذهبهم كمذهبهم ، ومن سعى لنصرهم من الكفرة متعصبا لهم على حربه ، ومستنكفا عليه باستنكافهم عليه .

قوله :

لَهُ مُمْبَاسَةٌ صارَتْ وصارَتْ لَهُ الْخَضْرَا فَمَا لَبِسُوا الْجُبَابَاَ

يقول ، له ممباسة[1] صارت ، أى بعد ما كانت لهم ، وهم النصارى المذكورون؛ وصارت أى لذلك الخضراء وصارت إليه منهم ، وهى جزيرة الخضراء ، فما لبسوا الجباب على رءوسهم ، أى الباقون منهم من شـــدة اكتئابهم على من قتلوا من أصحابهم ، والجباب بضم الجيم جمع جبّة .

قوله :

وَكُلْوَةُ حَازَهَا مِنْهُم فأَضْحَوْا لِنَارِ ذبَابِ قَاضِبِهِ ذُبَابَاَ

كلوة بلدة معروفة بناحية الزنج[2] ، كانت للنصارى قبل أن يملكها الإمام

---

(١) مدينة شهيرة ، توجد حاليا فى كينيا ، وهى ميناء على المحيط الهندى ومركز قديم للتجارة العربية ، وقد استولى عليها البرتغاليون وسيطروا عليها حتى عـــام ١٦٩٨م ، وقد استردها منهم عرب عمان ، ثم أصبحت بعد ذلك جزءا من سلطنة زنجبار .

(٢) فى شرق إفريقية .

سيف به سلطان ، وقوله حازها ، أى اصطلمها منهم عنوة بالسيف ، وقوله ، فأضحوا لنار ذباب قاضبه ذبابا ، الذباب الأول بكسر الذال المعجمة حد السيف ، واستعار النار له للشرار الذى يتطاير منه عند الضراب ، والذباب الثانى بضم الذال المعجمة هذا القذر المتهافت على الطعام الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز فقال : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ[1] ﴾ .

أى فأضحى[2] النصارى بعد القوة والاقتدار بذباب سيفه كذباب فى نار .

القصة :

فلما استقر الإمام سيف بن سلطان بن سيف فى الإمامة أظهر العدل ، وأذعنت له الرعية ، وكان شجاعا نجيدا ذا بأس ، مهيبا ، رادًّا قوى عمان عن ضعيفها .

وهابته القبائل من عمان وغيرها ، وأعمر عمان ، وأجرى فيها الأنهار ، وغرس فيها النخل والأشجار ، وجمع مالا كثيرا ، وكان شديد الحزم على المال .

فملك من عمان ثلثها ، وأحدث أفلاجا جمة فيها ، وفى ظاهرها ، وجعلان ، منها البزيلى ، والصايغى ، والكوثر ، والبرزمان ، وأفلاج المسقاة .

وملك سبعة عشر مائة عبد ، وثمانى وعشرين سفينـــــة ، منها الملك والفلك والرحمانى ، والصالحى ، وفيض ربان ، وكعب راس .

وهذه المراكب كلها غاية فى العظم .

وكان فى مركبه الفلك ثمانون مدفعا ، وغلظ أصل كل مدفع ثلاثة أمتار .

وفسل[3] بنعمان بركه ثلاثين ألف نخلة ميسلى ، وستة آلاف نارجيلة ، غير الذى ببئر النساوة والراصة ، والمنذرية .

---

(١) الآية الآية رقم ٧٣ من سورة الحج . (٢) فى الأصل ، فأضحوا .

(٣) أى غرس .

واشترى أموال بنى لمك وبنى عدى من وادى السحتن كافة .

ونمت كاله هيبته .

وكان قد ترك بيد وكيله الذى بمسقط سبعة وخمسين لكًا من الدراهم الفضية فضلا من الدنانير الذهبية .

وقيل[1] إن الإمام سيف بن سلطان أمر أن تلقى مورة فلفل من بعض حصونه فى السحامًاه ، لينظر الذى يقدر على أخذها من أعراب عمان أو حضرها ، أو غير أعراب وحضر أهل عمان .

فمكثت بعد ما ألقيت فى السحاماه زمانا لا أحد يصل إليها ، وكل من مرّ قريبا منها قال : ما هى إلا مكيدة من قيد الأرض .

وكان الإمام سيف بن سلطان بن سيف المذكور يسمى ، قيد الأرض ، من شدة هيبته .

وأبوه سلطان بن سيف يسمى أيضا صاحب الكاف ، كما ذكرنا أوّلا .

فلما قيل له ، ما أحد تعرض لتلك المورة ، أمر أن تقسم على ضعفاء القرى المقتربة منها .

وقيل ، تعرض لها رجل أعرابى من أعراب شرقية عمان ، فأدخل أصبعه فيها، فخرّ بعض فلفلها على الأرض ، ولم يأخذ منه شيئا .

فاتبعه من يقص بالأثر ، فأتى به إلى الإمام سيف بن سلطان .

فسأله عن صنيعه بالمورة فقال :

— أدخلت هذه الإصبع فى بطنها .

---

(١) زيادة من المحقق .

فأمر الإمام بقطع الإصبع التى قال له الأعرابى ، أدخلت هذه الإصبع فى بطنها .

وقال له : إن عدت ثانية قطعت رأسك .

والله أعلم بالصواب .

وكان رجل من أهل اليمن تاجراً يأتى من اليمن إلى عمان ، دور كل سنة ، فيحمل إليها الورس[١] والزباد[٢] ، فإذا وصل إلى مسقط ارتفع إلى الرستاق فيبيعها .

فإذا فرغ من بيعها وقبض الثمن رجع بالموسم إلى اليمن .

فأتى ذات مرة كعاداته الأول ، فلما باع ما حمل من البضائع ، واستوفى الثمن رجع راجلا[٣] ، فبات فى شعاب المرخ على قارعة الطريق .

فمر عليه أعرابى ، وهو نائم ، فأخذ الكيس الذى وضع فيه الدراهم من تحت رأسه ، وهو لم يشعر به .

ومضى ذلك الأعـــرابى إلى عرعر ، فأيقظ من يقص الأثر ، وشاطره[٤] الدراهم ، وقال له :

ـ إن قيل لك قص أثر الفاعل موه الكلام ، وقل لهم بعد ما تقص ، تداوست الأقدام على بعضها بعضا ، ووقعت خفاف الحيوان وحوافرها[٥] على بعضها بعضا ، فما وجدت للفاعل أثرا .

فأجابه بعد ساعة طويلة على ذلك .

---

(١) نبات مثل نبات السمسم ، اشتهرت بلاد اليمن برراعة ، ويتخذ ورقه للصباغة .

(٢) هو الطيب الذى يتخذ من العنبر .

(٣) أى ماشيا .

(٤) أى قاسمه ، وفى الأصل ، من يقص بالأثر وشاطره بالدراهم ، ولامحل للباء . فالفعلان متعديان .

(٥) الخف للجمل ، والحافر لباقى الحيوان .

فلما أصبح الصباح التمس الرجل اليمنى الكيس الذى وضع فيه الدراهم ، فلم يره.

فجعل يلطم وجهه ، ويضرب صدره بيده ، ويصيح .

فلما رجع إلى الرستاق أخبر الإمام بما جرى عليه .

فقال الإمام : على بالقاص .

فلما أتى به إليه قال له : ـ

ـ قص الأثر ، وائتنى بالفاعل .

فمضى .

ثم رجع إلى الإمام فى اليوم الثانى ، فقال له :

ـ رأيت أقداما متداوسة على بعضها بعضا ، وأخفافا وحوافر وقع بعضها على بعض ، فاشتبه علىّ الأمر ، وما وجدت للفاعل أثرا من كثرة التداوس .

فأمر الإمام بحبسه حيثما سرق الرجل اليمنى ، وألا يعطى ماء ولا زادا .

ففعل به كما أمر الإمام .

فمرّ عليه رجل من أصحاب الإمام ، ورآه فى حال مشرف على الهلاك .

فأسرع السير إلى [1] الإمام ، وأخبره عن حال قصاص الأثر ، وتشفع فيه .

فأمره الإمام أن يأتى به إليه .

فلما أتى به قال الإمام :

ـ لا فكاك لك منى قبل أن تأتنى بالفاعل .

فأخذ مهلة منه شهرا ، فأعطاه الإمام ما [2] طلبه من المدة .

فمضى القاص يتتبع أثر صاحبه حتى انتهى إلى بلدة ودام ، فبحث عنه .

فقال له بعض أهل ودام :

---

(١) زيادة من المحقق .　　(٢) فى الأصل ، بما .

ـ لقد أقبل إلينا رجل أعرابى ، من أهل الظاهرة من أيام يسيرة ، وبيده كيس لا أعلم مافيه ، ثم باع ناقته على بعض أصحابنا ، واستكرى سفينة صغيرة إلى مكران .

فاستكرى القاص سفينة إليها .

فلما وصل إلى البر تتبع أثره فوجده قريبا من ناحية السند ، نائما وقت القيلولة[1] فى ظل شجرة مورقة :

فأيقظه ، وأخذ منه الكيس ، فعد منه الدراهم فوجدها كما هى ، ورجع عنه .

فلما وصل إلى ودام أخبر أهل ودام الخبر كله عن صاحبه ، ولم يخبرهم بالمشاطرة ، وبما توافقا عليه .

فضى[2] أكابرهم معه إلى الإمام ، ومعهم الناقة التى اشتراها صاحبهم من الأعرابى المذكور .

فلما وصلوا إلى عرعر انفصل عنهم القاص إلى بيته ، فوضع الدراهم التى شاطر بها الأعرابى فى الكيس الذى فيه الدراهم التى قبضها من صاحبه .

فلما رجع إليهم مضوا إلى الرستاق .

فأخبروا الإمام عن الفاعل ، ورجوع الدراهم منه ، وساموا له الناقة .

فقال الإمام :

ـ أما الناقة فلا سبيل إلىّ فيها ، وأما الدراهم فليأخذها صاحبها اليمنى .

فلما أحضر ألقى الإمام الكيس ، وقال :

ـ اعدد دراهمك .

فلما عدّها وجدها كما هى .

فقال له الإمام :

---

(١) أى وقت الظهيرة .   (٢) فى الأصل فمضت أكابرهم .

ـ إن أردت أن تقيم معنا فأنت فى أمان واطمئنان ، وإن أردت أن ترجع إلى بلدك فارجع بسلام .

فلما اختار الرجوع أمر بناقة له يركبها إلى مسقط ، وأن يشيع بأهل إبل وخيل من إبله وخيله .

فرجع اليمنى وهو يثنى على الإمام .

وأما القاص فحبسه الإمام فى حصن الرستاق ، فلبث فى الحبس سنة ، ثم فسح له وأخرجه من القصاصة ، وترك مكانه غيره .

ومن هيبته أنه خرج ذات يوم هو وخادمه أبو سعدين من غير علم لأحد من قومه . فلما ابتعدا من طباقة الرستاق نظرا أعرابيا راكبا على بعير حامل جرابين تمرا (١) من تمر الظاهرة .

فتأخر الخادم ، وتقدم هو إليه متأبطا شناً (٢) أودع فيه ماء ، فقال له الأعرابى :

ـ اسقنى يا أعرابى شربة من الماء .

وهو لم يعرفه ، أنه الإمام .

فقال له :

ـ إن لم أسقك ماذا تصنع يا أعرابى ؟

فقال :

ـ ولولا الإمام سيف بن الإمام لتنظر بك ما أصنع .

ثم أقبل أبو سعيدين إليهما فقال للأعرابى :

ـ ما أجرؤك على الإمام بغلظة الكلام .

---

(١) فى الأصل ، جرابين تمر بالإضافة ، والصواب النصب ، أو أن تحذف نون المثنى فى حالة الإضافة .

(٢) الشن هو القربة الصغيرة يوضع فيها الماء .

فلما سمع منه ذلك طاش قلبه وعقله ، واشتمل عليه الرعب ، فقطع الحبال التى لزمت الجرابين بخنجره أو مديته . وضرب بعصاه رقبة بعيره حتى دخل أرض القِرى من ظفار .

فبعث الإمام إلى أهله ، وسألهم عنه .

قالوا : لا علم لنا به بعدما حمل الجرابين على ظهر بعيره ، وأخبرنا أنه ليبيعهما فى الرستاق .

فأنفذ لهما الجرابين ، وقال لهم :

ـ قصوا أثره وتحسسوا عنه ، فإن وجدتموه أعطوه منى الأمان .

فجعل أهله يتحسسون عنه .

قيل ، فوجدوه عند القرى ، فأتوا به إلى الإمام .

فاعتذر له الإمام ، وأعطاه الأمان .

وقيل ، ما وجدوه ، وقيل وجدوه ، وأبى أن يرجع معهم خوفا من الإمام .

فلما علم بموت الإمام رجع إلى منزله .

وهذا الأعرابى هو زفيتى النسب .

قيل : لما أفضت الإمامة لسيف بن سلطان أتته أكابر أعراب الشمال ، فقالوا له :

ـ إن أخاك بلعرب كان يكرمنا بالمال ، لعلمه أننا نحن سددنا [1] باب الغرب بسيوفنا عن أهل العراق وغيرهم فهل لنا منك ما كان لنا منه ؟

فقال لهم :

ـ إن أخى بلعرب كان يسمى أبا العرب لإكرامه على المستحق وغير المستحق للإكرام ، وما به خشية من أهـــل العراق وغيرهم ، وأنا اسمى سيف ، وفعلى

(١) فى الأصل ، سدينا .

كالسيف ، فأى لسان يقدر أن يدخل السيف فى حلقه ، افتحوا باب الغرب الذى سددتموه ، وكونوا أنتم أمام أهل العراق أو غيرهم علينا ، فإنى لا آمنكم بعد أن تبتعدوا من الرستاق ميلا .

فاعتذروا له ، وسألوه الصفح عما تكلموا به .

فصفح عنهم ، ورجعوا بغير ضيافة منه ، وهم منه فى وجل[1] عظيم .

وانكسرت سفينة من سفائن رعيته على ساحل بحر عدن ، فانتهب ما فيها من المال سكان عدن .

فكتب الإمام كتابا جميلا إلى إمام صنعاء برجوع ما أخذته رعيته ، أهل عدن ، من السفينة .

فجاوب إمام صنعاء الإمام سيف بن سلطان بكلام يفضى إلى سب وتهدد ، ومحصول[2] كلامه ، اصنع ما أنت صانعه ، فلسنا نرد عليك شيئا .

وهذا الكتاب المذكور من إمام صنعاء لقد وقفت عليه وقرأته ، وما أحببت أن أسطر ما فيه فى هذا الكتاب وغيره ، على ما فيه من الكلام الشنيع القبيح الذى لا يصدر من مليح .

فبعث الإمام سيف[3] بن سلطان جيشا كثير العدد ، وأمر أمير الجيش بحصر المخا ، برّا وبحرا .

فأحاطت بها عساكره ، وحصروها حصرا شديدا ، حتى بلغ معسكرهم إلى باب الشاذلى .

---

(١) الوجل هو الخوف .

(٢) فى الأصل ، وحصول .

(٣) فى الأصل ، الإمام سلطان بن سيف .

وأقامت عبيده فى معسكر غير معسكر الأحرار ، فبقى نخل نوى [1] التمر الذى أكلوه إلى هذه الغاية يسمى نخل العبيد .

فأذعن إمام صنعاء له بالطاعة ، ورد ما أخذته رعيته إلى الإمام كافة ، وأغرم له ما أتلفته رعيته .

وجعل بكاتبه ليعفو عنه على تسليم ما يريده منه من المال .

والإمام لم يرد عليه جواباً .

فلما مات الإمام سيف رجعت عساكره أحراراً وعبيداً إلى عمان .

وأصابت المراكب التى بعثها لحرب عدن ، قبل موت الإمام ، ريح شديدة ، فقطع المركب المسمى ، الفلك، سلسلة أنجره ، فأتيح له سلسلة وأنجر غير السلسلة الأولى وأنجرها ، وبقى على حاله إلى أن رجع الجيش ، وبقيت السلسلة المذكورة وأنجرها إلى هذه الغاية ، على بحر عدن ، لم يقدر أحد يرفعهما على سفينة لعظمهما ثقلا .

وصالحت نصارى ممباى [2] الإمام سيف بن سلطان على بناء قلعة له بممباى .

فبقيت القلعة بعده فى يد المسلمين الساكنى ممباى ، وتسمى قلعة سيف بن سلطان . وخبرها شهير .

ثم كان ما كان ، فرجعت القلعة فى أيام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى للنصارى .

وتلك الأيام نداولها بين الناس .

ومما ملكه الإمام سيف بن سلطان بن سيف المذكور من بلدان النصارى

---

(١) فى الأصل ، نواه ، والنوى بالقصر جمع نواة ، وجمع الجمع نوى ، بضم الأول أو كسره ، مع كسر الثانى ، وتضعيف الآخر ، والمراد ، أن النوى قد نبت وصار نخلا كثيرا .

(٢) ميناء مشهور فى الهند .

وغيرهم من المشركين دمنًا ، وناجيـــة ، وكلبوة ، وسنجسنج ، وعكة ، والوسىّ ، وكبارية ، ولاموه[١] ، وجزيرة الخضراء ، وممباسة ، وزنجبار ، وكلوة .

ومات ببلدة الرستاق ، وقبر فيها .

وقبره مشهور ، عليه قبة محكمة البناء .

فهدمتها الوهابية[٢] فى عصر سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى .

وكانت وفاته ليلة الجمعـــة وثلاثة أيام من رمضان ، سنة ثلاث وعشرين ومائة سنة بعد الألف[٣] .

* * *

(١) أرض الزنج فى شرق إفريقية .

(٢) أتباع محمد بن عبد الوهاب صاحب الوهابية .

(٣) الموافق ١٦ من أكتوبر سنة ١٧١١ م .

[الإمام سلطان بن سيف][1]

قوله :

وَسلطَانُ ابنُه لمَّا حَوَاها عَلَيهِ عِدَاهُ حَرْبًا لَنْ تجَابَا

يقول : وابنه سلطان بن سيف لما حواها ، يعنى الإمامة ، بعده لن تجاب عداه ، يعنى أهل عمان خاصة ، وهم الذين أسرّوا له العداوة بحرب عليه لما انتهى أمر الإمامة إليه ، إذ صار عزيزهم كالذليل لديه .

قوله :

سَقَى العَجَمَ الرَّدَى بِالسَّيفِ لَمَّا هُمُ ارتَكَبُوا ضَلَالَهُمُ ارتِكَابا

مراده بالعجم هنا بأهل لنجة[2] خاصة .

وسنأتى بشأنهم الذى أوجب قتلهم فى القصة ، إن شاء الله .

والردى الموت ، ونصب الارتكاب على المصدر ، والضلال معروف ، أنه ضد الحق والهدى .

قوله :

حَوَى البَحْرَينِ مِنهُمْ وَاستَكَانُوا لَهُ وَفرَتْ نِسَاؤُهُم المَلَابَا[3]

يقول : حوى الإمام سلطان بن سيف بن سلطان البحرين منهم ، أى استأصلها بالسيف منهم ، واستكانوا له ، أى وذلّوا ، وأذعنوا له .

---

(١) العنوان زيادة من المحقق .

(٢) لنجة: إحدى البلاد الساحلية على الساحل الإيرانى .

(٣) الفرار الهرب ، والملاب هوالمنتشر .

وقوله : وفرت نساؤهم الملاب ، أى وشقت نساؤهم ثيابهن[1] وحليهن على قتل رجالهن ، حزناً وكآبة عليهم .

قوله :

وَلَازَمْنَ الْحُدُودَ غَدَاةَ صَارُوا   لِنَارٍ شَبَّهَا لَهُمُ احْتِطَابَا

يقول : ولازم نساؤهم الحدود ، وهى الثياب السوداء اللاتى تلبسها النساء[2] للمأتم ، وتتقمصنها عند حلول المصائب، خاصة على قتل آبائهن وإخوانهن وأزواجهن، وعند موتهم بحتف أنوفهم[3] ، لا بالسيف .

فالثياب السود لا تلبسها النساء فى القديم إلا عند حلول المصائب والكرب العظيم .

وقوله : غداة صاروا لنار شبّها لهم احتطابا ، أى ولازم نساؤهم الثياب السود اكتئابا لما صاروا، أى رجالهن لنارٍ شبّها لهم، وهى الحرب، احتطابا ، أى كمحتطب الحطب من القفار ، ليلقيه فى النار ، فصاروا هم الحطب ، وحربه النار التى أكلتهم بمارجها والشرار ، فلم تذر لهم أثراً فى الديار .

قوله :

وَفِى الحَزْمِ اسْتَطَالَ إِلَيْهِ حِصْنٌ   فَمَا أَبْقَى إِلَى العُجْبِ اعْتِجَابَا

الحزم أرض معروفة ، وهى معدودة من أرضين الرستاق .

وقوله : استطال ، أى علا ، وهاء إليه راجع ضميرها إلى الإمام سلطان بن سيف المذكور ، والحصن القصر ، سمى بذلك ، لأنه يحصن من تحصن به .

---

(١) يفيد هذا الشرح ، أن الشطر الثانى من البيت هو . . . له وشقت نساؤهم الثيابا .

(٢) فى الأصل ، وهى الثياب السود اللواتى تلبسهن النساء ، للمأتم وتتقمصهن . .

(٣) فى الأصل ، أنفهم ، ومات حتف أنفه ؛ أى على فراشه من غير قتل أو ضرب أو غرق ولا حرق ، وقليل أن يقال مات حتف فمه ، وإنما خص الأنف لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه، والجريح من جراحته ، والحتف : هو الموت .

وقوله : فما أبقى إلى العجب اعتجابا ، العجب بضم العين وسكون الجيم قد مضى فيه الكلام ، أنه الزهو ، والاعتجاب مصدر اعتجب على وزن افتعل ، وانفعل[1] ، وهو من العجب ، أى فما أبقى حصن الحزم اعتجاباً لمعجب .

قوله :

إِذَا شَاءَ الْحَدِيدُ الثَّلْمَ فِيهِ ثَنَاهُ لَهُ زُجَاجًا مُسْتَذَابَا

التفسير : إذا تخبر عن الأفعال المستقبلة ، لا عن الأفعال الماضية ، وعما يقع من الأسماء للأفعال بعد بلوغ الغاية ، لا قبل وقوعها .

وقوله : شاء ، أى أراد ، والحديد معروف ، أى إذا شاء الحديد .

والثلم[2] كذلك معروف ، وهاء فيه راجع ضميرها للحصن .

وقوله : ثناه ، أى أرجعه ، كأنناه .

والزجاج معروف ، والمذاب والمستذاب بمعنى واحد .

وحصول المعنى من جملة هذا البيت يقول : إذا شاء الحديد أن يثلِّم هذا الحصن وانصب بوقوعه عليه انصبابا ثنى الحديد إليه زجاجا مستذابا[3] .

قوله :

فَمَاتَ بِهَيْبَةٍ لَا طَعْنَ فِيهَا لِمَنْ أَضْحَى إِلَيْهِ الطَّعْنُ دَابَا

يقول : فمات الإمام سلطان بن سيف بهيبة لا طعن فيها لطاعن سبّاب من حضر وأعراب ، أضحى إليه الطعن دأباً لا تقبل أسبابه نهاية الاقتضاب .

---

(١) اعتجب على وزن افتعل ، فعل مزيد بحرفين ، الهمزة والتاء ، وذكره لانفعل لأنه باب الفعل الثلاثى المزيد بحرفين بأوزانه ، انفعل ، وافتعل ، وتفاعل ، وتفعل ، وافعل .

(٢) هو الضرب والكسر . (٣) أى أن قدرته فائقة وقوته عالية .

القصـة :

اتفق[١] أهل الروايات الصحيحة والأسانيد الصريحة من أهل عمان فى أخبار الإمام سلطان بن سيف المذكور على :

أنه لما بويع له بالإمامة أظهر العدل بعمان ، وجاهد الأعداء فى البر والبحر فى مواضع شتى ، وغزا لنجة ، وهى يومئذ فى حكم شجاع الدين العجمى .

وسبب غزوته إليها نهب أهلها سفينة من سفن رعاياه ، وأبوا أن يرجعوا مانهبوه لما كتب لهم برده .

وبعد ماغزاها ودمرها غزا لاركا ، والقسم ، وهرموز ، والبندر .

ثم غزا البحرين فاستولى عليها بعد حرب طويلة ، وقتل كثيرا ، وبنى فيها قلعة مانعة ، وهى التى تسمى ، قلعة عراد ، وبنى حصن الحزم ، وانتقل من الرستاق إليها .

وأنفق ما ورثه من أبيه من المال فى بنيان حصن الحزم .

واقترض من أموال المساجد والوقوفات لكوكا .

وما تحركت عليه حركة من أهل عمان فى أيام دولته ، ولا نازعه منازع فى إمامته وسلطانه من أهل عمان وغيرها .

وتقلصت العجم ، أهل شيراز وغيرهم عن محاربته لما استأصل البحرين وغيرها من أملاكهم وساله أكثرهم ، وأذعنوا إليه .

وكل من كان عزيزا بجبروته من أهل عمان ذل[٢] ذل العبيد ، وأظهر الطاعة والانقياد ، وأثنى عليه .

أتته كتب النصارى من برتكيس وغيرهم يخبرونه فيها عن أمر المراد منهم إليه .

وبالجملة لقد صفا زمانه ، وعم دولته أمانه .

---

(١) فى الأصل ، اتفقوا أهل . . . (٢) الفعل ذل زيادة من المحقق .

وما تنقضت عليه العباد ولا البلاد حتى مات .

وكانت وفاته فى حصن الحزم ، وقبر فيه يوم الأربعاء فى شهر جمادى الآخرة لخمس ليال خلفت منه ، فى سنة إحدى وثلاثين ومائة سنة بعد الألف[1] .

ولما مات اختلف اليعاربة ورؤساء قبائل عمان الذين فى قلوبهم العصبية والحمية الخارجة عن العدل والإنصاف .

فأراد بعض أهل عمان أن يكون بعده الإمام ولده سيف بن سلطان .

وكان سيف يومئذ صغيرا لم يبلغ ولم يراهق .

وأراد أهل العلم وبنت الإمام سلطان بن سيف أن تكون الإمامة لمهنا بن سلطان، وقالوا ، هو أهل لها ، وذو قوة عليها ، ولم يعرفوا ما يخرجه من الولاية ، وقالوا ، إن سيفا صبىّ ، وإمامة الصبى لا تجوز على حال ، لأن إمامته لا تجوز فى الصلاة ، فكيف يكون إماماً يتولى الأحكام والأموال والدماء[2] والفروج[3] ؟ ولا يجوز أن يقبض مال الله ومال الأيتام والأغياب ، ومن لا يملك أمره فكيف يجوز له أن يملك أموال الناس.

فلما رأى الشيخ عدى بن سليمان الذهلى ميل الناس إلى سيف بن الإمام سلطان، ولم يجد رخصة أن يناصبهم على ذلك ، وخاف الفتنة أن تقع بينهم لاجتماع الناس بالسلاح ، وربما شهروا السيوف على بعضهم بعضا ، وتهدد بعضهم بعضا ، ووقع بينهم بعض اللجاج : فأراد أن يسكنهم ، ويفرق اجتماعهم قال :

ـ أمامكم سيف بن سلطان ـ بفتح الهمزة[4] والميم الثانية ـ أى قدامكم .

عند ذلك نادوا له بالإمامة ، وضربت المدافع فى حصن الرستاق وغيره ، إظهارا واشتهارا .

* * *

---

(١) سنة ١٧١٨ م

(٢) الحدود والقصاص .

(٣) أمور الزواج والطلاق وحدود الزنا .

(٤) فى الأصل ، بفتح الألف .

[الإمام سيف بن سلطان][1]

« إمامته الأولى »

وانتشر الخبر بعمان ، أن الإمام سيف بن سلطان .

فلما سكتت الحركات ، وانهدت الناس أدخلوا الشيخ مهنا بن سلطان حصن الرستاق خفية ، وعقدوا له الإمامة فى الشهر الذى مات فيه الإمام سلطان بن سيف فى هذه السنة .

[الإمام مهنا بن سلطان]

فقام مهنا بالعدل ، واستراحت الرعية . وحط عنهم القعادات فى مسقط ، ولم يجعل بها وكيلا من قبله . وربحت الرعية فى تجرها ورخصت الأسعار ، وبورك فى الثمار ، ولم ينكر عليه أحد من العلماء .

فلبث على ذلك حتى قتل .

وسبب قتله العقد له بالإمامة .

فلم تزل اليعاربة وأهل الرستاق مسرين له ، وللقاضى عدى بن سليمان الذهلى المداوة ، وما برحوا يحضون يعرب بن بلعرب بن سلطان على القيام والخروج حتى خرج عليه .

فقهر عليــــه مسقط ، ولم يدخلها الجيش ، إذ أهلها أكثرهم خائنون للإمام مهنا بن سلطان .

وكان الوالى يومئذ من قبل الإمام مهنا بن سلطان مسعود بن محمد الصارى .

والإمام مهنا يومئذ بفلج البزيلى من ناحية الجوف التوامية .

---

(١) العنوان بجزئيه من وضع المحقق .

فلما بلغه الخبر رجع إلى الرستاق . وسأل أهل الرستاق وغيرهم النصر على من اعتدى عليه ، فلم ينصروه ، وخذلته الرعية .

فحصره[1] أهل الرستاق فى حصن الرستاق، وحاربوه .

ثم أتاه يعرب بمن معه من القوم من مسقط ، فسأله النزول من القلعة بعد طول الحصار ، وأعطاه الأمان على نفسه ومن معه .

فأجاب على النزول بعدم النصرة .

فنزل من القلعة ، فزالت بذلك إمامته .

فلما صار بيد يعرب أمر أن يقيد ويحبس ومن معه من الخاصة .

فلما حبس وقيد هجم عليه،وهو فى السجن والقيد،بعض خدام يعرب فذبحوه هو ومن معه .

واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب .

ولم يكن يدعى الإمامة ، بل الإمامة يومئذ ، قالوا لسيف بن سلطان ، وسيف صغير السن ، لا يقوم بأمر الدولة .

وسلمت لها حصون عمان وقبائلها .

وكان هذا الشأن سنة ثلاث وثلاثين ومائة سنة بعد الألف[2] .

فلبثا على تلك الحال أحوالا .

ثم إن القاضى عدى بن سليمان استتاب يعرب من جميع أفعاله الماضية ، من تعدّيه على المسلمين ، وبغيه على مهنا بن سلطان ، وقتله له ، واغتصابه لدولة المسلمين .

وأن يعرب كان مستحلا فى خروجه هذا ، فلم يلزموه ضمان ما أتلف ، لأن المستتاب لما ركبه إذا تاب ورجع تجزيه التوبة .

* * *

(١) فى الأصل ، فحصرته أهل . . .

(٢) سنة ١٧٢١ م

[الإمام يعرب بن بلعرب]

فعند ذلك عقدوا له الإمامة فى سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الألف[١] .

فاستقام له الأمر ، وأطاعته الرعية ، فلبث أياما يسيرة فى الرستاق ، ثم ذهب إلى نزوى ، فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة .

ثم إن أهل الرستاق لم يرضوا أن يكون يعرب إماما ، فأظهروا العصبية لسيف بن سلطان .

فما زالوا يكاتبون بلعرب بن ناصر خال سيف ، وهو مقيم بنزوى مع يعرب ، ويحضونه[٢] على القيام حتى خرج من نزوى ليلة ست مضت من شهر شوال من هذه السنة .

وقصد بلاد سيت[٣] ، فحالف بنى هناه[٤] ، على القيام معه ، وعلى أن يطلق ما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله، من البناء وحمل السلاح وغير ذلك مما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد .

وأعطاهم عطايا كثيرة جزيلة .

فصحبوه إلى الرستاق ، فاستقامت الحرب فيها حتى أخرجوا الوالى منها ، وأحرقوا باب الحصن ، فاحترق مقدم الحصن جميعا ، واحترق[٥] ناس كثيرون من بنى هناه ورؤساء بنى عدى ، واحترقت كتب كثيرة ، مثل بيان الشرع ، والمصنف ، والمصحّف ، وكتاب الاستقامة ، ومجلدات الطلسمات مع كتب كثيرة لم يكن لها لها[٦] نظير .

---

(١) سنة ١٧٢٤ م .
(٢) فى الأصل ، ويحضوه .
(٣) قرية تقع فى الناحية الشمالية بين تنوف ونجد البرك .
(٤) قبيلة مقرها الرستاق .
(٥) فى الأصل ، واحترقت ناس كثيرة .
(٦) فى الأصل ، لمن .

وظهر من هذا الحرق كنز عظيم فى الحصن .

فلما بلغ الخبر يعرب بن بلعرب وبما صنع [1] أهل الرستاق سرّى سريّة ، وأمّر عليها الشيخ صالح بن محمد بن خلف السليمى ، وأمره بالمسير إلى الرستاق .

فسار حتى وصل إلى بلدة الموالى [2] ، فرأى أن [3] لا قدرة له على دخول الرستاق ، فرجع بمن معه إلى نزوى .

ثم إن بلعرب بن ناصر كتب إلى والى مسقط أن يخلصها له .

وكان الوالى بها يومئذ من قبله حمير بن منير بن سليمان الريامى ، فخلصها له .

وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب .

ثم أخرجوا سريّة عليها مالك بن سيف بن ماجد اليعربى إلى سمايل ، فخلصت لبلعرب بن ناصر [4] .

ومضى بتلك السرية إلى عمان ، فاشتملت عليه بنو رواحة .

فلما وصل إلى أزكى خلصت له من غير حرب ، وأخرج الوالى الذى من طرف يعرب بن بلعرب .

فلما بلغ الخبر يعرب خرج بمن معه من أهل نزوى وبنى ريام ، والقاضى عدى ابن سليمان الذهلى حتى وصل إلى أزكى . فتلقاه [5] أهلها بالضيافة والطعام ، وقالوا له ، نحن معك .

فمكث يكاتب مالك بن سيف ليخرج من الحصن فأبى عليه .

فنصب يعرب له الحرب ، وضرب الحصن بضربتى [6] مدفع .

---

(١) فى الأصل ، وبما صنعوا أهل . . . (٢) إحدى مدن المنطقة الداخلية .

(٣) كلمة أن زيادة من المحقق .

(٤) وكان هو القائم بأمور الدولة دون أن يكون إماما .

(٥) فى الأصل ، فتلقته أهلها . (٦) فى الأصل ، بضربتين مدفع .

ثم وصلت إلى يعرب عساكر بنى هناة، ومعهم صاحب العنبور الرستاق.

فتفرقت عساكر يعرب، وبقى مخذولا، فرجع إلى نزوى.

وأما الشيخ عدى بن سليمان فإنه قصد الرستاق، فلما وصلها أخذه [١] أعوان بلعرب بن ناصر، فصلبوه، ومعه القاضى سليمان بن خلفان، فقتلوهما مصلوبين [٢].

وسحبهما أهل الرستاق كما تسحب البهائم الميتة.

وذلك يوم الحج الكبير من هذه السنة.

ثم مضى صاحب العنبورى إلى نزوى، وسأل يعرب الخروج منها لأجل حقن الدماء.

فلم يزالوا كذلك حتى أعطاهم، أن يتركوه فى حصن يبرين ولا يمسوه بشىء.

فأعطوه العهد على ذلك.

فخرج من نزوى، فزالت إمامته، ومضى إلى يبرين.

* * *

(١) فى الأصل، فأخذوه أعوان..

(٢) فى الأصل مصلوبان، وهو حال منصوب بالياء لأنه مثنى.

[الإمام سيف بن سلطان][1]

« إمامته الثانية »

ودخل صاحب العنبور قلعة نزوى ، وأمر بضرب مدافعها جميعا ، ففعل كما أمر.

ونودى بالإمامة لسيف بن سلطان فخلصت له حصون عمان ، وسلمت له جميع القبائل والبلدان . من جعلان إلى توام ، واستقام الأمر إليه شهرين إلا ثلاثة أيام .

فلما استقر الأمر ليعرب بن ناصر على أنه القائم بالدولة ، وعلى أن الإمام سيف ابن سلطان ، وفدت عليهما القبائل من رؤساء البلدان يهنئونهما بذلك .

ووقع من يعرب التهدد على بعض القبائل ، لاسيما على بنى غافر وأهل بهلا .

فلما قدم محمد بن ناصر الغافرى فى جماعة من قومه وقع عليه من بلعرب . ناصر التهدد والتوعد .

فرجع محمد مغضبا ، وجعل يكاتب يعرب بن بلعرب وأهل بهلا أن ينصبوا الحرب على بلعرب بن ناصر ، وإنه ليعينهم[2] عليه .

وركب هو إلى البدو من أهل الظفرة وبنى نعيم وقتب وغيرهم .

وأما بلعرب بن ناصر فأرسل[3] إلى رؤساء نزوى أن يصلوا إليه .

فأتاه كثير منهم .

فأكرمهم ، وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان .

ثم سرّى سرية ، وأمّر عليها سليمان بن ناصر ، وأمره بالمسير لمحاربة يعرب ابن بلعرب .

---

(١) العنوان بجزئيه من وضع المحقق .

(٢) فى الأصل ، وإنه ليعنهم بحذف الياء من الفعل دون مقتض .

(٣) الفاء فى جواب أما من وضع المحقق .

وأمر على أهل نزوى أن يصبحوا تلك السرية .

فتشفعوا بأكابر الرستاق ليعذرهم من ذلك ، فعذرهم .

ومضى [1] بعض رجال من الرستاق حتى وصلوا فرقاً ، فبعث [2] أهل نزوى لهم بطعام .

فبينما هم كذلك إذ سمعوا أصوات المدافع من قلعة نزوى ، فسألوا عن الخبر .

فقيل لهم : إن يعرب بن بلعرب دخل قلعة نزوى ، فرجعوا إلى أزكى .

فأشار بعض الناس على سليمان بن ناصر أن يقبض حصن أزكى قبل أن يهجم عليه يعرب بن بلعرب .

فمضى إليه ، وقبضه .

وكان بلعرب بن ناصر قد سرى سرية أخرى لحرب يعرب ، وبعثهم من ناحية الظاهرة .

فلما وصلوا إلى بهلا قبضهم أهلها .

وبعث سرية أخرى إلى وادى بنى غافر ، وشب نار الحرب على بنى غافر .

فانكسرت تلك السرية ، ورجع هزيمها إلى الرستاق .

وبعث يعرب بن بلعرب سرية إلى أزكى ، وأعطاهم مدفعين من نزوى ، ليضربوا بهما حصن أزكى .

فلما وصلوا إليها ركضوا على الحصن ، فانكسروا ، وقتل منهم بعض الرجال . فرجعوا إلى نزوى .

ثم بعث سرية أخرى فأقاموا بالجنى ، مقام أصحابهم الهاربين ، فجعلوا يضربون الحصن بالمدافع ، فمكثوا على ذلك عشرة أيام .

---

(١) فى الأصل ، ومضت بعض رجال . .   (٢) فى الأصل ، فبعثوا أهل نزوى .

ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى أزكى ، فركض بمن معه على قوم يعرب ، فانكسر مالك ومن معه .

وأغار[١] البدو من قوم يعرب على سَدَّى ، وحارة الرحا[٢] من أزكى ، فنهبوا ما وجدوه دونهما ، وأحرقوا مقام حمير بن منير ، وكان خارجا من حارة الرحا .

ثم ركضت سرية يعرب على أهل اليمن من أزكى ، فانكسروا ، وقتل من أكابر تلك السرية محمد بن سعيد بن زياد البهلوى .

وقيل لمالك بن ناصر ، إن أهل النّزار خرجوا مع سرية يعرب حتى ركضوا على اليمن .

فأرسل إلى مشايخهم ، فلما أتوه قيدهم بالجامع ، ثم أرسل إلى أهل الشرقية ، فجاءه منهم جمع كثير ، وأتاه[٣] من بنى هناه رجال كثيرون[٤] .

فلما اجتمع الجيش معه بأزكى ركض على سرية يعرب .

وخرج[٥] معه أهل الطبول ، وأناس قليل من أهل المنزلية ، فكانت بينهم وقعة يوم الجمعة عند زوال الشمس ، فانكسرت سرية يعرب ، ووقع فيهم قتل كثير .

فقتل يومئذ من الفريقين ثلاثمائة رجل .

ثم إن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من القوم إلى قرية منح ، فأغارت شرذمة من قومه على فلج وادى الحجر ، فقتلوا منه ناسا ونهبوا ما وجدوه فيه ، وأحرقوا سكاكره[٦] ، وساروا إلى نزوى ، فأحرقوا سكاكرها ، ولبثوا محاصريها أياما ، ثم رجعوا إلى فرق ، فعسكروا فيها ، وأفسدوها كلية الفساد .

---

(١) فى الأصل ، وأغارت البدو . (٢) فى الأصل ، الرحى .

(٣) فى الأصل ، وأتته . (٤) فى الأصل ، رجال كثيرة .

(٥) فى الأصل ، وخرجت معه أهل الطبول .

(٦) القرى .

ثم خرج عليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب ، فوقع بينهم الحرب ، ثم رجع كل فريق منهم إلى مكانه .

ولم تزل المغازاة والقتال بينهم فى كل يوم .

ثم وقعت بينهم ملحمة عظيمة ، وكادت تكون الهزيمة على قوم مالك ، إلا أنهم لم يجدوا سبيلا إلى الهرب ، إذ أحاطت بهم عساكر يعرب كحلقة الخاتم فى الإصبع .

فاشتغل أهل نزوى بالسلب .

فعطف[١] عليهم قوم مالك بن ناصر ، فأكثروا فيهم القتل والجراح ، وهزموهم حتى بلغ هزيمهم إلى جنور[٢] الخرصة ، قريبا من العقر .

فقتل يومئذ كثير من أهل نزوى .

ورجع مالك بقومه إلى معسكرهم بفرق .

ولم تزل الحرب بينهم قائمة على ساق .

ثم إن مالكا خرج بمن معه من العسكر ، ولم يترك فى المعسكر إلا قليلا حتى وصل قريبا من جناة العقر ، فأراد أن يحصر أهل نزوى ، ويقيم فى بستان سويخ ، وينقب جدره .

فخرج إليه أهل نزوى .

فقتل مالك وانكسر أصحابه حتى بلغوا معسكرهم بفرق .

فضعفت قوة قوم مالك ، وتجلدوا على الحرب .

فلما تزل المغازاة بينهم وبين أهل نزوى حتى وصل محمد بن ناصر الغافرى بجيشه بعد حروب أشغلته بالظاهرة .

---

(٧) فى الأصل ، فعطفت عليهم قوم . . .

(٨) الجنور هو المكان الذى تدرس فيه الحبوب كالقمح والشعير ، وهو موضع معروف .

فلما وصل محمد ناصر إلى نزوى ، وأخبر الخبر كله ركض عليهم ، وهم مخيّمون بفرق ، فتقهقر قوم بلعرب عنه ، فأحاط بهم إحاطة الخاتم بالإصبع ، ولم يروا سبيلا إلى الفرار .

فلما جن عليهم الليل أمر محمد بن ناصر أن يفرج لهم من الجانب الأسفل ، فانهزموا من ليلتهم ، ونهى عن أن يتبعهم أحد من قومه .

وكان يعرب بن بلعرب يومئذ مريضا فى يبرين ، فأقام محمد بن ناصر بنزوى أياما يسيرة .

ثم مضى بقومه إلى الرستاق .

فلما دخلها عسكر بفلج السراة ، فأراد أصحابه أن يركضوا على بومة[1] على ابن محمد المنبورى المنانى ، فنهاهم ، وقال ، لا تركضوا حتى يركض هو عليكم .

فلما ركض عليهم أمرهم بالركضة عليه .

فوقع بينهم حرب شديدة[2] ، فقتل على محمد المنبورى ، وقتل معه من قومه كثير .

ورجع محمد بقومه إلى فلج الشراة ، وانتقل باليوم الثانى إلى فلج المدرى ، من وبل الرستاق .

فأتاه بلعرب بن ناصر مصالحا ، فصالحه على تسليم قلعة الرستاق ، وحصنها ، وسائر الحصون التى بيده .

ومضوا جميعا إلى قلعة الرستاق .

فأراد بلعرب أن يخدع محمد بن ناصر ، وكان محمد رجلا شهما حاذقا فى الأمور ، فأبى أن يدخل الحصن قبل أن يدخله[3] قومه كافة .

---

(١) هى السفينة المعروفة بالمنبورى .
(٢) فى الأصل حرب شديد .
(٣) فى الأصل ، أن تدخله قومه .

فلما دخل[١] قومه تبعهم .

فأخرج أصحاب بلعرب من الحصن والقلعة ، وأمر أن يقيد بلعرب .

فقيّد كما أمر .

ونهب قوم محمد بن ناصر الرستاق ، وسبوا ذراريها[٢] ، وحمل كثير منهم إلى غير عمان .

ومات يعرب بن بلعرب ومحمد بن ناصر بالرستاق لثلاث عشرة[٣] ليلة خلت من جمادى الآخرة ، سنة خمس وثلاثين سنة ومائة بعد سنة الألف[٤] .

وكانت وفاته بنزوى ، وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم خصمهم .

وما شاع خبر موت يعرب للناس إلا بعد خمسين يوما من اليوم الذى مات فيه .

وخلصت حصون عمان إلى محمد بن ناصر ، ولم تبق إلا مسقط والمطرح وبركا[٥] وصحار .

فأما مسقط والمطرح وبركا ففى يد بنى هناه ، وحصن صحار فى يد العمور .

وكان قبض مسقط والمطرح من بنى هناه لأجل جاعد بن مرشد بن عدى اليعربى ، فهم يومئذ عساكره بمسقط ، فلما بلغهم موت يعرب ، وما صار لمحمد بن ناصر الغافرى من الشأن أخرجوا جاعد بن مرشد من مسقط ، ووصلوه إلى قرية نخل .

ومات بلعرب فى حصن الرستاق .

وفى كل يوم تأتى أقوام لمحمد بن ناصر من الظاهرة والشمال .

---

(١) فى الأصل ، فلما دخلته قومه .

(٢) الذرارى جمع ذرية ، والذرية بالضم ، وقد يكسر ، ولد الرجل .

(٣) فى الأصل ، لثلاث عشر ليلة .

(٤) الموافق ٢٢ مارس سنة ١٧٢٢ م .

(٥) فى الأصل ، بركة .

فخاف أهل الرستاق منهم ، فانهزم كثير منهم إلى المهاليل .

وعن غير واحد ، أنه وجد فى كهوف بعض جبال المهاليل جملة أموات من شيوخ وشبان ونساء ثيبات وأبكارا ، ماتوا عطشا وجوعا ، وأهلهم مرّوا عنهم خوفا من قوم محمد بن ناصر .

ثم أتى[٢] إلى محمد بن ناصر ألف رجل من بنى قليب وبنى كعب .

وأتاه رحمة بن مطر الهولى بخمسة آلاف رجل من بدو وحضر ، وفيهم من لا يعرف العربية ، ولا يميز بين الصديق والعدو .

وكان خلف بن المبارك ، المعروف بالقصير ، الهنائى عند أخذ محمد بن ناصر لحصن الرستاق وقلعته فى بلدة الغشب من الرستاق .

فلما اشتد أمر محمد بن ناصر خاف على نفسه منه ، فمضى إلى بركا ، فقهر حصنها ، وترك فيه واحدا من رجاله ، ثم مضى إلى مسقط ، فصارت هى والمطرح فى قبضته ، واستبشر[١] به جماعته ، بنو هناه .

فلما بلغ محمد بن ناصر الغافرى خبره أمر على بن ناصر الخراصى بالمسير إلى بركا ، وكتب إلى بنى هنـــاه القابضين فى الحصن ، أن يقبضوا على ابن ناصر المذكور بالحصن .

فلما وصلهم قتلوه ، فرجع أصحابه إلى الرستاق ، فأخبروا محمدا بما جرى عليه ، فغضب غضبا شديدا ، وأمر بالمسير إلى بركا .

فمضى أمام القوم رحمة بن مطر الهولى بمن معه من القوم واتبعه حمزة بن حماد القليبى بمن معه من القوم ، واتبعه أحمد الغافرى بمن معه من القوم .

ومضى محمد بن سليمان الذهلى بقومه .

---

(١) فى الأصل ، واستبشروا به جماعته . .   (٢) فى الأصل ، ثم أتت . .

فقيل : إن محمدا بعد ما بعث المذكورين أقام بالرستاق ليمدهم بالرجال والزاد .

وقيل : إنه هو أول من مضى .

فاتبعه رحمة بن مطر ، ومن بعده ، كما ذكرنا .

فلما عسكر[١] القوم بالمصنعة أتاهم كتاب من قزع الدرمكي ، يتهددهم فيه .

وكان هو يومئذ عند بنى هناة القابضين من قبل خلف بن المبارك بحصن بركا ، ويقول فى كتابه :

إلى رحمة بن مطر الهولى ، يا رحمة ، لا تصل إلينا ، فنحن لنصلك قبل أن تصل إلينا .

على طريق التهدد والتوعد .

فلما قرأ رحمة الكتاب أمر بالمسير إلى بركا ، وقدم عيونا من أصحابه إليها ، فرأوا قزعا وقومه مقبلين عليهم ، فرجعت العيون إلى رحمة ، وأخبروه بقدوم قزع ومن معه عليهم .

فالتقوا بمكان يسمى « القاسم » .

فجعل رحمة أمام قومه قضيب الهولى ، وشرّق هو بشطر قومه حتى نزل الحفرى .

فوقع الحرب بين أصحاب قضيب الهولى وقزع الدرمكى ، وكان قضيب راكباً على فرس ، وقد بعث قبل الوقعة عيونا إلى بركا ، فأخبروه بقدوم خلف بن المبارك ببقية من معه من القوم .

ووقع الحرب بين قضيب وقزع ، فقتل قزع ، وقتل من قومه رجال كثيرون[٢] ، وفرّ الهارب منهم إلى بركا .

وأما رحمة بن مطر ومن معه من القوم ، فالتقى هو وخلف بن المبارك ومن معه

---

(١) فى الأصل ، فلما عسكرت القوم . . (٢) فى الأصل ، رجال كثيرة .

من القوم غربى بركا ، فوقع بينهم قتال شديد ، فكانت الدائرة على خلف .

وكانت لرحمة أخشاب تساير قومه الذين معه فى البر غير مبتعدة فى البحر عنهم ، وفى أخشابه رجال كثيرون .

فجعلوا يضربون الخشب التى تساير قوم خلف بالمدافع ، وقد ترك خلف فيها رجالا كثيرين ، فأغزرت الخشب التى لخلف عنهم بحرا ، ومن انهزم من قوم خلف ، وأتى إلى ساحل البحر يريد أن يتحصن فى خشبه وجدها قد أغزرت عنـه بحرا ، فكثر القتل فى أصحاب خلف ، وجعل [١] قوم محمد بن ناصر يضربون [٢] المنهزم منهم بالتفق والسيف .

فكان عدد من قتل من أصحاب خلف يومئذ [٣] ألفا واثنى عشر رجلا على اتفاق الروايات ، لا أجد قائلا ، قل ولا أزيد ، فما زال [٤] قوم محمد يتبعون هزيمهم إلى أن أدخلوهم حصن بركا .

فحاصر بعضهم حصن بركا ، وبعضهم عسكر بجبل آل عمير ، فأقاموا فيها أربعة أيام ، ثم رجعوا إلى بركا ، فالتقوا بأصحابهم الحاصرى حصنها فسألوا عن خلف .

فقيل لهم ، رجع إلى مسقط على خشبة صغيرة .

فما أطالوا بعد ذلك الحصار لحصن بركا ، فرجعوا إلى الرستان . قيل عن رجوعهم أمر من محمد بن ناصر ، وهو يومئذ بالرستاق .

وقيل ، هو معهم .

فرجعوا جميعا إلى الرستاق .

---

(١) فى الأصل ، وجعلت .

(٢) فى الأصل ، تضرب .

(٣) فى الأصل ، ألف .

(٤) فى الأصل ، فما زالوا .

وهذا عندى أصح ، والله أعلم .

ففسح محمد لرحمة بن مطر ، ومن معه من القوم ، وفسح لكل من أتاه من الظاهرة وتوام ، حضرا وأعرابا .

وأقام هو بالرستاق أياما ، فأصابه الجدرى .

فلما عوفى أمر بالمسير إلى ينقل[١] .

فجعل على الرستاق واليا من قبله محمد بن ناصر الخرّاصى ، وعنده أصحاب بهلا ، وعضّده بسنان بن محمد المحذور الغافرى ، ومعه بعض الرجال من قومه .

ومضى هو إلى ينقل ومعه سيف بن سلطان اليعربى — وهو يومئذ صغير السن — ومعه أيضا بعض اليعاربة .

فلما بلغوا إلى مقنيات[٢] أرسل محمد إلى قبائل الظاهرة[٣] ، وعمان ، وبنى ياس بوصولهم إليه ، فأجابوا دعوته .

وأتاه قوم كثيرون[٤] من حضر وأعراب .

فمضى بهم إلى فلج المناذرة ، وأرسل إلى أهل البلدان الذين خالفوه أن يسلموا الأمر له ، فأبوا ، ولم يردوا عليه جوابا .

فارتفع يريد الانتقال إلى الجانب الأعلى الذى على شريعة فلج المحيدث من البطحاء .

فالتقاه[٥] بنو على بمن معهم من القوم .

فوقع بينهم القتال ، فانكشف[٦] بنو على ، وقتل منهم خلق كثير .

---

(١) إحدى مدن الظاهرة : (٢) إحدى مدن منطقة الظاهرة .

(٣) إحدى المناطق وتقع غربى المنطقة الداخلية .

(٤) فى الأصل وأتته قوم كثيرة . (٥) فى الأصل ، فالتقته بنو على . .

(٦) فى الأصل ، فانكشفوا بنو على : :

وقتل من كبرائهم شيخهم سليمان بن سالم .

وقتل من أكابر قوم محمد بن ناصر سالم بن زياد الغافرى ، وسيف بن ناصر الشكيلى .

وجرح ناس من قومه .

ثم نزل محمد فى شريعة المحيدث من الجانب الأعلى ، فحاصرهم ، وجعل أصحابه يضربونهم[1] بالتفق والمدافع .

ثم وقعت بينهم صكّة ، فقتل فيها خلق كثير من الفريقين .

أما من أصحاب محمد بن ناصر فقتل محمد بن خلف القيوضى ، وواحد من بنى عمه .

وقتل من بنى على[2] جملة رجال .

فأمر محمد بكسر الفلج عنهم .

فلما كسر صالحوه على تسليم الحصن ، فقبضه منهم .

ومكث فى ينقل بمن معه من القوم أياما قلائل .

ثم أتاه خبر عن سعيد بن جويد ، أنه دخل السليف ، والتأم بالصوافة ، ومعه جمع من بنى هناه .

فأمر محمد قومه بالسير إلى السليف .

فلما وصلها بهم أرسل إلى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدوا الطاعة له ، فأبوا .

وأتت الصوافة الذين بتنعم مذعنين ، فأمنهم ، وقبل إذعانهم إليه .

---

(١) فى الأصل ، وجعلت أصحابه تضربهم .

(٢) فى الأصل ، وقتل من بنى جملة ، فكلمة على زيادة من المحقق .

فأمر قومه بالركضة على حصن المراشيد ، فركضوا عليه ، وهدموه على من فيه من رجال ونساء ، صغيراً وكبيراً .

وطلب سعيد بن جويد منه الأمان ، وأن يسيّره ومن معه إلى بلده .

فسيّره وزوّده .

وصالحته المناذرة ، واستنكفت الصواوفة ، أهل تنعم ، عن طاعته ، فأمر بقطع نخيلهم ، فصالحوه على هدم حصنهم بيدهم .

وفسح للبدو الذين صحبوه ، ولم يبق معه من الأعراب إلا بنو ياس .

ولما بلغ خلف بن ناصر بن المبارك القصير اشتغال محمد بن ناصر بحروب الظاهرة مضى بمن معه من القوم إلى الرستاق ، فحصر حصنها .

وخرج إليه سنان المحذور ، فوقع بينهم القتال ، فقتل سنان المحذور ومعه بعض الرجال من فوق .

فلما اشتد الحصار على علي بن ناصر الخرّاصي ومن معه صالحوا خلف بن ناصر على خروجهم من الحصن بأمان منه

فأجابه على ذلك .

فخرج علي بن ناصر من الحصن ، وقبضه خلف .

ثم إن خلفنا مضى إلى الحزم بمن معه من القوم .

وكان الوالي بحصنها يومئذ من قبل محمد بن ناصر عمر بن مسعود به صالح الغافري .

فأرسل خلف إليه بخروجه من الحصن بأمان منه ، فأبى ، فحصره حصرا شديدا .

وكتب عمر إلى محمد بن ناصر يخبره عن خلف بن ناصر ، بقتله لسنان المحذور ، وأخذه لحصن الرستاق ، وحصره له الحزم ، وأنه لم يبق معه ماء فى البركة إلا قليلا .

فسار محمد بن ناصر ، بعد ما وصله الكتاب المذكور ، وصالحه أهل السليف ، وهدم حصنهم ، إلى الحزم .

فلما وصلها أمر أصحابه بالركضة على أصحاب خلف ، فركضوا عليهم ، فهزموهم ، وقتلوا منهم رجالا كثيرة .

وفرّ خلف فاختفى بعد الهزيمة فى بيت رجل من أهل الغشب ، ولم يشعر به محمد ولا أحد من قومه .

فأقام محمد بالحزم أياما قلائل ، ثم رجع إلى الظاهرة ، وأعرض عن الرستاق .

فحشد قوما من الظاهرة ، ومضى بهم إلى بلاد سيت ، فأرسل إليهم ليؤدوا الطاعة ، فأبوا ، فأمر قومه بالهجوم عليهم .

فهجموا ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا .

ثم أمرهم أن يركضوا على المعارض فركضوا، وقتلوا منها رجالا عدة ، ودمروها.

ثم ركضوا بأمره على غمر (١) ، ففعلوا بها مثل ما فعلوا بالمعارض .

وأدّت له الطاعة بلدان بنى هناة كافة ، وصاروا فى طاعته هم وحلفاؤهم من بنى عدى ، وأهل الغاف وغيرهم .

ورجع محمد بعد ذلك إلى نزوى .

فأقام بها ستة أشهر ، فأرسل إلى أهل منح ، أن يؤدوا الطاعة ، فأبوا .

فجهز عليهم جيشا ، فحاصرهم جيشه ، وجعل يقطع نخلهم ، فأدّوا الطاعة .

فمضى بعد ذلك إلى الظاهرة .

فلما بلغ خلف بن ناصر أن محمد بن ناصر فى الظاهرة جمع عسكرا كثيرا ، فنزل بوادى المعاول .

---

(١) إحدى القرى .

فحشد المعاول ومضى بهم ومن معه من القوم إلى نخل .

وكانت نخل يومئذ فى حكم مرشد بن عدى اليعربى .

فحاصروه أربعة أيام ، ثم طلب منهم الأمان لخروجه من الحصن ، فأعطاه خلف الأمان .

فلما خرج مضى [١] به بعض رجال المعاول إلى دون مسلمات ، فقتلوه .

ولما دخل خلف هو ومن معه حصن نخل أحرقوا أبوابه ، وهدموا ما قدروا منه على هدمه .

وصالح خلفا أهل الجيمى [٢] ، ثم دخلها [٣] قومه بعد الأمان على حين غفلة من أهلها ، فنهبوا ما فيها .

فهرب أهلها إلى الطوّ ، وبعضهم هرب إلى بلدان بنى جابر من قرية سمايل .

ثم ركض من هرب منهم ، إلى الطو وسمايل ، على فنجا [٤] ، فأخذوها ، وهرّبوا أهلها .

وكانت طائفة من أهل نخل لما دخل [٥] قوم خلف الجيمى التجأت إلى الجناة ، عند بنى مهلل ، فمكثوا معهم أياما قلائل .

ثم جعلوا يكاتبون أصحابهم الهاربين إلى سمايل ، أن يأتوا إليهم على طريق وادى الحمّام ، لأخذ الجناة ، ووقّتوا لهم الوقت ، فمضى [٦] إليهم بعض الهاربين .

فلما وصلوا إلى الجناة تسوّروا على من فيها ، فقتلوا من قتلوا منها ، وانهزم من سلم من القتل إلى بلدان المعاول ، فنصروهم .

---

(١) فى الأصل ، مضت به .
(٢) فى الأصل ، وصالحت خلف أهل الجيمى .
(٣) فى الأصل ، ثم دخلتها قومه .
(٤) قرية من قرى المنطقة الداخلية .
(٥) فى الأصل ، لما دخلت قوم . . .
(٦) فى الأصل ، فمضت إليهم .

واشتمل [١] على المعاول أقوام كثيرون [٢] من بنى هناة، ويمنية أعراب الساحل، فركضوا على الجناة .

فوقعت الحرب بينهم وبين من فيها من أهل نخل ثلاثة عشر يوما ، لا يفتر فيها صوت التفق بينهم .

ثم أخرجوهم منها، وقتلوا منهم [٣] رجالا ، وانهزم الباقون عند أصحابهم بفنجا . فهدمت المعاول الجناة .

ومكثت نخل مدة من الزمان لم يوجد [٤] فيها غير الكلاب والسباع .

واقتسمها [٥] بنو هناة ، ومكثوا فيها إلى أن ملك سيف بن سلطان عمان ، فعند ذلك سلموها لأهلها ، وسلم أهل نخل فنجا لأهلها .

ثم إن محمد بن ناصر جمع عسكرا كثيرا ، فقصد بهم بلدان العوامر ، وقد انضاف [٦] إليهم آل وهيبة .

فلما وصل إليهم وقع بينهم وبينه حرب شديدة ، وكادت الغلبة تكون عليه ، فصارت إليه ، فبلغ منهم مطلوبه من الطاعة والإذعان والانقياد .

فرجع بعد ذلك إلى الظاهرة ، فجمع منها أجنادا كثيرة ، فأتى بهم إلى نزوى ، فجمع منها ومن بهلا ومن بنى ريام خلقا كثيرا .

وسار بهم إلى سيفم [٧] .

فلما وصلها أرسل إلى سعيد بن جويد الهنائى ومن معه من أهل العقبر والغافات بالمواجهة .

---

(١) فى الأصل ، واشتملت .
(٢) فى الأصل ، أقوام كثيرة .
(٣) فى الأصل ، من رجالها .
(٤) فى الأصل ، لم يجد فيها . .
(٥) فى الأصل ، واقتسمتها بنو هناة . .
(٦) فى الأصل ، وقد انضافت . .
(٧) قرية تقع عند النهاية الغربية فى وادى سيفم على بعد ستة أميال أسفل نجد البرك .

فأبوا .

فحاصرهم .

فخرج سعيد بن جويد ليلا خفية ، ومعه بعض الرجال إلى الظاهرة .

فلما وصل إلى ينقل أمرهم بالمخالفة على محمد ، وترك الطاعة له .

فأجابوه على ذلك .

وكتب للقوم الذين بصحار أن يعينوه ببعض رجالهم على حرب محمد بن ناصر .

فأجابوه ، وبعثوا له رجالا كثيرين[1] من قومهم ، ومن أهل صحار[2] .

فاجتمع معه خلق كثير ، وهو يومئذ ببلدة ينقل ، آل علي .

فمضى بهم إلى العُلا ، وضم ، فانضموا معه .

وكتب إلى بعنية الشرقية أن ينضافوا معه على حرب محمد بن ناصر ، فأجابوه على ذلك .

فلما بلغ بقومه إلى فلج العيسى أخبر محمد عنه .

وكان محمد يومئذ ببهلا، ومعه خلق كثير ، وسائر قومه محاصرون أهل الغافات .

فبعث عيونا على سعيد بن جويد .

فلما أخبرته العيون أنه في ضمّ ، ومراده أن يمضي بمن معه من القوم إلى الغافات، أمر قومه أن يلاقوه دون البلاد .

فصادف قومه قوم سعيد بن جويد في صدر الغافات[3] ، فوقع بينهم حرب شديدة .

---

(١) في الأصل ، وبعثوا له رجال كثيرة . . .

(٢) في الأصل ، من أهل الصحار ، وصحار علم لايعرف .

(٣) قرية من قرى المنطقة الداخلية .

فقتل سعيد بن جويد وغصن العلّى ، وقتل معهما من قومهما خلق كثير .

فسحب قوم محمد سعيد بن جويد بحبل كما تسحب البهائم الميتة إلى الغافات، ليذعروا به قومه القابضين حصن الغافات .

فلم يذعرهم ذلك .

فشددوا عليهم الحصار .

وأمر محمد بقطع نخيلهم وأشجارهم .

فلما نفد عليهم الزاد وآلة الحرب ، وكثر فيهم القتل صالحوا محمدا على هدم معاقلهم كافة إلا حصن العقير ، ثم صالحوه على هدمه بعد ما فرغ الزاد عليهم ، فهدموا بنيانهم بأيديهم .

وأذعن[1] له بنو هناة ، أهل سيفم كافة .

فرجع إلى يبرين ، وفسح لقومه .

ثم جيّش ثانية ، فاجتمع معه خلق كثير من البدو والحضر .

فقصد بهم بلدان الحبوس من الشرقية .

وكان خلف به ناصر القصير يومئذ معهم بالمضيبي .

فلما وصل إليهم محمد بمن معه من القوم وقع بينهم حرب شديدة ، فانكشف الحبوس ، قوم خلف ، ودخل قوم محمد حجرة المضيبي ، فاحتووا على مافيها من المال .

ومضى خلف إلى أبرا ، فلاذ بالحرث ، فاتبعه محمد .

فلما وصل إلى أبرا أرسل إلى الحرث أن يخرجوا خلفا عنهم ، فأبوا .

فأمر بقطع نخيلهم . فصالحوه على خروج خلف عنهم .

فأجابهم على ذلك .

---

(١) فى الأصل ، وأذعنت له بنو هناة .

فمضى خلف إلى مسقط ، ورجع محمد ومن معه من القوم إلى يبرين .

فمكث أياما قلائل ، ثم مضى إلى نزوى .

فأرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم .

فلما أتوه طلب منهم ، أن يقيموا واحدا [١] مكانه مع سيف بن سلطان ، واعتذر عن الحرب .

فلم يعذروه خوفا من خلف بن ناصر ، أن يصول عليهم إذا تأخر محمد عنهم .

وقد كان ما كان بينهم من المقدمات التى تسخط خلفا ، لاتباعهم لمحمد ومسيرهم معه ، ومع سائر قومه لحرب بلدان بنى هناة وسائر اليمنية من الشرقية والظاهرة .

وكان الوالى يومئذ بنزوى الشيخ عبد الله بن محمد بن بشير بن مدّاد . .

فنظر هذه الحروب كلها على الباطل ، وخاف على أهل نزوى ، إذا جانبهم محمد ابن ناصر ، الهلاك من خلف .

فقال لهم لما شاوروه .

ـ اعملوا التقية .

فجعلوا يرغبون محمدا بالقيام معهم ، وهو يأبى ذلك .

واجتمع أهل نزوى فى العقر ، فغلقت أبوابها يوما وليلة ، فى ترغيبهم لمحمد بالقيام معهم وهو يأبى .

فلما أعرضوا له الإمامة قبل .

فلما قبل عقدوا له بها ليلة السبت . لسبع ليال خلون من المحرم ، سنة سبع وثلاثين ومائة بعد الألف [٢] .

* * *

(١) فى الأصل ، أن يقيموا أحدا مكانه . .

(٢) الموافق ٧ أكتوبر سنه ١٧٢٤ م .

[الامام محمد بن ناصر]

فضربت مدافع القلعة استشهارا بإمامته .

وأتاه قبائل عمان ، فبايعوه .

ومكث بنزوى حتى صلى الجمعة ، ثم سار إلى يبرين ، فلما وصلها بلغه عن مانع ابن خميس العزيزى أخذ حصن الغبى ، ومهنا بن عدى اليعربى ومن معه من بنى ريام واليعاربة أخذوا غالة البُركة الطلحية .

فمضى محمد إلى الغبى ، فأخرج العزيزى من الحصن بأمان منه .

ثم مضى إلى البركة فصالحوه .

وما بقى له منازع فى عمان .

ثم مضى إلى سمايل ، فهدم حجرة البكريين ، وحجرة أولاد سعد ، مع خبر طويل ، تركته طلب الاختصار .

وأخذ الزكوات من سمايل .

ووقع بين المعاول وخلف نزاع ، فأخذوا حصن بركا ، وكتبوا إلى محمد بن ناصر ، أن يأتيهم ليقبضوه الحصن ، فأتى إليهم ، ومعه بعض القوم .

فأقام بالحرارى[١] .

فبعث المعاول له بالضيافة .

ومحمد يظن منهم غدرا ، فلم يطاوعهم على ما سألوه .

فرجع عنهم ، وقصد بلدة ينقل ، فحصر حصنها ، فأدخله الحصن رجل من بنى على يسمى عصاما[٢] .

---

(١) أحد وديان منطقة الباطنة .

(٢) فى الأصل ، عصام بالرفع ، وصوابه ، النصب .

وكان له بيت جدره ملتصقة بجدر الحصن ، فأنقب لهم جدار بيته .

فما شعروا إلا وقوم محمد قد هجموا عليهم .

فطلبوا الأمان بخروجهم من الحصن ، فأجابهم محمد على ذلك .

فلما صار الحصن فى يده ولاه عصاما .

فرجع إلى الغبىّ ، ثم مضى إلى بيرين .

وكان رجل أعرابى[1] من شيوخ آل وهيبة ، يسمى ، أبا حزق ، قد أفسد سبل المسلمين بالكسب والنهب ، ومسكنه أطراف رمل عمان .

فمضى إليه محمد ومعه عسا كرجمة .

فلما وصل إلى مسكنه أسره وأمر كل من كان فى مسكنه من الأعراب ، وأتى بهم إلى بيرين ، فقيدهم بخوص النخل .

وقال : كل من قطع قيده منكم لأقطع رقبته .

وأمر على قومه الذين وكلهم بهم بمنع الماء والطعام عن مواشيهم التى أتوا بها ، فمات أكثرها .

ثم تشفعت فيهم أعراب الشرقية ، على أنهم لا ليعترضوا أحدا من المسلمين ، ولا ليفسدوا السبل .

فشفعهم فيهم .

فمضى أبو حزق ومن سلم من قومه من الحبس والقيد إلى مكانه .

فانحدر محمد من بيرين إلى سمايل ، ومعه جنود كثيرة ، فأقام فى سمايل أياما .

ثم هبط إلى أعمال بركا ، فأقام فى جبل آل عمير .

---

(١) فى الأصل ، وكان رجلا أعرابيا ، والصواب الرفع

فكان يأتى إلى بوشر وغيرها ، ويبعث كتبه إلى خلف بن ناصر ليناجزه ، وخلف يومئذ بالمطرح[1] .

فلم يرد خلف إليه جوابا ، وقد بنى على أطراف المطرح سورا من حجر ، خوفا من محمد ، أن يدخل المطرح .

فإلى هذه الغاية هذا السور باق ، ويسمى : سور بنى هناة .

والغاية المذكورة سنة الخمس والسبعين والمائتين والألف من الهجرة النبوية ، صلى الله على محمد وآله وصحبه .

وأتى[2] رجال المعاول إلى محمد بن ناصر ، وهو يومئذ مقيم بجبل آل عمير ، فعاهدوه على الطاعة ، والانقياد له .

وأرسل إلى آل سعلى ، وهم أعراب الساحل ، أن يصلوا إليه ، فاستنكفوا ، ولم يردوا إليه جوابا .

فلما رجع إلى الحزم من الحيل أغار عليهم ، فقتل منهم جملة رجال ، وعقر عليهم نياقا كثيرة ، وهم يقولون : ارفع السيف عن جماعتك يا خلف فإننا مطيعون لك .

يظنون أن الغائر عليهم خلف بن ناصر القيصر ، لا محمد بن ناصر الغافرى .

فما شعروا أنه محمد إلا بعد مارجع إلى الحزم .

وأغاظ المعاول فعله بآل سعلى ، فنقضوا العهد الذى بينهم وبينه .

فأقام محمد بعض الأيام فى الحزم ، ثم رجع إلى الغبى فأقام ببلدة سمنى أياما ، ثم مضى إلى الغبى .

فجمع أقواما كثيرين من بنى ياس ، ونعيم ، وقتب ، والشوامس ، ومن حضر الظاهرة خلقا كثيرا .

وقصد بهم صحار .

---

(١) زيادة من المحقق .

(٢) فى الأصل ، وأتت رجال . . .

فلما وصلها ركض على سورها ، فدخل من أبوابه . فعسكر بقومه فى حلتها الداخلية ، وحلها الخارجة من السور .

وأقام وهو وخاصته فى بيت رجل أعمى ، من أهل صحار ، يسمى محمودا .

وواجهه [1] أهل صحار كافة ، وما شذ عن طاعته سوى العمور القابضين بالحصن [2] ، وكان ميلهم كل الميل إلى خلف بن ناصر القصير .

فترادفت كتبهم إلى خلف بوصوله إليهم .

وكان محمد بن ناصر قبل وصوله إلى صحار قد أعان ربيعة بن أحمد الوحشى على آل عزيز لما بغوا عليه وعلى قومه ، وأخذوا أمواله وأموال قومه ظلما .

فلما مضى إليهم محمد رد عليهم أموالهم ، وهرب من بغى عليهم من آل عزيز ، وأمنهم من كل معتد يعتدى عليهم .

فلما وصل إلى صحار ، وحصر حصنها بلغه عن الوحاشا ، أنهم قد بعثوا ، قبل أن يصل محمد إلى صحار ، رجالا منهم إلى صحار ، فانضافوا إلى العمور القابضين فى الحصن .

فأرسل محمد إلى ربيعة بن أحمد الوحشى ، وكان ربيعة يومئذ فى ضنك [3] ، أن يصل إليه .

فلما أتى عاتبه عن قومه المنضافين إلى العمور .

فحلف له ، أنهم مضوا إليهم بغير علم منه ولا رضى .

---

(١) فى الأصل ، وواجهته أهل . .

(٢) فى الأصل ، القابضى بالحصن .

(٣) قبيلة ربيعة بن أحمد الوحشى المذكور .

(٤) إحدى مدن منطقة الظاهرة .

فقال له محمد :

ـ امض إلى الحصن ، وناصح العمور وجماعتك المنضافين إليهم بالخروج من الحصن ، على أمان منى ، ومن قومى .

فلما مضى ربيعة إليهم شحذهم ، وأغراهم على حرب محمد .

ثم قال لهم :

ـ إن محمدا قد أضجره المقام ، ونفد عليه الزاد ، ورجع أكثر قومه إلى منازلهم من الجوع ، وخافوا من خلف ، أن يهجم عليهم ، وقد بلغهم ، أنه قد جمع قوما كثيرين [1] ، فالرأى السديد ، أن نركض عليه اليوم ، ونفرق شمله ، لكى نحظى من خلف ما نحبة منه ، ويعلم ، أنا إليه ناصحون .

وأكثر إليهم من نظائر هذا الكلام .

فأجابوه على ذلك .

وشددوا الحرب بضرب التفق والمدافع ، ونصبوا فى بروج الحصن ألوية الحرب ، وكثرت زعقاتهم .

فلما كان منهم ذلك ماشك محمد ولا قومه على أن ربيعة بن أحمد قد أغراهم بذلك .

فبينما هم يتنازعون الحديث فيه وفى أهل الحصن إذ أتاهم آت من أهل الحلة المقتربة من الحصن ، فأخبرهم ، أن ربيعة والعمور قد أقبلوا إليكم مجردين السيوف ، ناكسين الرماح .

فنهض إليهم محمد بمن حضر معه من القوم ، فهزموهم ، وقتلوا منهم رجالا عدة ، وأسروا ربيعة ، وهو يرتعد من الخوف .

(١) فى الأصل ، جمع قوما كثيرة .

فقال له محمد :

ـ بئس ما صنعت ، فقد باينت الكرام بصنيعك هذا ، وقاربت اللئام به ، فصرت أنت إمام اللئام ، فالآن أخيرك فى حالتين ، الأولى ، بأن أطلقك وتمضى إلى جماعتك بالحصن ، وإما أن أسيّرك بأمان إلى بلدك ضنك ، وسأعفو عنك لأنك لست من رجال الحرب .

قيل ، فاختار الرجوع إلى الحصن .

فأنعم له محمد بذلك .

فمضى إلى الحصن ، فالتأم بقومه .

وقيل ، اختار الرجوع إلى بلده ضنك ، فسيره إليها بعشرة فرسان من فرسانه ، وكل فارس منهم على فرس من أفراسه .

وهذا عندى أصح ، إذ أخبرنى بذلك غير واحد من الشيوخ المسنة ، منهم الشيخ معروف بن سالم ، وخاطر بن حميد البداعى .

وكلهم أخبرنى أن الشيخ معروف بن سالم كان عند محمد بن ناصر فى تلك[1] الحرب .

وأقبل خلف بن ناصر القصير ، ومعه جمع كثير .

فلما عسكر بصحم[2] سأل عن محمد بن ناصر ، أين مقامه ؟ وعن عدد قومه ؟ .

فقيل له : عنده قوم كثيرون ، من حضر وأعراب .

فقال : أخبرونى عن الأعراب الذين معه من هم .

قيل : بنوياس ، وبنو نعيم ، وقتب ، وأحلافهم ، ومعه من الحضر خلق كثير .

---

(١) فى الأصل ، فى ذلك الحرب ، والصواب تأنيث اسم الإشارة .

(٢) مدينة على ساحل الباطنة ، وتقع جنوبى شرق ميناء صحار .

فأرسل خلف إلى رجل زرّاع من عجم صحار .

فلما أتاه أعطاه بعض الدراهم ، وقال له :

ـ إذا كان الغد أخرب زرعك بيدك ، وسر إلى محمد بن ناصر ، وقل له ، إن الأعراب الذين معك أخرب بعضهم زرعى ، فحملوه إلى ركابهم ، فأكلته ، فأريد منك الإنصاف .

فإن قال ، أتعرفهم ؟ قل ، نعم بالمشاهدة [١] ، وأما أسماؤهم فلا .

فإذا بعث معك أحدا لإتيانهم إليه انتخب منهم ثلاثة ، واحدا من أكابر بنى ياس ، والثانى من أكابر بنى نعيم ، والثالث من أكابر بنى قتب ، ولا تقبل منهم الغرامة إذا قال لك ، قوّم ثمن زرعك ، وردّد إليه ، لا أريد منك غير [٢] الإنصاف ممن تعدى على .

فإنك إن فعلت ذلك لك منى ما تريد من الدراهم .

فمضى ذلك الزراع عنه ، وفعل كما أمره خلف .

فأصبح يشكو عند محمد .

فقال له محمد :

ـ أتعرف الذين خربوا زرعك وجذّوه ؟ .

فقال :

ـ أما اسمهم فلا ، وأما إذا رأيتهم فنعم .

فقال لواحد [٣] من أصحابه :

ـ امض مع الزراع ، وائتنى بمن خربوا عليه زرعه .

---

(١) فى الأصل ، نعم بالشهادة . (٢) كلمة غير زيادة من المحقق .
(٣) فى الأصل ، لأحد .

وكان محمد منذ عسكر بصحار إلى ذلك اليوم ، الذى أتاه فيه ذلك الزراع ، ما أحد أتاه من أهل صحار ، وقال له ، نهبت أو ضربت أو أخرب على زرعا أو نخلا ، لقد أمنت [1] الرعية فما اعترضهم أحد من قومه بسوء .

فأتى الرجل الذى بعثه مع الزراع بثلاثة رجال ، أحدهم ياسى ، والثانى نعيمى ، والثالث قتبى .

فسألهم محمد ، فجحدوا [2] .

فقال للزراع :

ـ قوّم ماخرب عليك من الزرع .

فقال : لا أريد إلا العدل والإنصاف منك ، أمّنتنا ، وهذا بما جرى علينا من أمانك .

فبذل محمد للزراع عشر مائة محمدية فضية ، فأبى ، وجعل يكرر ، لا أريد منك غير الإنصاف منك .

فغضب محمد على الثلاثة الأعراب المذكورين ، فأمر بصلبهم .

وكان من عادته ، لايؤدب البدو إلا بالصلب .

ثم أمر بضربهم .

فضربوا ، وهم يقولون ، والله مافعلنا ، وإن هذا الزراع لكاذب .

فلم يحفل محمد بكلامهم ، وتركهم فى الصلب ، من أول الصباح إلى غروب الشمس .

ثم أمر بفكاكهم ، وأرسل إلى الزراع ، فأعطاه عشرماية محمدية فضية .

فقال ، لا آخذ غرامتين ، فأناراضى عنك ، وانصرف عنه .

---

(١) فى الأصل ، لقد أمن الرعية .

(٢) أى أنكروا . (٣) أى اذكر قيمته وثمنه .

فلما [١] جن الليل ركب [٢] الأعراب إبلهم بغير إذن من محمد ، ساخطين عليه لما فعل بأصحابهم بغير حجة شرعية ولا فرعية .

فلما طلعت الشمس أخبر عن الأعراب ، أنهم رجعوا إلى ديارهم ، وأن الزراع قد كذب عليهم ، وأنها مكيدة حاكها خلف ، فبلغ بها مراده .

فبعث للزراع ، فقيل له ، قد هرب منذ انفصل عنك ، ومضى إلى خلف .

فبينما هم فى منازعة هذا الحديث إذ أتى آت من أهل صحم إلى محمد ، يخبره ، أن خلفا قادم [٣] عليه بعسكره ، وأن الزراع الشاكى معك أعطاه خلف دراهم كثيرة ، وقال له ، جزيت خيرا .

فعند ذلك أمر قومه بحربك ، فهو على أثرى ، قادم عليك .

قيل ، فأطرق محمد رأسه ساعة ، ثم رفعه ، وقال ، ساعة لا خير فيها ، ضعف الطالب والمطلوب ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

وكان محمد بن ناصر له يد قوية فى علم الفلك والنجوم ، مشهوراً بذلك .

فأمر من معه من القوم بالوثبة على خلف وقومه .

وركب هو على خيل أبيض ، واشتمل على بشت [٤] أبيض ، وفى يده اليمنى [٥] سيف مجرد ، وفى اليسرى رمح .

فلما التقى الجمعان وقع بينهما حرب شديدة بالتفق والسيف والطعن بالرماح والوجء [٦] بالخناجر ساعة طويلة .

---

(١) جن الليل ، وجن عليه الليل جنا وجنونا ستره بظلامه ، وكل ما ستر على الإنسان فقد جن عليه .

(٢) فى الأصل ، ركبوا الأعراب .

(٣) فى الأصل ، قادما ، والصواب الرفع ، خبر أن .

(٤) ثوب ينسج من الصوف .

(٥) فى الأصل ، اليمنا .

(٦) فى الأصل الوجى ، ووجأ بمعنى ضرب ، وتكتب الهمزة المتطرفة مفردة إذا كان ما قبلها ساكنا .

ودخل القوم فى القوم ، فبطل بينهم الضرب بالسيف والطعن بالرماح ، فلم يعمل بينهم غير الوجىء بالخناجر ، والعضاض[١] بالأضراس .

فقتل خلف ، وانكشف جمعه .

فتابعهم[٢] جنود محمد إلى الديل .

فلما رجع محمد ركض بمن معه على الحصن ، فضرب دون باب الحصن برصاصة تفق من الحصن فى جناح اليد اليسرى ، فأثنى لجام فرسه ، وقال لقومه : ارجعوا إلى معسكركم ، ولم يخبرهم بالضربة التى وقعت فيه .

فلما وصل إلى بيت محمود نزل من ظهر فرسه ، ودخل البيت المذكور ، وأمر خاصته بغلق الباب وألا تدخل عليه أحد غير أولئك الخاصة .

وكانت الوقعة بين الفريقين أول الصبح إلى وقت العشاء ، وضرب محمد دون الحصن ، والليل حالك الإهاب[٣] ، فمات من ليلته فى بيت محمود العجمى ، وأقبرته خاصته دون حلة الشيعة من الحلة الداخلية بصحار .

فلما أخبر أهل الحصن بقتل خلف رقت عزيمتهم ، وخافوا من هجوم محمد بن ناصر عليهم ، ولم يشعروا بموته .

فبعثوا امرأة من أهل الحلة المقتربة من الحصن بكتاب إلى محمد بن ناصر ، يطلبون منه الأمان بخروجهم من الحصن ، ومضت امرأة من حلة الشيعة إلى الحصن لتخبر القابضين فيه بموت محمد .

فالتقت هى والمرأة الآتية عن أهل الحصن ، فأخبرتها بموت محمد .

---

(١) أى العض بالأسنان .　　(٢) فى الأصل ، فتابعتهم جنود .

(٣) فى الأصل ، الإبهاب ، والصواب ، الإهاب ، والإهاب هو الجلد ، والمراد شديد السواد كثير الظلمة .

فرجعت إلى الحصن ، فأخبرتهم بموته ، فقالوا : ضعف الطالب والمطلوب .

أخبرني الشيخ معروف بن سالم الصايغى فى حضرة الشيخ خاطر بن حميد البداعى ، وفى الحضرة جملة من المشايخ المسنة ، قال :

كنت يوم الوقعة بين محمد بن ناصر وخلف بن ناصر القصير جالسا عند محمد ابن ناصر فى بيت محمود العجمى ، فأتى رجل من أهل صحم ، فقال له : إن خلفا قادم عليك بمن معه من القوم ، وقد عاهده[1] قومه على الوقوف معه فى الحرب ، وألا ينكشفوا حتى يظفروا أو يظفر بهم ، فيقتلون جميعا ، وهو عاهدهم على ذلك .

قال ، فأطرق محمد رأسه ، ثم رفعه ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذه الساعة لا خير فيها له ولا خير فيها لى ، لقد ضعف الطالب والمطلوب .

ثم أمر أن يسرج له على فرسه ، فركبه ، وهو مشتمل على قباء من صوف ، وفى يده اليمنى[2] كَتّارة ، وفى يده اليسرى رمح غير نبزك[3] ، فكبّر لله ثلاثا ، وكبّر[4] قومه مثله ، ومضى هو أمام قومه .

فالتقى الجمعان بالحوية ، فصوتت المدافع بين الفريقين كأصوات الرعود ، ثم جردت السيوف ، فارتفع صليلها فى الجماجم ، وخرّقت الرماح الطلى[5] والغلاصم[6] ، وعملت الخناجر فى الكرش[7] والحناجر ، وتداخل الفريق فى الفريق ، وسالت الدماء ، فكانت بحرا من عقيق[8] .

---

(١) فى الأصل ، وقد عاهدته قومه .　　(٢) فى الأصل ، اليمنـا .

(٣) أى رمح طويل ، فالرمح النبزك هو الرمح القصير .

(٤) فى الأصل ، وكبرت قومه .

(٥) الطلى هى الأعناق أو أصولها ، جمع طلية بضم الأول وسكون الثانى .

(٦) جمع غلصمة بفتح الأول والثالث وسكون الثانى ، وهى اللحم بين الرأس والعنق .

(٧) جمع كرش والمراد المعدة وباطن الجسم ، فالكرش للدابة وهو منها بمنزلة المعدة للإنسان .　　(٨) العقيق خرز أحمر ، ويعنى الدم .

وكانت الوقعة من أول الصباح إلى المساء، أولها فى الحوّية وآخرها فى الدّبل، فقتل خلف ومعه جملة من بنى عمه وخاصته.

فلما رجع محمد إلى صحار ركض بمن معه من القوم على الحصن، وهو راكب على فرس، فضرب دون باب الحصن بتفق فى جناح اليد اليسرى، فصاح على قومه حماية وتقية، أى لا تظهروا الانكسار عنهم، يعنى أهل الحصن، واجعلوا رجوعكم عنهم على الآحاد لا على الجملة.

قال: فلما رجع محمد إلى بيت محمود العجمى مات من ساعته.

فأخفى موته خاصته عن العامة، فدفنوه سرا فى تلعة[1] دون حلة الشيعة الداخلية من السور.

وتم الخبر كما ذكرنا أولا.

قلت له: وكم تتحرى عدد القوم الذين قتلوا من الفريقين؟

قال: ألوفا، لا أقدر على عدّها، أكثرهم قوم خلف، إذ الدائرة كانت عليهم، والقتل فيهم من الحوية إلى الدبل.

قال: ومن أعجب الأمر لما جن الليل على الجرحى زحف الرجل إلى صاحبه حبوا، فيقول له: أنت من قوم محمد أم من قوم خلف، فإذا قال: أنا من قوم خلف، والثانى من قوم محمد دنا كلاهما إلى صاحبه، فيتعاضان بالأضراس حتى يموتا، وإن كانا من قوم واحد منهما، يعنى محمدا أو خلفا، وضعا يدهما على صدرهما فيموتان من ساعتهما حسرة.

انتهى كلامه.

* * *

(١) التلعة ما ارتفع من الأرض، وما انهبط منها، ضد، وما اتسع من فوهة الوادى، جمعها تلمات وتلاع.

وكان سيف بن سلطان بن سيف اليعربي لايفارق محمد بن ناصر فى حروبه كافة.

ولما مات محمد مضى مع الخاصة إلى دفنه .

فلما أصبح الصباح ، وأخبر عن موت خلف مضى إلى الحصن ، فقال لهم :

- إن الرجلين المقتولين ، يعنى، خلفا ومحمدا ، ليس لهما حصن ولا سور ولا رعية ، فماتا فى ليلة واحدة ، فإلى من أنتم قابضون هذا الحصن الآن ؟

فقالوا له : لك .

فقال : اخرجوا منه .

فخرجوا .

فقبضه سيف بن سلطان . وولى على صحار مهنا بن عدى اليعربى .

ثم رجع إلى بركا فقبضها .

ومضى إلى مسقط ، فأخرج بنى هناة منها ، وخلصت له حصون عمان كافة .

وأقامه[1] قضاة المسلمين إماما يوم الجمعة بعد زوال الشمس فى شهر شعبان سنة الأربعين والمائة بعد الألف[2] ، فلبث زمانا ، ثم عزل .

فأقاموا مكانه بلعرب بن حمير إماما .

---

(١) فى الأصل ، وأقامته .

(٢) أى سنة ١٧٢٧ م ويذكر ابن رزيق فى كتابه الفتح المبين ، أن إقامة قضاة للسلمين لسيف بن سلطان إماما كان بعد زوال الشمس فى شهر رمضان .

[الإمام بلعرب بن حمير]

فخلصت له بهلا ونزوى وأزكى وسمايل ، وحصون الظاهرة وحصون الباطنة إلا حصن صحار ، وأطاعته فرقة من أهل نخل .

وأما مسقط والرستاق فبقيتا فى يد سيف بن سلطان .

فجهز بلعرب بن حمير جيشا إلى وادى بنى رواحة ، وكانوا مخالفين له ، متبعين سيف بن سلطان .

فبعث سيف أخاه بلعرب بن سلطان نصرة لبنى رواحة ، فوقع بينهم الحرب ، فانكسر بلعرب بن سلطان وقومه وتحصن بنو رواحة ، أكثرهم ، بحجرة وبال .

فحاصرهم بلعرب بن حمير ، فأمر بقطع نخيلهم وأشجارهم ، ففعل كما أمر ، ثم سالموه وأطاعوه ، فصرف الجيش عنهم ، وأمنهم ومضى عنهم بعد ما هدم بروجهم ومعاقلهم .

ثم سار إلى بلاد سيت[1] ، فحاصرها أياما ، ثم فتحها ، وهدم بنيانها ، وقطع نخلها ، ودمرها ، وغور أنهارها . .

ثم سار إلى يبرين ، فحاصر حصنها ، وبها يومئذ بنو هناة ، من قبل سيف ابن سلطان .

فلما طال عليهم الحصار صالحوه ، وخرجوا من الحصن بأمان منه على ما بأيديهم من السلاح .

وأما سيف بن سلطان فبعث[2] رسلا إلى مكران ، فجاءوه بقوم من البلوش ، أصحاب التفق ، وأضاف إليهم من تبعه من رعيته وأصحابه .

---

(١) قرية بين تقع تنوف ونجد البرك فى المنطقة الشمالية .

(٢) الفاء فى جواب أما زيادة من المحقق .

وكتب إلى أحمد بن سعيد السعيدى ، أن يبعث له قوما من صحار وأعمالها .

وكان أحمد بن سعيد واليا من قبل سيف بن سلطان بصحار ، فأبى أن يبعث إليه أحدا ، لأجل مقدمات أوجبت المنافرة بينهما .

وسبب ذلك :

أن سيف بن سلطان لما ولى أحمد بن سعيد صحار وفدت عليه القبائل ، وأكرم مثواهم ، وعظم شأنه ، استوحش منه سيف بن سلطان ، فعزم على قتله .

فبعث إليه كتابا يخبره فيه بالوصول إليه سريعا .

فأتى أحمد بن سعيد إليه ، وليس معه إلا خادمه مسعد .

فلما وصلا إلى روى [1] هبطا إلى مسقط من عقبة الوادى الكبير ، فأناخا ناقتيهما بسفح بيئر الزبادية .

فمكث عند ناقتيهما مسعد ، ومضى هو يريد أن يواجه سيف بن سلطان ، فصادف جدى رزيق بن بخيت خارجا من بيته ، يريد الفرضة .

فلما تصافحا سأله جدى عن مراده بالوصول إلى سيف بن سلطان .

فقال :

ـ وصلنى منه كتاب ، يأمرنى فيه بالوصول إليه ، ولا أعلم بمراده بى .

وكان جدى وكيلا بفرضة مسقط من قبل سيف بن سلطان ، وقد سمع منه مرارا ، يقول : إذا وصلنى أحمد بن سعيد لا لأتركه فى قيد الحياة ، فإنه أفسد علىّ رعيتى ، وفعل وفعل .

---

(١) قرية هامة فى منطقة مسقط ، وتبعد عن مدينة مطرح بنحو ميلين ونصف ، وتقع فى واد خاص بها ، يعتبر الفرع الأيمن من وادى العدى .

فقال له جدى :

ـ ارجع بسلام ، فقد سمعته مرارا يقول : إذا واجهنى أحمد بن سعيد لا لأتركه فى قيد الحياة .

فرجع أحمد من ساعته إلى صحار .

ووشى واش بجدى عند سيف بن سلطان ، فأخبره ، أنه وصل إلى مسقط ، فصادفه رزيق بن بخيت فذعره ، وقال له : إذا واجهت الإمام سيف بن سلطان ليقتلك .

فغضب سيف بن سلطان على جدى ، فحبسه ، وقيده أياما طويله ، ثم أطلقه .

والإيحاش الثانى الذى أوجب المنافرة بينهما .

لما مضى إليه سيف بن سلطان على مراكبه لحربه ، وطرحت مراكبه أناجرها على بحر صحار كتب إلى أحمد بن سعيد ، أن يواجهه فى المركب الذى فيه .

فركب أحمد على قارب صغير ، فلما كان بمرأى من مركبه لوّحت إليه عبيد سيف بن سلطان أزرها بالرجوع ، فرجع ، وامتنع عن المواجهة .

ثم أتت الجبور ، فصالحوا بينهما ، أن يترك سيف بن سلطان أحمد مكانه ، واليا من قبله ، وأن يبعث إليه أحمد ولده هلال بن أحمد ليسير معه حيث سار ، ويقعد معه حيث يقعد من الأمكنة ، ليطمئن قلب سيف بذلك .

فانقطع الحرب منه له لأجل ذلك .

والقصة طويلة ، اختصرتها ، وبسطتها فى كتابين من تصنيفى ، أحدهما فى كتاب « سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده [1] » ، والثانى فى « القطمة اليمنية » .

---

(١) كتاب الفتح المبين ، وقد قامت وزارة التراث القومى بسلطنة عمان بطبعه ونشره عام ١٩٧٧ م .

فلما اجتمع جيش الإمام سيف بن سلطان بمسقط أمرهم بالمسير إلى جوف توام ، فالتقاهم دونها بلعرب بن حمير .

فاقتتلوا قتالا شديدا ، فوقعت الهزيمة على قوم سيف بن سلطان ، وفشا فيهم القتل ، فما زالوا يؤسرون ويقتلون فى الطرق والأودية ، ومات أكثرهم عطشا ، وما بقى من البلوش إلا قليلا .

ثم إن سيف بن سلطان جعل يكاتب العجم لينصره على أهل عمان ، فأجابوه على حرابها .

فنزل جيشهم بخور فكّان[1] آخر ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، سنة تسع وأربعين ومائة سنة بعد الألف[2] .

فقصدوا الصير ، وخرج سيف بن سلطان إليهم من مسقط .

فلما علم بذلك بلعرب بن حمير حشد قومه ، ومضى لحربهم ، فخرج إليهم من نزوى أول شهر المحرم .

فالتقى بموضع يسمى الشُّمَيْنى .

وفى جيش العجم سيف بن سلطان ، وفى جيش العرب بلعرب بن حمير .

فوقع بينهم قتال شديد .

فانكشف جيش بلعرب ، فاعتصم كثير منهم بالجبال ، وقتلوا من قومه قليلا ، وضل كثير من قومه الطريق ، وقتل بعضهم بعضا ، ولم يرجع واحد منهم إلى وطنه بدابة ولا سلاح .

فاستولى سيف بن سلطان ومن معه من العجم على الجوف ، وهو توام ، التى تسميها العامة الجو .

---

(١) بلد فى منطقة ساحل عمان .

(٢) الموافق ٢ إبريل سنة ١٧٣٦ م .

ودخل [١] العجم ضنكا ، والغبى ، وحجرة عبرى [٢] ، ووقع فى أهل عبرى قتل كثير ، وسلب ما فيها من المال الذى يحمل على ظهور الدواب ، وقتل أطفالهم ، وحملت نساؤهم إلى شيراز ، وبيعت فيها بيع العبيد .

ورجع سيف بن سلطان إلى الصير .

وقد كتب له بعض أكابر عمان لما وصلت العجم إلى الصير ، وهذا كتاب له :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

تحية وافرة ، ونعمة هنية باطنة وظاهرة .

إلى السيد الهمام ، المجد القمقام [٣] ، الإمام بن الإمام ، الأسد الضرغام ، سيف بن سلطان ، اليعربى ، سلمه الله .

أما بعد ، لقد صدرت أحاديث بإسناد عن أصحابنا بناحية الشمال ، تشق على المسلمين إظهارها ، وعليكم من يمين وشمال قلوبهم لأجلها وجلة [٤] ، وأنفسهم منها عليكم معوّلة ، بأن بعض العجم ومن تابعهم من سفهاء قومهم أدنيتهم [٥] إلينا ، وزخرفت لهم أمانيهم ، وزين الشيطان لهم أعمالهم حتى هموا بما لم ينالوا ، فما ربحت تجارتهم لما جلبتهم مناياهم إلى سوق حتفهم ، ولعل بعضهم وصل إلى بعض عمان ، فنزل من نزل منهم بناحية فكان ، بماعندهم من أمتعة وخيل وسائر الحيوان التى لاتقدر على اللفظ بالمعانى والبيان ، فعلى ماتصنعون الله المستعان .

فهذه مصيبة عليكم ، ماأعظمها من رزية ، فإن ظفروا طغوا ، نعوذ بالله من كل

(١) فى الأصل ، ودخلت العجم .

(٢) إحدى مدن منطقة الظاهرة .

(٣) أى السيد . (٤) الوجل هو الخوف .

(٥) الدنو هو القرب .

عنيد متجبر ، لا يؤمن بيوم الحساب ، وإن تكاثروا عليكم ليسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم .

وفى المثل ، إن امرأ أوغرت [١] صدره لاتأمن مكره وغدره ، فسبحان الله .

أأنت نائم أم يقظان؟أم استولى على قلبك الشيطان ، أم لك حجة على المسلمين ؟ أم سلطان أتى لك ، أن تتولى قوما غضب الله عليهم ، وتبعث كتبك إرسالا منك إليهم ، وتدعوهم إلى حضرتك ، وترجوهم لنصرتك .

إنها لأكبر العبر لمن اعتبر .

الله أكبر ، أجهلت ، أم ذهلت أم غفلت بما حل بهم منكم فى جزيرة البحرين ، من قتل رجالهم ، وأخذ سفنهم قسرا وجهرا ، وماصُنع بكبيرهم وأميرهم سلطان محراب ، ومن معه من عجم وزعاب [٢] ، وسائر الأعراب مثل جرثومتهم [٣] محمد ابن عبدالله البحرانى ، وهو حزمهم وناموسهم ، وكم غيره وغيره تصطفونهم [٤] وفى قلوبهم الأكدار عليكم .

فما لكم كيف تحكمون !

فبئس الرأى الذى رأيتم ، والأمر الذى حاولتم ، وعليه عولتم .

ماضرك لو تركت طريق من أفسد ، وسلكت المنهج الذى سلكه الإمام الولى ناصر بن مرشد .

فوالله لو كانت القلوب لها أبواب ، وفتح يوما بعضها لرأيتم نيران العداوة ودخانها يخرج من خياشيمهم ، فتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان والفساد ، إن الله لايحب المفسدين .

---

(١) الوغر هو الحقد والضغن والتوقد من الغيظ . (٢) الزعاب إحدى القبائل .

(٣) جرثومة الشىء أصله . (٤) فى الأصل ، تصطفهم .

(٥) الخياشيم جمع خيشوم ، وهى غراضيف فى أقصى الأنف بينه وبين الدماغ ، أو هى عروق فى بطن الأنف .

فهذا ماعندنا لكم من محض الوداد والنصح ، والله بصير بالعباد ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بمـــا عاهد عليه الله ، فأجره على الله العلام ، والسلام .

ومرّ سيف بن سلطان على بهلا ، فحاربها ، ثم دانت له ، فولى على أهلها سالم ابن خميس العبرى .

ومضى إلى طيسا .

فلما سمع [(١)] به القابضون لحصن نزوى وقلعتها كاد أن يهربوا منها .

وخرج بلعرب بن حمير إلى منح ، ثم هبط إلى أزكى ، فمالبث بها إلا يسيرا ، ثم هبط إلى سمايل ، فأناخ بالعدّ ، وكانت قبائل سمايل ليصلون إليه ، فلم يلبث إلى وصولهم إليه .

فأسرع السير إلى مسقط ، ولم يتعرض لحصن سمايل .

ثم وقع خلف بين الوالى الذى تركه سيف بن سلطان بالغبىّ وبين بنى غافر ،فتحاربوا .

ووقعت المخادعة من أهل بهلا ، فأدخلوا بلعرب بن حمير بهلا .

وجاءت زيادة قوم للعجم من شيراز إلى أصحابهم ، فقصدوا كلهم عمان .

فلما وصلوا إلى الظاهرة صالحتهم قبائلها، وأناخوا على بهلا يوم الثالث والعشرين من القعدة ، فاستولوا على جميع مافيها بعدمانهب من أهلها من هرب ، واستأصلوا حصنها ، فتركوا فيه فئة منهم ، ومضوا إلى نزوى أول شهر الحج .

فهرب بلعرب بن حمير فيها إلى وادى بنى غافـــر ، وثبت من قبله بنوحرا ص فى قلعتها .

وصالح أهل نزوى العجم .

---

(١) فى الأصل ، فلما سمعوا به القابضون .

فلما تمكنوا فيها وضعوا عليهم الخراج ، وعذبوهم [١] بأنواع العذاب ، وقتلوا الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، ولم يسلم من أهلها إلا من قدر على الهرب .

وأما قلعتها وحصنها فما قدروا عليهما .

وخرجوا من نزوى يوم ست وعشرين من شهر الحج ، فمروا على أزكى فصالحهم [٢] أهلها وأدوا لهم الخراج ، وأقاموا فيها يوما وليـــلة ، ثم هبطوا إلى مسقط ، فدخلوها يوم الأربع والعشرين من شهر الحج ، واحتووا على البلد وما فيها ، ولم يبق غير الكرّتين ، وقد وضعوا عليهما السلالم ، فانكسرت بهم ، وقتل منهم خلق كثير .

وأقاموا محاصرى الكرتين إلى يوم الخامس من شهر المحرم سنة إحدى وخمسين ومائة بعد الألف [٣] .

ثم خرجوا من مسقط . ومضوا إلى بركا وصحار .

وأما سيف بن سلطان فإنه ركب مراكبه هاربا من العجم إلى بركا ، ثم نزل من المركب ، فارتفع إلى بلدة الطوّ ورجعت المراكب إلى مسقط .

فالتقاه [٤] أهل الطوّ بالكرامة وصحبوه إلى نخل .

ثم سار إلى الظاهرة .

فالتقى هو وبلعرب بن حمير فى وادى بنى غافر .

فآل [٥] نظر بنى غافر أن يستعفوا بلعرب بن حمير من الإمامة ، ويرجعوها إلى سيف بن سلطان ، حذر الفرقة وإطفاء للنايرة [٦] ، ليجتمعا على حرب العجم .

فجعلوا الإمامة تقية إلى سيف بن سلطان .

---

(١) وفى الأصل ، يعذبوهم .

(٢) فى الأصل ، فصالحتهم .

(٣) الموافق ٥ مايو ١٧٣٨ م :

(٤) فى الأصل ، فالتقته أهل الطو .

(٥) أى استقر رأيهم .

(٦) النايرة والنايرة هى الشر .

وأما العجم الذين قعدوا فى بهلا ، فإنه لما أبطأت عليهم أخبار أصحابهم الذين مضوا إلى مسقط . والذين معسكر بن بجلفار بعثوا منهم مائة فارس ، ليأتوا لهم بخبر أصحابهم الذين مضوا إلى مسقط .

فمروا على سمايل أول نهار يوم ثامن من صفر ، فالتقاهم أهلها وعندهم حمير بن منير ، ومن معه من العسكر . فقتلوا أكثرهم ، وهرب الباقون إلى السيب ، فوجدوها خالية من الناس ، فمكثوا فيها حيارى ، لم يدروا أين يمضون .

وسار حمير بن منير بمن معه من العسكر إلى بهلا يوم تسعة وعشرين من صفر ، فحاصر العجم الذين بالحصن فخرج [1] رجال منهم لقتاله ، فانكسروا ، وقتل أكثرهم ، وبقى منهم القليل فى الحصن .

فأتى سيف بن سلطان ومن معه من الرجال إلى بهلا ، فأخرج العجم من الحصن على ما بأيديهم من السلاح والزاد والدواب .

وأمر أن يصاحبهم مبارك بن سعيد الغافرى إلى صحار .

فمضوا فى صحبته إليها .

فبلغنا أن أحمد بن سعيد السعيدى حبسهم فى حصن صحار حتى مات أكثرهم .

وأما العجم الذين خرجوا من مسقط فساروا إلى الصير ، ورجع منهم ناس إلى بلداتهم .

وذلك بعد ما سار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البر ، وسير إليهم بعض قوم من قومه على مراكب .

فلما وصلوا إلى بلدة خت ، وهو يومئذ بالصير أتاه خبر ، أن مركبه الفلك قد

---

(١) فى الأصل ، فخرجت رجال .

احترق ، وغرق أكثر من فيه ، وذلك يوم الجمعة وتسع عشرة[1] ليلة مضت من شوال سنة إحدى وخمسين ومائة وألف .

فرجع إلى عمان ، ومكث[2] العجم فى الصير .

فدانت له حصون عمان ، وأدت الرعية له الطاعة ، وحطّ الخراج عنها .

وسنأتى ببقية قصته إذا فرغنا من ترجمة الإمام سلطان بن مرشد ، وماله من الخبر عند العجم .

* * *

الإمام سلطان بن مرشد بن عدى

اليعربى

رجعنا إلى القصيدة :

قوله :

وَسُلْطَانُ بْنُ مُرْشِدٍ فَهْوَ قُطْبٌ إمامٌ جِدُّه هَجَرَ اللِّعَابَا

القطب قد مضى فيه الكلام ، أنه السيد ، والإمام معروف ، والجد نقيض الهزل ، وهو هنا بكسر الجيم ، فإن الذى هو بالفتح أب الأب ، والعلو والهجر ، بفتح الجيم ضد الرضا والتملل عن حديث الغير ، وعن المقاربة إليه ، والهجر بضم الهاء الشتم ، والمراد به هنا المفتوح لا المضموم ، واللعاب بكسر اللام الأولى واللعب بمعنى .

قوله :

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ القَنَا كلَّ لَذَّةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ

أى تركنا اللعب بكل لذة ، فليس لنا الآن لعب ، ومحض انشراح إلا بمطاعنة الرماح .

---

(١) فى الأصل وتسعة عشر ليلة ، والصواب ما ذكر . (٢) فى الأصل ، ومكثت العجم .

قوله :

أَرَى الأَحْبَابَ نَائِلَه انْصِبَابَاً أَرَى الأَعْدَاءَ أَسْهُمَه صِيَابَاً

قوله ، أرى من الرؤية ، معدّى ، أى أنظرهم ، والأحباب ضد أهل البغض ، والنائل الجود والعطية ، وانصب الوبل وغيره انصبابا إذا تتابع انهماره ، والأعداء ضد المحبين ، والأسهم واحدها [1] سهام ، والأسهم الصياب التى لم تخطىء مرميا .

والمعنى ، أرى أحبابه عطاياه تنصب لهم انصبابا ، على المصدر ، وأرى أعداءه أسهم وغاه صيابا ، لم تخطىء ، إذا ذهبت لهم ذهابا .

قوله :

كَرِيمُ الكَفِّ لِلأَحْبَابِ يَسْقِى عِدَاهُ سُمَّ عَضْبٍ مَا تَنَابَا

الكريم ضد البخيل ، يقال ، فلان كريم [2] إذا كان جوادا ، وفلان لئيم إذا كان بخيلا ، والكف مؤنثة ، وقد مضى فيها الكلام ، وهى راحة الزند .

وقوله : يسقى عداه سم عضب ماتنابا ، أى يسقى عداه ماء سيفه المسّم الذى ما تتابعت نبواته ، يقال ، سيف عضب إذا كان حديد الحدين ، ماضى الشفرتين .

أَرَى العُجْمَ انقِضَاضَ البَازِى لَمَّا بِأَرْضِ صُحَارَ أَعْلوا الإِنْتِعَابَا [3]

مراده بالعجم هنا الذين أتوا من شيراز وغيرها لسيف بن سلطان لما دعاهم لحرب عمان ، المحيطين بحصن صحار ، المشددين عليه الحصار .

وقوله ، انقضاض البازى إلى تمــــام بيته ، أى أراهم الإمام سلطان بن مرشد انقضاض البازى لما انقض عليهم ، وهم ينتعبون انتعاب الغربان ، أى برطانتهم العجمية

---

(١) فى الأصل ، واحدهن .

(٢) فى الأصل ، يقال فلانا كريما . . وفلانا لئيما . .

(٣) يقتضى وزن الوزن نطق الزاى من كلمة البازى متصلة بلام لما دون مد لكسرها .

الخارجة عن إفصاح الألسنة العربية ، والبازى طائر مشهور ، وهو أقوى من سائر الطير طيرانا وأوسعها انقضاضا إلى الأرض ، فإذا انقض من الهواء إلى الأرض تسمع لجناحيه زجلا باهرا تقشعر الطير منه ، يحمل ماينقض عليه من الطير من الأرض إلى الهواء بمنقاره ، فيأكله فى الهواء ، ولم يبق له أثر لحم ولا ريش يرى فى الأرض.

قال كثير شعرا :

بُغَاثُ الطَّيرِ أطْولُها جُسُوماً وَلمْ تَطُلِ البُزَاةُ ولاَ الصُّقُورُ[1]

وقال المتنبى شعرا :

لِيسَ كلُّ السُّرَاةِ بالرَّوْدِ بازى وما كلُّ مايطيرُ ببازِ[2]

وكان بعض أهل الطريقة يسمى عبد القادر الجيلانى البازى الأشهب ، وهى كناية منهم له ، يريدون بذلك التفضيل له على سائر رجال أهل الطريقة .

قوله :

فَنَاجَزَهُم بِصُبْحٍ صَارَ لَيْلاً أَحَالَ الأَنْجُمَ البِيضَ الضَّبَابَا

فناجزهم أى فنازلهم بالحرب ، يعنى الإمام سلطان بن مرشد المذكور ، والهاء راجع ضميرها إلى العجم المذكورين ، بقوله ، فناجزهم بالحرب فى وقت الصبح فأصاره ليلا بسواد القتام[3] عند الأزدحام ، وأحال الأنجم ، السيوف البيض سواد ذلك القتام إذ النجوم لاضياء لها ولا إشراق إلا فى الظلام .

وفى هذا المعنى يقول ابن الرومى شعرا :

---

(١) البغاث شرار الطير ، والبغاث بأرضنا يستنسر ، أى إن من يجاورنا ينال العزة منا ، والبزاة جمع بازى وهو نوع من الصقور .

(٢) السراة بالفتح اسم جمع ، جمعه سروات ، وهم أهل المروءة والشرف والرود هو الطلب والإرادة والمشيئة ، وبازى الأولى أى غالب وقاهر .

(٣) القتام هو الغبار ، والسواد .

آراؤهُمَ ووجُوهُهم وسيُوفُهُم للحادِثاتِ إذا دَجَوْنَ نجُومُ[1]

قوله :

فَصَرَّعَ مِنهُم جَمًّا وَفِيــهِ هُمُ تَرَكُوا جِرَاحَاتٍ عِطَابَا

صرعهم ، أى تركهم صرعى ، كما يقال ، رأيت قوما صرعى ومصرعين ، أى قتلى ، وهاء منهم راجع ضميرها[2] إلى العجم المذكورين ، والجم القوم المجتمعون .

أى قتل من العجم كثيرا لما نازلهم بالحرب ، وجالدهم بالطعن والضرب ، وهم فيه تركوا جراحات عطابا من العطب ، وهاء هم راجع ضميرها إلى العجم المذكورين.

قوله :

وَلِلْحِصْنِ انثَنَى فَقَضَى شَهِيدًا نَفَى بِالْعَدْلِ عَنْهُ الِاغْتِيَابَا

يقول ، فلما أثخنت الإمام سلطان بن مرشد الجراحات المذكورة انثنى ، أى رجع إلى الحصن ، وهو حصن صحار ، فقضى ،أى ، فمات فيه شهيدا ، نافيا عنه بعدله غيبة كل مغتاب ، نصبَ الاغتياب على المصدر[3] ، وهو من اغتابه اغتيابا لمبالغة تكثير الغيبة[4] .

ومن كلام بهلول بن راشد لما سأله بعض الناس وهو قاعد بين قبرين :

ـ يابهلول ، أراك قعدت بين القبور .

---

(١) الحادثات المصائب والكوارث ، والدجى ظلام الليل .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب أن يقال ، وهم من منهم راجع إلى العجم ، لأن الضمير هم وليس الهاء فقط .

(٣) النصب على أنه مفعول به وليس لأنه مفعول مطلق .

(٤) الغيبة هى ذكر الإنسان بما فيه من السوء ، وهى فعلة من غاب بمعنى عاب .

قال : نعم ، قعدت بين قوم لا يؤذونني ، وإذا غبت عنهم لا يغتابونني [١] .

القصـــة :

فلما كان ما كان من سيف بن سلطان من التعدى على أهل عمان اجتمع أهل العلم والحلم والورع من أهل بهلا ونزوى وأزكى ، ورؤساء بنى غافر وغيرهم من أهل الظاهرة وبنى رواحة وأهل سمايل ، ومشايخ المعاول على عقد الإمامة لسلطان بن مرشد بن عدى ابن سلطان بن عدى بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبى العرب ابن سلطان بن مالك بن أبى العربى بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم ابن يعرب بن محمـــد بن يعرب بن مالك اليعربى ، العربى الاستقامى ، الإباضى .

فعقدوا له بالإمامة فى جامع قرية نخل فى سنة إحدى وخمسين ومائة بعد الألف [٢] .

فاستقام على منهج الحق والعدل ، وخلص له حصن سمايل ، وأزكى ونزوى وبهلا وحصون الشرقية ، وانقادت إليه القبائل من الحيين .

وسار بنفسه بجيش إلى الرستاق ، وهى يومئذ فى حكم سيف بن سلطان .

فلما سمع به سيف جمع قوما من الرستاق وغيرهم ، فكمن بجمعه حول نقاب فلج الميسر لمقاتلة الإمام سلطان بن مرشد .

فلما رأى ألا طاقة له به انهزم ليلا عن قومه ، وترك معهم بعض آلة الحرب من تمر وغيره ، ولم يخبر قـــومه عن انهزامه ، وما شعروا بذلك إلا وقت الصباح لما افتقدوه .

ووصل الإمام سلطان بن مرشد إلى الرستاق صباح يوم الجمعة من شهر شعبان من هذه السنة .

---

(١) فى الأصل ، لا يؤذونى . . . لا يغتابونى ، والصواب عدم حذف النون فلا نافية ، وليست ناهية تجزم الفعل .

(٢) الموافقة لسنة ١٧٣٨ م .

فلم يجد سيف بن سلطان ، فأقام فى أهل الرستاق بالبشاشة والطاعة ، وبايعوه جميعا ، ولم يبق إلا من بالحصن شاذاً عن طاعته ، وهم قوم سيف بن سلطان.

وقد ترك فيه سيف بن سلطان والدته وعبيده ، وسائر عياله .

فحاصره الإمام سلطان بن مرشد حتى فتحه .

فمضى سيف بن سلطان من بركا إلى مسقط ، فجمع منها رمن المطرح والسيب ، فعسكر بهم فى بركا .

فبعث الإمام سلطان جيشا لقتاله ، وأمير الجيش سيف بن مهنا اليعربى .

فلما علم بذلك سيف التقاهم دون بركا ، فوقع بينهم قتال شديد .

فانهزم سيف ، وأخذ قومه السيف ، فلم يسلم من السيف منهم إلا من طلب الأمان ، وهرب فى السباسب[1] .

أما سيف فهو لما انهزم لاذ بمسقط .

ورجع سيف بن مهنا بالظفر إلى الرستاق .

وأتت لسيف بن سلطان نجدة من أعراب الظاهرة على إبل ، وهم خمسمائة رجل .

فلما وصلوا إلى الحزم كتبوا إلى سيف بوصولهم .

فمضى إلى بركا ، فجمع أعرابها ، وجاءه[2] رجال من بنى عامر ربيعة .

فوقعت بينهم وبين القوم الذين جمعهم من بركا والسيب فتنة ، فقتل بعضهم بعضا ، وتفرقوا أيادى سبأ .

فمضى سيف إلى الحزم ، فرأى القوم الذين أتوه من الظاهرة ، عددهم ، كما ذكرنا

---

(١) جمع سبسب بفتح الأول والثالث مع سكون الثانى ، وهى الصحراء أو الأرض المستوية البعيدة .

(٢) فى الأصل ، وجاءته رجال . .

خمسمائة رجل، فما وجد السبيل للمسير بهم إلى الرستاق مع انقياد أهل الرستاق للإمام سلطان بن مرشد، ورغبتهم فيه.

فارتفعت عنه أعراب الظاهرة إلى أوطانهم.

ورجع هو إلى مسقط.

وأما الإمام سلطان بن مرشد فقد[1] ترك فى حصن الرستاق من قبله سيف ابن مهنا، وولاه على أهل الرستاق.

وترك معه بعض القوم من خاصته.

وحشد هو قوما من أهل الرستاق. فمضى بهم إلى نخل، فحشد منها ومن أعمالها رجالا، فسار بهم إلى بدبد[2]، فحشد من وادى سمايل، ومن أزكى ورعاياها خلقا كثيراً.

فلما اجتمعوا معه هبط بهم إلى مسقط يوم الخميس وثانى يوم من شهر الحج من هذه السنة.

فلما وصل إلى روى[3] ترك فيها بعض القوم، وسار بالباقى إلى مسقط، فركض على القابضين فى جبالها، فأجدرهم[4] منها ومن سائر المقابض، وفتح حصنيها، الشرقى والغربى، والصيرتين.

وأمر القوم الماكثين بالسدّ بالركضة على الطرح وحصنها.

فركضوا عليها، وفتحوا حصنها، وأثابه به الله فتحا قريبا.

وأما ما كان من سيف بن سلطان فهو قد ركب البحر قبل أن يصل الإمام

---

(١) فقد زيادة من المحقق.

(٢) بدبد مدينة من مدن المنطقة الداخلية.

(٣) إحدى بلاد منطقة مسقط.

(٤) أى أنزلهم.

سلطان بن مرشد إلى مسقط ، خيفة منه ، فبعث الإمام سلطان مراكب فى طلبه ، وأميرها[1] من قبله بجاد بن سالم الخراصى ، وعساكر من خيار قومه .

فأصابتهم ريح عاصف ، وتفرقت المراكب دون خليج فكّان .

فرجع بجاد بن سالم بمن معه .

وانكسر من مركب سيف بن سلطان ، الذى هرب عليه ، بعض دقالته[2] ، فدخل فكّان .

ونزل هو ومعه ثلاثة رجل على خيل ، فمضى إلى الصير .

وبقى المركب وفيه بعض الرجال فى فكّان ، فأخذه أحمد بن سعيد السعيدى .

فلما علم سيف بن سلطان بأخذ مركبه أخبر خان العجم عما جرى عليه من الإمام سلطان بن مرشد ، وبأخذ أحمد بن سعيد لمركبه ، وسأله أن يمضى ببقية قومه إلى صحار ، وعاهده إن أخذه فهى لسلطان العجم ، تحفة منه إليه ، وأطمعه بأشياء كثيرة من عمان .

فأجابه الخان على ذلك

فمضى معه إلى صحار ببقية قومه الذين معه بجلفار الصير .

فلما وصلوا إلى صحار حصروها حصراً شديداً ، وكان عدد العجم المحيطين بصحار ستين ألفا ، وقيل خمسين ألفا وعدد أخشابهم خمسمائة سفينة ، وقيل ، بل أكثر من ذلك ، والله أعلم .

ومضت سرية من العجم غزاة إلى وادى المعاول ، فبلغوا دون مسلمات[3] ، فكسرهم المعاول .

ومضت سرية منهم إلى قريات ، فقتلوا منها خلقا كثيراً ، وأسروا نساء وصبيانا .

---

(١) فى الأصل ، وأميرهن .

(٢) جمع دقل بالفتح ، وهو سهم السفينة . (٣) إحدى القرى بوادى المعاول .

فبعثوهم إلى شيراز فبيعوا بيع العبيد .

ومضت منهم سرية كثيرة العدد إلى مسقط ، فواقعهم سيف بن مهنا اليعربى فى سيح الحرمل[1] .

وكان سيف بن مهنا يومئذ هو القابض مسقط والمطرح من قبل الإمام سلطان ابن مرشد .

فوقعت بينهم ملحمة عظيمة ، فانكسرت العجم إلى روى .

ثم أتوا فى اليوم الثانى فقاتلهم سيف بمن بقى معه من العرب ، فقتل هو . وقتل معه من اليعاربة ثلاثون رجلا .

ومن سائر قومه قتل كذلك جميعا .

فكان عدد قتلى العرب ثمانين رجلا ، ومن العجم خلقا كثيرا .

ومضت العجم إلى مسقط . فركضوا على الكرتين ونصبوا عليهما السلالم، فانكسروا.

ثم أتتهم زيادة قوم من أصحابهم المحيطين بصحار ، فركضوا عليها ، فأخذوها. وعسكر[2] جملة منهم بمسقط .

فلما علم الإمام سلطان بن مرشد بذلك ، وكان هو يؤمئذ ببلدة الرستاق ، جمع قوما كثيرين[3] من الظاهرة والرستاق .

فلما وصل بهم إلى الخابورة ، بلغه عن العجم الذين بصحار ، أنهم[4] بعثوا شرذمة منهم إلى النضير وصحم[5] ، فلما أغاروا عليهما خرج إليهم أهلهما ، وهم مشتغلون بالسلب والنهب ، فوضعوا فيهم السيف ، فكشفوهم ، وقتلوا أكثرهم .

---

(١) مكان بقرية روى فى منطقة مسقط .

(٢) فى الأصل ، وعسكروا جملة .

(٣) فى الأصل ، جمع قوما كثيرة .

(٤) أنهم زيادة من المحقق

(٥) مدينة على ساحل الباطنة جنوبى شرق ميناء صحار .

فما رجع أحد منهم إلى صحار إلا قليلا .

فلما بلغ خان العجم ما وقع على أصحابه أمر أشجع فرسانه بالمغار على صحم والنضير .

فصادفهما الإمام سلطان ومن معه من القوم دونهما ، فكشفوهم ، وقتلوا من فرسان العجم رجالا كثيرين .

فلما أخبر الخان[1] بما جرى على أصحابه، وأن العرب قد أقبلوا إليه بجمعهم رتب عسكره لقتالهم .

فلما التقت الفئتان وقع بينهم حرب شديدة .

فكان عدد العرب مع عدد قوم العجم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود .

فقتل مهنا بن سلطان، وقتل[2] معه من اليعاربة ثلاثون رجلا، ومن سائر القوم لم يبق إلا القليل .

وقتل أمير من أمراء العجم ، يسمى ، كاب على ، وقتل من أصحابه الخاصة خلق كثير .

وأصابت الإمام سلطان بن مرشد جراحات من سيوف العجم ورماحهم .

فلما أثخنته الجراحات دخل الحصن عند أحمد بن سعيد السعيدى .

فلبث فى الحصن ثلاثة أيام ، وقيل يوما واحدا .

ثم توفى غفر الله له وللمسلمين المجاهدين معه فى الدين .

وكان سيف بن سلطان يومئذ فى الحزم ، وقد استرسل البطن عليه .

فلما بلغه قتل الإمام سلطان بن مرشد وجماعته اليعاربة حزن عليهم حزنا شديدا .

فلم يلبث إلا أياما قلائل إلى أن مات .

* * *

---

(١) هو القائد .

(٢) فى الأصل ، وقتلت معه ...

[أحمد بن سعيد والعجم[1]]

ولم تزل الحرب قائمة على ساقها بين أحمد بن سعيد والعجم .

فلما رأت العجم شدة تجلّد أحمد بن سعيد على الحرب إنفلّت عزيمتهم ، وضعفت قوتهم .

فصالح خانهم أحمد بن سعيد ، على ارتحالهم من صحار ، وحمل ما تركوه فى معسكرهم من المواقع وسائر آلة الحرب والزاد .

فلما أجابهم على ذلك واجه أميرهم الخان فى الحصن ، ومعه عشرة رجال من خاصته .

فقدم لهم الطعام .

فلما أكلوا وشربوا قال أميرهم الخان إلى أحمد بن سعيد .

ـ كما وسعت لنا فى حمل آلة حربنا جميعا وسع لأصحابنا الذين بمسقط أن يحملوا معهم ما بقى من آلة الحرب وغيرها من مسقط إلى بندر العباس[2] ، وعبرهم[3] على خشب إليها .

فقال له أحمد بن سعيد :

ـ إن شاء الله .

ولم يزد على ذلك كلمة .

فلما خرج الخان ومن معه من الحصن لم يمكث هو ومن معه من القوم بعد ذلك إلا يومين .

---

(١) العنوان من وضع المحقق .

(٢) بندر عباس ميناء إيرانى يشرف على مدخل خليج عمان ، مطلا على مضيق هرمز ، وقد أقام فيه الهولنديون والبريطانيون المنشآت التجارية فى القرن السابع عشر .

(٣) أى أعد لهم من السفن مايعبرون عليها .

فركبوا سفائنهم ، ومضوا إلى بندر العباس .

وبعد ما رحل العجم عن صحار مضى أحمد بن سعيد إلى بركا ، ومعه من القوم ألفان .

فلما وصلها استخلص حصنها بغير حرب .

وكان حصنها يومئذ بيد المعاول ، أهل حُبرى .

ثم رجع إلى صحار .

فكتب إلى واليه الذى تركه فى بركا ، وهو خلفان بن محمد السعيدى ، المعروف بالمحل ، أن ينصب قبابين [1] فى بركا لوزن الأمتعة التى تجلب من الهند وعمان ، وتباع بالوزن كما كان ذلك فى أيام دولة سيف بن سلطان بمسقط .

ففعل خلفان بن محمد المحل كما أمره .

فاستقامت سوق شريفة فى بركا ، ومضت إليها الأخشاب ، والركاب كما كانت تمضى إلى مسقط والمطرح ، وكثر [2] فيها التجار ، وأتتها وفود عمان ، والظاهرة للبيع والشراء ، وحملوا ما يحتاجون إليه منها .

فانقطعت المادة عن العجم القابضين بمسقط والمطرح ، وضجروا بمقامهم ، وانقطاع المواد عنهم ، وارتحال أصحابهم عن صحار .

واشتمل عليهم الخوف لما بلغهم عن سيف بن سلطان ، أنه [3] مات .

فبعثوا رسولا منهم إلى الحزم ، أن يأتيهم رجل من اليعاربة ، وهو أقربهم نسبا إلى سيف بن سلطان .

فلما بلغ أهل الحزم رسول العجم بعثوا رجلا من أرحام سيف بن سلطان ، يسمى ، ماجد بن سلطان .

---

(١) جمع قبانى وهو الوزن ، والقبان هو القسطاس والأمين .

(٢) فى الأصل ، وكثرت فيها التجار .

(٣) أنه زيادة من المحقق .

فلما بلغهم أمروه بالمسير إلى شيراز، وكتبوا كتابا إلى الشاه ، يخبرونه فيه بموت سيف بن سلطان .

وأن الواصل إليه هو أقرب رحماً إليه ، وأنهم بقوا فى مسقط والمطرح فى أضيق حصار ، وقد قطع[1] العرب منهم المادة .

وقالوا لماجد ، أظهر الطاعة للشاة ، وجدد العهد بينك وبينه ، فإنه إن كتب لنا بتخليص ما بأيدينا من معاقل مسقط والمطرح لنخلصها[2] لك .

فأجابهم ماجد على ذلك .

فمضى على سفينة صغيرة إلى بندر العباس ، ثم ارتفع إلى شيراز .

فلما واجه الشاه وأعطاه الكتاب الذى أعطاه له أصحابه القابضون معاقل مسقط والمطرح وقرأه ، أقامه فى دار الضيافة ثلاثة أيام .

ثم كتب له ، لأصحابه ، بتخليص ما بأيديهم من المعاقل إليه .

فلما رجع أصاب السفينة التى ركبها الطوفان ، فقذفها إلى صحار .

فمضى إلى أحمد بن سعيد ، فأخبره الخبر كله .

فحبسه أحمد بن سعيد فى حصن صحار ، وأخذ منه خط الشاه الذى كتبه الشاه إلى أصحابه ، بتخليص معاقل مسقط والمطرح ، وأمر خميس بن سالم البوسعيدى ، أن يمضى بكتاب الشاة إلى مسقط . وبقبض معاقل مسقط .

فمضى خميس بن سالم ، ومعه أربعمائة رجل من قوم أحمد بن سعيد .

فلما وصلهم ، وألقى إليهم الكتاب ظنوا أنه رجل من جماعة ماجد بن سلطان وقد بعثه ماجد إليهم ، فسلموا له المعاقل كلها .

فترك خميس بن سالم أصحاب أحمد بن سعيد الذين أتى بهم من صحار .

* * *

(١) فى الأصل ، وقد قطعت العرب .

(٢) فى الأصل ، لنخلصهن لك .

[انتقال ملك اليعاربة
إلى
أحمد بن سعيد]

فكان انتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد سنة الأربع والخمسين والمائة والألف[1] ، وقيل سنة الست والخمسين والمائة والألف ، وهو الأصح .

وكتب خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد بقبض معاقل مسقط والمطرح من العجم .

فلما قرأ الكتاب أحمد بن سعيد مضى إلى بركا ، وكتب إلى خميس بن سالم ، أن يأتيه بالعجم إلى بركا ، وبعث إليه بألفى رجل من رعية صحار وبركا ، ليتركهم فى معاقل مسقط والمطرح .

ففعل خميس بما أمره به .

ولما وصل إلى بركا ومعه العجم ضربوا خيامهم بالفرحة ، وبعث إليهم أحمد ابن سعيد بالضيافة ، وخيلهم بالطعام .

أخبرنى أبى محمد بن رزيق عن أبيه جدى رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان ، والشيخ معروف بن سالم الصنابعى ، والشيخ خاطر بن حميد البداعى ، والشيخ محمد العجمى القصاب ، وقد دخل كلامهم ، بعضه فى بعض ، بالاتفاق ، قالوا :

لما[2] رجع العجم من مسقط إلى بركا فى صحبة خميس بن سالم السعيدى ، وفيها يومئذ أحمد بن سعيد ضربوا خيامهم فى الفرحة ، فما يمر أحد على حلة من حُلل بركا إلا رأى فيها قدورا تفور بالطعام ، ضيافة للعجم من أحمد بن سعيد ، ولا يمر أحد

---

(١) أى سنة ١٧٤١ م (٢) فى الأصل ، لما رجعوا العجم .

بحلاوٍ فى سوق بركا إلا ويصنع بأمر أحمد بن سعيد حلوى للعجم ، ولا يمر أحد على زراع إلا رآه يجز زرعه بأمر أحمد بن سعيد لخيول العجم . وما بات أحد ويقول ، له فلس على أحمد بن سعيد ، فضلا عن الدراهم .

قالوا ، وكلام الناس على حدة ، أن العجم لا يستحقون هذا ، ولكن يستحقون بأن تضرب أعناقهم بالسيف .

قالوا ، وبعد ما خيم العجم ببركا ثلاثة أيام خرجت موائد كثيرة للعجم فى خوان[1] رحبة ، ودخل أكابرهم الحصن مع رسول أحمد بن سعيد .

وعدد من دخل الحصن من أكابرهم خمسون رجلا .

فما كان بعد دخولهم الحصن إلا بقدر ساعة من النهار إلا وضرب طبل فى الحصن ، ومعه مناد ينادى « ألا من له فى العجم وتر[2] فليأخذه منهم » .

قالوا : فما استتم كلامه إلا والصائح[3] على العجم من كل مكان .

فخرج الصغير عليهم خلف الكبير من أهل بركا ، ومن انضاف إليهم من أهل سائر البلدان ، فوضعوا فيهم السيف ، فنشا فيهم القتل وما بقى منهم إلا بقدر مائتى رجل ، يصيحون ، الأمان ، الأمان يا أحمد .

فلما بلغ أحمد كلامهم نادى المنادى من الحصن ، ارفعوا عنهم السيف .

فرفع السيف عنهم كما أمر .

قالوا : وأما أكابرهم الذين دخلوا الحصن فقتلوا جميعا .

---

(١) فى الأصل ، خوانى ، والصواب حذف الياء ، والخوانى جمع خوان بكسر الأول وهو ما يؤكل عليه الطعام .

(٢) أى ثأر .

(٣) يعنى الصارخ ، وفى الأصل ، الصايح بالياء .

قالوا ، ثم إن أحمد بن سعيد أمر على أهل سفن بركا أن يعبُّروا من بقى من العجم إلى بندر العباس .

فلما بلغوا بهم حذاء جبل السوادى خرقوا بهم السفن ، وسبحوا هم إلى[1] البر ، وهلك العجم كافة بالغرق .

قالوا ، ثم إن أحمـــد بن سعيد أمر على خميس بن سالم السعيدى برجوعه إلى مسقط ، وأن يصحبه كل من كان يسكنها أو يسكن المطرح ، وهرب منها خوفا من العجم .

وكان أهل مسقط والمطرح وأهل وادى حطاط قد هربوا كافة خوفا من العجم إلى بركا .

فلما مضى خميس بهم ، ووصل[2] أهل مسقط إلى مسقط لم يعرف أهلهـــا الساكنو حللها الخارجة من السور حدود بيوتهم من الخراب بمرابط الخيل العجم ، وكثرة روثها[3] .

فاقتتلوا مع المغالطة ، فكان عدد قتلاهم ستين رجلا .

ثم إن خميس بن سالم قسم بينهم المكانات التى اشتجروا فيها بالتحرى ، وبارا[4] بينهم فى الدماء .

فصارت مسقط[5] والمطرح فى عمار بعد الخراب .

ثم مضى أحمد بن سعيد إلى الرستاق فنتحها .

---

(١) حرف الجر إلى زيادة من المحقق

(٢) فى الأصل ، ووصلوا أهل مسقط .

(٣) الروث جمع روثة وهى قذارات الخيل .

(٤) أى أبرأ .

(٥) كلمة مسقط ساقطة فى الأصل ، وهى زيادة من وضع المحقق .

ومضى إلى سمايل فاستخلصها بغير حرب .

ومضى إلى أزكى فأذعنت له ، فقبض حصنها بغير نزاع .

ثم مضى إلى نزوى فسلمت له .

ثم مضى إلى بهلا فأطاعته وقبض حصنها .

وأتاه سليمان بن محمد بن عدي اليعربي من سمد الشان ، وكان محمد بن سليمان والياً للإمام سلطان بن مرشد ، أيام حياته ، فسلم محمد له الحصن ، فقبضه أحمد بن سعيد ، وأنعم عليه بحصن نخل .

وتعاهدا ألا يخون أحدهما صاحبه .

فهذا سبب انتقال ملك اليعاربة إلى الإمام أحمد بن سعيد .

وما بقي للإمام أحمد بن سعيد منازع من اليعاربة إلا بعد مدة طويلة ، بلعرب ابن حمير اليعربي .

وقتل في وقعة فرق ، وهي وقعة شديدة كانت بينه وبين الإمام أحمد بن سعيد. فكانت الغلبة فيها للامام أحمد بن سعيد ، وقتل بلعرب المذكور ، وقتل من قومه خلق كثير .

وكانت بين هذه الوقعة والوقعة التي بالطيب من الظاهرة من المدة اثنتا عشرة[1] سنة ، وهي حرب بين الإمام أحمد بن سعيد وبين ناصر بن محمد بن ناصر الغافري . فكانت الغلبة فيها لناصر بن محمد ، وقتل من قوم الإمام أحمد بن سعيد اثنا عشر ألفا .

* * *

---

(١) في الأصل اثنى عشر

قوله :

فَذَا عَدُّ الأئمة مِن عُمَانٍ   فَمَا أَلِفَتْ وِلَايتهمْ سِبَابَا

ذا بمعنى هذا ، والعد كالعديد ، بمعنى واحد ، والأئمة واحدهم إمام ، وعمان قد مضى فيها الكلام ، وقوله ، فما بمعنى ما ، وهو حرف نفى لما بعده ، وألف الشىء الشىء إذا لازمه ، وهو من الإلف ، والولاية ضد البرأة .

أى ، فما ألفت ولايتهم سبًّا ، يعنى أئمة عمان ، الذين ذكرهم فى هذا الكتاب على الآحاد إلى الجملة .

والسب والسباب بمعنى ، وهو القول الذميم والشتم .

وحصول المعنى الكلى من هذا البيت ، أن عدد الأئمة الذين عدّدهم فى هذه القصيدة على التفصيل ، أولهم ، الجلندا بن مسعود ، وآخرهم سلطان بن مرشد اليعربى .

فكان جملة عددهم خمسة وعشرين إماماً ، ما ألفت ولايتهم فى الدين سبابا من المسلمين .

قوله :

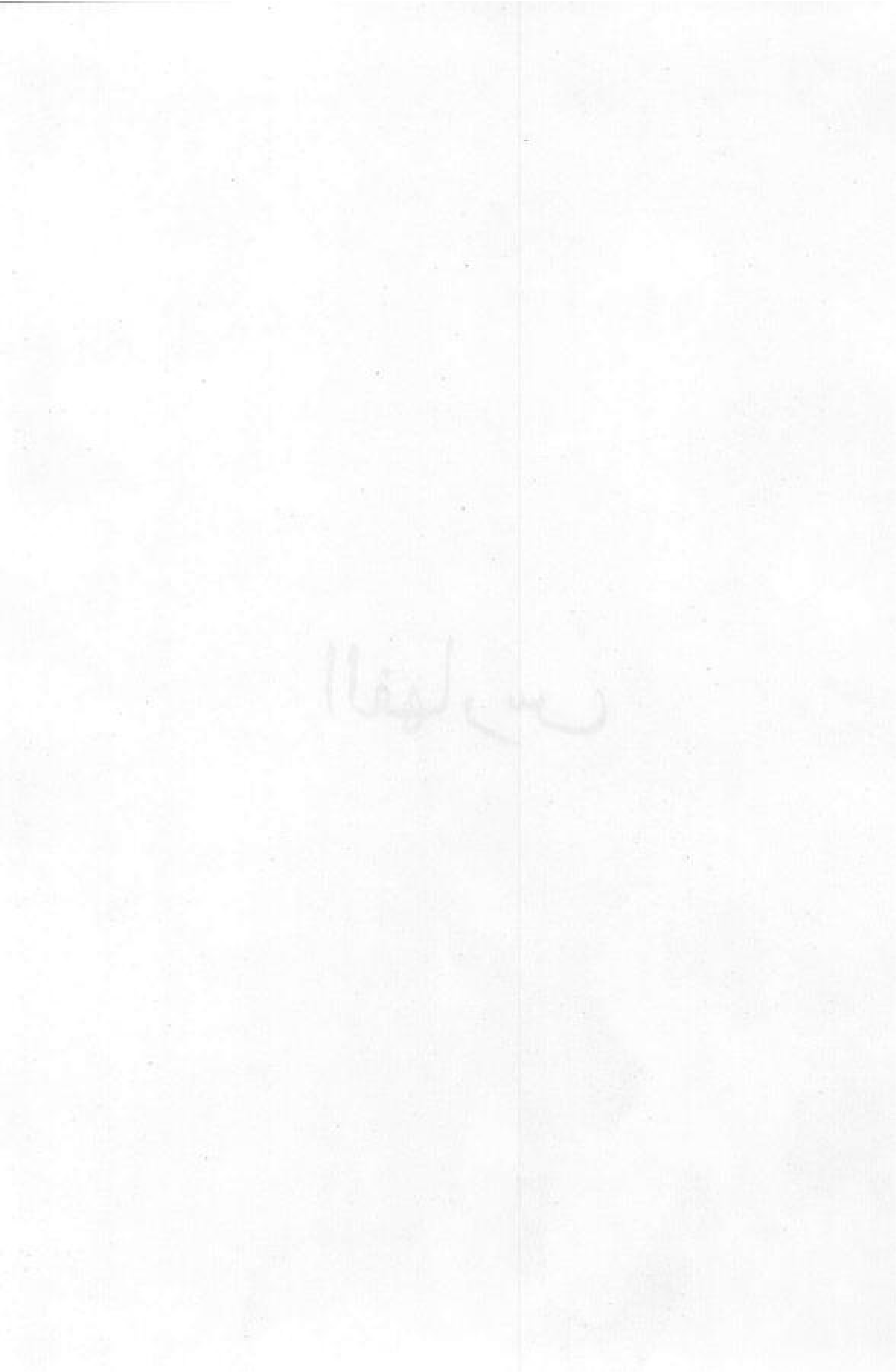
فَحَسْبُهُمُ صَنِيعُهُمُ سُرُورًا   يُجَزِّيهِمْ إِذَا شَهِدُوا الْحِسَابَا

هاء حسبهم راجع ضميرها إلى أئمة عمان الذين ذكرهم فى هذه القصيدة بالفضل ، والصنيع الفعل ، ووصفهم بالعدل ، والسرور ، والجزاء معروفان ، وشهد المرء الشىء يشهده إذا رآه ، والحساب هنا المناقشة يوم القيامة ،

وتعنى جملة هذا البيت ، وكفى أئمة عمان المشهورين بالعدل صنيعهم ، فهو به يجزيهم الله الوهاب السرور والثواب إذا شهدوا يوم القيامة الحساب .

انتهى

الفهارس



أولا : فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

* * *

ثانيا : فهرس الأعلام

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الرّاء

حرف الزّاى

حرف السّين

حرف الشين

حرف الضاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

———

ثالثا : فهرس البلاد والأماكن

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الرّاء

حرف الزّاى

حرف السّين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

